# الوابل الصيب

## من الكلم الطيب

للشيخ الامام العالم العامل المحدث المفسر الاصولي
المتكلم التقى شمس الملة والدين أبى عبد الله
محمد بن أبي بكر بن ايوب بن سعد
الزرعى ثم الدمشقى الشهير
بابن قيم الجوزية المتوفى
سنة ٧٥١ هـ



عنيت بنشره بعد تصحيحه والتعليق عليه للمرة الاولى سنة ١٣٥٧
ادارة الطباعة المنيرية
لصاحبها ومديرها محمد منير الدمشقي



درب الاتراك رقم ١ بمصر

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، الله سبحانه وتعالى المسؤل المرجو الاجابة أن يتولاكم فى الدنيا والآخرة ، وأن يسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، وأن يجعلكم ممن إذا أنعم عليه شكر ، واذا ابتلى صبر ، واذا أذنب استغفر ، فان هذه الأمور الثلاثة عنوان سعادة العبد وعلامة فلاحه فى دنياه واخراه ، ولاينفك عبد عنها أبدا فان العبد دائما يتقلب بين هذه الأطباق الثلاث : نعم من الله تعالى له تترادف عليه ؛ فقيدها الشكر . وهو مبنى على ثلاثة أركان . الاعتراف بها باطنا ، والتحدث بها ظاهرا ، وتصريفها فى مرضاة وليها ومسديها ومعطيها . فاذا فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره فى شكرها .

( الثانى ) محن من الله تعالى يبتليه بها ففرضه فيها الصبر والتسلى ، والصبر حبس النفس عن التسخط بالمقدور ، وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن المعصية ، كاللطم وشق الثياب ونتف الشعر ونحوه . فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة فاذا قام به العبد كما ينبغى انقلبت المحنة فى حقه منحة ، واستحالت البلية عطية ، وصار المكروه محبوبا ، فان الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه ، وانما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته ، فان لله تعالى على العبد عبودية فى الضراء ، كما له عليه عبودية فى السراء وله عبودية عليه فيما يكره ، كما له عليه عبودية فيما يحب ، واكثر الخلق يعطون العبودية فيما يحبون فقط والشان فى اعطاء العبودية فى المكاره

ففيه تتفاوت مراتب العباد ، وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى ، فالوضوء بالماء البارد فى شدة الحر عبودية ، ومباشرة زوجته الحسناء التى يحبها عبودية . ونفقته عليها وعلى عياله ونفسه عبودية ، هذا والوضوء بالماء البارد فى شدة البرد عبودية ، وتركه المعصية التى اشتدت دواعى نفسه اليها من غير خوف من الناس عبودية ، ونفقته فى الضراء عبودية ، ولكن فرق عظيم بين العبوديتين ٭

فمن كان عبداً لله فى الحالتين قائما بحقه فى المكروه والمحبوب فذلك الذى تناوله قوله تعالى ( أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ؟ ) وفى القراءة الأخرى ( عباده ) وهما سواء لأن المفرد مضاف ، فيعم عموم الجمع «١» ٭

فالكفاية التامة مع العبودية التامة . والناقصة مع الناقصة ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ٭

وهؤلاء هم عباده الذين ليس لعدوه عليهم سلطان قال تعالى: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ) ولما علم عدو الله ابليس ان الله تعالى لا يسلم عباده اليه ، ولا يسلطه عليهم قال (فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ٭ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ) وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا

---

«١» قال ابن جرير : اختلفت القراء فى قراءة (أليس الله بكاف عبده) فقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة ( أليس الله بكاف عباده) على الجماع . بمعنى : أليس الله بكاف محمدا وأنبياءه من قبله ما خوفتهم أممهم من أن تنالهم آلهتهم بسوء وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (بكاف عبده) على التوحيد . بمعنى أليس الله بكاف عبده محمدا ؟ ~

فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ )».

فلم يجعل لعدوه سلطانا على عباده المؤمنين. فإنهم في حرزه وكلاءته وحفظه وتحت كنفه ؛ وإن اغتال عدوه أحدهم كما يغتال اللص الرجل الغافل ، فهذا لابد منه فإن العبد قد بلي بالغفلة والشهوة والغضب ، ودخوله على العبد من هذه الأبواب الثلاثة . ولو احترز العبد ما احترز فلا بد له من غفلة . ولابد له من شهوة . ولابد له من غضب .

وقد كان آدم أبو البشر صلى الله عليه وسلم من أحلم الخلق وأرجحهم عقلا، وأثبتهم ومع هذا فلم يزل به عدو الله حتى أوقعه فيما أوقعه فيه ، فما الظن بفراشة الحلم ، (١) ومن عقله في جنب عقل أبيه كتفلة في بحر ؟ ولكن عدو الله لايخلص إلى المؤمن إلا غيلة وعلى غرة وغفلة فيوقعه . ويظن أنه لايستقيل ربه عز وجل بعدها . وأن تلك الوقعة قد اجتاحته وأهلكته . وفضل الله تعالى ورحمته وعفوه ومغفرته وراء ذلك كله .

فإذا أراد بعبده خيرا فتح له من أبواب التوبة والندم ، والانكسار والذل والافتقار ؛ والاستعانة به ، وصدق اللجأ إليه ، ودوام التضرع والدعاء والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات ما تكون تلك السيئة به سبب رحمته حتى يقول عدو الله : ياليتني تركته ولم أوقعه .

وهذا معنى قول بعض السلف : إن العبد ليعمل الذنب يدخل به الجنة ، ويعمل الحسنة يدخل بها النار . قالوا : كيف ؟ قال : يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه خائفا منه مشفقا وجلا باكيا نادما مستحيا من ربه تعالى ، ناكس الرأس بين يديه ، منكسر القلب له ، فيكون ذلك ذنب

---

أي إن حلمه بالنسبة إلى آدم حقير فإن الفراشة أشد شيء حمقا إذ ترمي نفسها على النار .

أنفع له من طاعات كثيرة ، بما ترتب عليه من هذه الأمور التي بها سعادة العبد وفلاحه ، حتى يكون ذلك الذنب سبب دخوله الجنة . ويعمل الحسنة ، فلا يزال يمن بها على ربه ، ويتكبر بها ، ويرى نفسه شيئا ، ويعجب بها ويستطيل بها ، ويقول : فعلت وفعلت ، فيورثه من العجب والكبر والفخر والاستطالة ما يكون سبب هلاكه . فاذا أراد الله تعالى بهذا المسكين خيرا ابتلاه بأمر يكسره به ويذل به عنقه ، ويصغر به نفسه عنده ، وإن أراد به غير ذلك خلاه وعجبه وكبره (١) وهذا هو الخذلان الموجب لهلاكه فان العارفين كلهم مجمعون على ان التوفيق هو أن لا يكلك الله تعالى الى نفسك . والخذلان أن يكلك الله تعالى الى نفسك *

فمن اراد الله به خيرا فتح له باب الذل والانكسار ودوام اللجأ الى الله تعالى والافتقار اليه ، ورؤية عيوب نفسه ، وجهلها وعدوانها ، ومشاهدة فضل ربه واحسانه ورحمته ، وجوده وبره ، وغناه وحمده *

فالعارف سائر الى الله تعالى بين هذين الجناحين (٢) ، لا يمكنه أن يسير الا بهما ، فمتى فاته واحد منهما فهو كالطير الذى فقد أحد جناحيه .

قال شيخ الاسلام : (٣) العارف يسير الى الله بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل *

وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح من حديث بريدة رضى الله تعالى عنه « سيد الاستغفار ان يقول العبد : اللهم أنت

---

(١) أخذ ابن عطاء الله الاسكندري هذا المعنى فجعله فى جملة من حكمه قال: رب معصية أورثت ذلا وانكسارا ، خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا

(٢) الجناح الأول شهود عيوب النفس وجهلها ونقصها وعدوانها . والجناح الثانى : شهود فضل ربه واحسانه وجوده وبره *

(٣) هو الامام ابن تيمية رضى الله عنه .

ربى لا اله الا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى ،فاغفر لى انه لايغفر الذنوب الا أنت » (١) .

فجمع فى قوله صلى الله عليه واله وسلم « أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى » مشاهدة المنة ، ومطالعة عيب النفس والعمل ، فمشاهدة المنة توجب له المحبة والحمد والشكر لولى النعم والاحسان ، ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة فى كل وقت وأن لايرى نفسه إلا مفلسا ، وأقرب باب يدخل منه العبد على الله تعالى هو باب الافلاس . فلا يرى لنفسه حالا ولا مقاما ، ولا سببا يتعلق به ، ولا وسيلة منه يمن بها ، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصرف والافلاس المحض ، دخول من قد كسر الفقر والمسكنة قلبه ، حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع . وشملته الكسرة من كل جهاته ، وشهد ضرورته إلى ربه عز وجل ، وكمال فاقته وفقره اليه ، وأن فى كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة ، وضرورة كاملة إلى ربه تبارك وتعالى ، وأنه ان تخلى عنه طرفة عين هلك وخسر خسارة لاتجبر ، الا أن يعود الله تعالى عليه ويتداركه برحمته . ولا طريق الى الله تعالى أقرب من العبودية ، ولا حجاب أغلظ من الدعوى .

والعبودية مدارها على قاعدتين ، هما أصلها : حب كامل ، وذل تام . ومنشأ هذين الأصلين عن ذينك الأصلين المتقدمين ، وهما مشاهدة المنة التى تورث المحبة ، ومطالعة عيب النفس والعمل التى تورث الذل التام .

واذا كان العبد قد بنى سلوكه الى الله تعالى على هذين الأصلين لم

---

(١) رواه الامام احمد والبخارى والنسائى .

يظفر عدوه به الا على غرة وغيلة وما أسرع ما ينعشه الله عز وجل ويجبره ويتداركه برحمته *

## ﴿ فصل ﴾

وانما يستقيم له هذا باستقامة قلبه وجوارحه . فاستقامة القلب بشيئين : ﴿احدهما﴾ أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب . فاذا تعارض حب الله تعالى وحب غيره سبق حب الله تعالى حب ما سواه ، فرتب على ذلك مقتضاه ، وما أسهل هذا بالدعوى وما أصعبه بالفعل !، وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان . وما أكثر ما يقدم العبد ما يحبه هو ويهواه ، أو يحبه كبيره وأميره وشيخه وأهله على ما يحبه الله تعالى . فهذا لم تتقدم محبة الله تعالى في قلبه جميع المحاب ، ولا كانت هي الملكة المؤمرة عليها ، وسنة الله تعالى فيمن هذا شانه أن ينكد عليه محابه وينغصها عليه ولا ينال شيئا منها إلا بنكد وتنغيص ، جزاء له على ايثار هواه وهوى من يعظمه من الخلق ، أو يؤثر محبته على محبة الله تعالى . وقد قضى الله تعالى قضاء لا يرد ولا يدفع أن من أحب شيئا سواه عذب به ولا بد ، وأن من خاف غيره سلط عليه ، وأن من اشتغل بشيء غيره كان شؤما عليه . ومن آثر غيره عليه لم يبارك فيه ، ومن أرضى غيره بسخطه أسخطه عليه ولا بد *

﴿الأمر الثاني﴾ الذي يستقيم به القلب تعظيم الأمر والنهي ، وهو ناشيء عن تعظيم الآمر الناهي . فان الله تعالى ذم من لا يعظمه ولا يعظم أمره ونهيه قال سبحانه وتعالى (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) قالوا في تفسيرها مالكم لا تخافون لله تعالى عظمة *

وما احسن ما قال شيخ الاسلام فى تعظيم الأمر والنهى : هو أن لا يعارضا بترخص جاف ، ولا يعارضا بتشديد غال ولا يحملا على علة توهن الانقياد *

ومعنى كلامه أن أول مراتب تعظيم الحق عز وجل تعظيم أمره ونهيه . وذلك لأن المؤمن يعرف ربه عز وجل برسالته التى أرسل بها رسول الله ﷺ الى كافة الناس ، ومقتضاها الانقياد لأمره ونهيه ، وانما يكون ذلك بتعظيم أمر الله عز وجل واتباعه . وتعظيم نهيه واجتنابه فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه دالا على تعظيمه لصاحب الأمر والنهى ، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالايمان والتصديق ، وصحة العقيدة ، والبراءة من النفاق الأكبر . فان الرجل قد يتعاطى فعل الأمر لنظر الخلق ، وطلب المنزلة والجاه عندهم ويتقى المناهى خشية سقوطه من أعينهم ، وخشية العقوبات الدنيوية ، من الحدود التى رتبها الشارع صلى الله تعالى عليه وسلم على المناهى فهذا ليس فعله وتركه صادرا عن تعظيم الأمر والنهى ، ولا تعظيم الآمر الناهى . فعلامة التعظيم للاوامر رعاية أوقاتها وحدودها . والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها ، والحرص على تحينها فى أوقاتها ، والمسارعة اليها عند وجوبها ، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها ، كمن يحزن على فوت الجماعة ، ويعلم أنه لو تقبلت منه صلاته منفردا فانه قد فاته سبعة وعشرون ضعفا : ولو أن رجلا يعانى البيع والشراء يفوته صفقة واحدة فى بلده ، من غير سفر ولا مشقة سبعة وعشرون دينارا لأكل يديه ندما وأسفا ، فكيف وكل ضعف مما تضاعف به صلاة الجماعة خير من ألف وألف ألف ، وماشاء الله تعالى فاذا فوت العبد على نفسه

هذا الرمح — وكثير من العلماء يقول : لاصلاة له — وهو بارد القلب فارغ من هذه المصيبة ، غير مرتاع لها . فهذا من عدم تعظيم أمر الله تعالى فى قلبه ، وكذلك إذا فاته أول الوقت الذى هو رضوان الله تعالى ؛ أو فاته الصف الأول الذى يصلى الله وملائكته على ميامنه . ولو يعلم العبد فضيلته لجالد عليه ولكانت قرعة . وكذلك لو فوت الجمع الكثير الذى تضاعف الصلاة بكثرته وقلته . كلما كثر الجمع كان أحب إلى الله عز وجل ، وكلما بعدت الخطا كانت خطوة تحط خطيئة وأخرى ترفع درجة .

وكذلك لو فوت الخشوع فى الصلاة وحضور القلب فيها بين يدى الرب تبارك وتعالى الذى هو روحها ولبها . فصلاة بلاخشوع ولاحضور كبدن ميت لاروح فيه ، أفلا يستحى العبد أن يهدى الى مخلوق مثله عبدا ميتا أو جارية ميتة ؟ فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها من ملك أو أمير او غيره ؟ فهكذا سواء ، الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور وجمع الهمة على الله تعالى فيها ، بمنزلة هذه الأمة أو العبد الميت ، الذى يريد إهداءه الى بعض الملوك ، ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه وان أسقطت الفرض فى أحكام الدنيا ، ولا يثيبه عليها . فانه ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها كما فى السنن ومسند الامام أحمد وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « ان العبد ليصلى الصلاة وما كتب له الا نصفها الا ثلثها ، الا ربعها ، الا خمسها ، حتى بلغ عشرها » .

وينبغى أن يعلم أن سائر الأعمال تجرى هذا المجرى فتفاضل الاعمال عند الله تعالى بتفاضل ما فى القلوب من الايمان والاخلاص ، والمحبة وتوابعها وهذا العمل الكامل هو الذى يكفر السيئات تكفيراً كاملا والناقص بحسبه .

وبهاتين القاعدتين تزول اشكالات كثيرة : وهما تفاضل الاعمال بتفاضل ما فى القلوب من حقائق الايمان ، وتكفير العمل للسيئات بحسب كماله ونقصانه ، وبهذا يزول الاشكال الذى يورده من نقص حظه من هذا الباب على الحديث الذى فيه « إن صوم يوم عرفة يكفر سنتين ويوم عاشوراء يكفر سنة » قالوا : فاذا كان دأبه دائما أنه يصوم يوم عرفة فصامه وصام يوم عاشوراء ، فكيف يقع تكفير ثلاث سنين كل سنة ؟ (١)»

---

(١) قال الأستاذ المرحوم السيد محمد رشيد رضا رحمه الله وجعل الجنة مثواه :
ومن هذا الباب قول أهل الدعاية الغافلين : ان جحى صام يوم عاشوراء الى الظهر . وقال : يكفيني تكفير ستة أشهر . وهذه الدعابة تدل على جهل مورد الاشكال من حيث بناء كل منهما على جعل أحاديث التكفير من الأمور المادية التى يقابل كل منها مثله . فاذا زاد بعض المتقابلين على الآخر كان الزائد من الحسنات المكفرة عبثا لعدم وجود ما يكفره — وكان الزائد من الذنوب المحتاجة الى التكفير باقيا كذنوب نصف سنة جحى . وإنما هذه تقديرات معنوية لتأثير ازالة الحسنات لاثر السيئات من النفس وأظهر مثال حسى لها ما ورد فى الحديث الصحيح من تشبيه تكفير الصلوات الخمس للذنوب بجريان نهر على باب أحدكم يغتسل فيه فى اليوم والليلة خمس مرات . فهل يبقى عليه ذلك من درن اى قدر ؟
ومثله أن تقول : ان ما على هذا الثوب من وسخ لا يزيله الا غسله ثلاث مرات — بالصابون . وتقول فى وسخ آخر : لا بد من غسله خمس مرات ، وزيادة الغسل بعد ذهاب الوسخ لا يزيد الثوب الا نظافة . على أن الأصل فى الحسنات أن تكون فائدتها موجبة لا سالبة ، ومثبتة لا نافية وتحلية لا تخلية ، فانها انما تزكى النفس وتطهرها مما يعلق بها من أدران المعاصى تحليها بقوة الايمان والتقوى وحب الله ورسوله وأوليائه ، والرغبة

وأجاب بعضهم عن هذا بأن ما فضل عن التكفير ينال به الدرجة وبالله الصحب ، فليت العبد إذا أتى بهذه المكفرات كلها أن تكفر عنه سيئاته باجتماع بعضها الى بعض ●

والتكفير بهذه مشروط بشروط وموقوف على انتفاء موانع فى العمل وخارجه ، فان علم العبد انه جاء بالشروط كلها وانتفت عنه الموانع كلها فحينئذ يقع التكفير ، وأما عمل شملته الغفلة أو شملت أكثره ، وفقد الاخلاص الذى هو روحه ، ولم يوف حقه ، ولم يقدره حق قدره ، فأى شيء يكفر هذا ؟ فان وثق العبد من عمله بأنه وفاه حقه الذى ينبغى له ظاهراً وباطناً ، ولم يعرض له مانع يمنع تكفيره ولا مبطل يحبطه من عجب أو رؤية نفسه فيه ، أو يمن به أو يطلب من العباد تعظيمه به ، أو يستشرف بقلبه لمن يعظمه عليه أو يعادى من لا يعظمه عليه ويرى أنه قد بخسه حقه ، وأنه قد استهان بحرمته فهذا أى شىء يكفر ؟ ●

ومحبطات الأعمال ومفسداتها أكثر من أن تحصر . وليس الشان فى العمل ، انما الشان فى حفظ العمل مما يفسده ويحبطه ●

فالرياء ـ وان دق ـ محبط للعمل ، وهو أبواب كثيرة لا تحصر ●

وكون العمل غير مقيد باتباع السنة أيضا موجب لكونه باطلا ، والمن به على الله تعالى بقلبه مفسد له ، وكذلك المن بالصدقة والمعروف

---

فى البر والخير وما يقابل ذلك ، فاذا لم تكن النفس مدنسة بالمعاصى ، أو كان دنسها قليلا يزول ببعض الحسنات ـــ كان تأثير الأعمال الصالحة فى التحلية الايجابية أقوى وأكمل ، فما أجهل هؤلاء الحسيين بحكم الدين واسراره ! وما أجهلهم بانفسهم أيضا ! ! ●

والبر والاحسان والصـــلة مفسد لها كما قال سبحانه وتعالى : ( يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ) واكثر الناس ما عندهم خبر من السيئات التى تحبط الحسنات وقد قال تعالى : ( يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ) فحذر المؤمنين من حبوط أعمالهم بالجهر لرسول الله ﷺ كما يجهر بعضهم لبعض ، وليس هذا بردة ، بل معصية تحبط العمل وصاحبها لا يشعر بها ، فما الظن بمن قدم على قول الرسول ﷺ وهديه وطريقه قول غيره وهديه وطريقه ؟ أليس هذا قد حبط عمله وهو لا يشعر ؟ .

ومن هذا قوله ﷺ « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » (١)

ومن هذا قول عائشة رضى الله تعالى عنها وعن أبيها لزيد بن أرقم رضى الله عنه ، لما باع بالعينة (٢) « إنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب » وليس التبايع بالعينة ردة . وانما غايته أنه معصية .

فمعرفة ما يفسد الاعمال فى حال وقوعها ، ويبطلها ويحبطها بعد وقوعها من أهم ما ينبغى أن يفتش عليه العبد ، ويحرص على علمه ويحذره . وقد جاء فى أثر معروف « إن العبد ليعمل العمل سرا لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى فيتحدث به فينتقل من ديوان السر الى ديوان العلانية ، ثم يصير فى ذلك الديوان على حسب العلانية (٣) فان تحدث

---

(١) رواه البخارى ومسلم عن بريدة رضى الله عنه (٢) العينة : أن يبيع شيئا من غيره بثمن مؤجل ويسلمه الى المشترى ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن نقد أقل من ذلك الثمن الاول (٣) قال المنذرى : وروى

به للسمعة وطلب الجاه والمنزلة عند غير الله تعالى أبطله كما لو فعله لذلك.

فان قيل . فاذا تاب هذا هل يعود اليه ثواب العمل ؟

قيل : إن كان قد عمله لغير الله تعالى ، وأوقعه بهذه النية . فانه لا ينقلب صالحا بالتوبة . بل حسب التوبة أن تمحو عنه عقابه . فيصير لا له ولا عليه وأما إن عمله لله تعالى خالصا ، ثم عرض له عجب ورياء ، أو تحدث به ثم تاب من ذلك وندم . فهذا قد يعود له ثواب عمله ولا يحبط . وقد يقال : انه لا يعود اليه ، بل يستأنف العمل .

والمسألة مبنية على أصل ، وهو أن الردة هل تحبط العمل بمجردها ، أو لا يحبطه إلا الموت عليها ؟ فيه للعلماء قولان مشهوران ؛ وهما روايتان عن الامام أحمد رضي الله عنه .

فان قلنا تحبط العمل بنفسها فمتى أسلم استأنف العمل إبطال ما كان قد عمل قبل الاسلام . وإن قلنا : لا يحبط العمل إلا إذا مات مرتدا ، فمتى عاد الى الاسلام عاد اليه ثواب عمله .

وهكذا العبد إذا فعل حسنة ثم فعل سيئة تحبطها ثم تاب من تلك السيئة ، هل يعود اليه ثواب تلك الحسنة المقدمة يخرج على هذا الأصل. ولم يزل في نفسي من هذه المسألة ، ولم أزل حريصا على الصواب فيها

---

عن ابى الدرداء أن رسول الله ﷺ قال « ان الاتقاء على العمل أشد من العمل . وان الرجل ليعمل العمل فيكتب له عمل صالح معمول به في السر يضعف أجره سبعين ضعفا فلا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس ويعلنه فيكتب علانية ، ويمحى تضعيف أجره كله . ثم لا يزال به الشيطان حتى يذكره للناس الثانية ، أو يحب أن يذكر به ويحمد عليه فيمحى من العلانية ويكتب رياء . فاتقى الله امرؤ صان دينه . وأن الرياء شرك » رواه البيهقي . وقال : هذا من أفراد بقية بن الوليد عن شيوخه . قال الحافظ المنذري : أظنه مرفوعا والله أعلم

وما رأيت أحدا شفى فيها *

والذى يظهر - والله تعالى أعلم ، وبه المستعان ، ولا قوة الا به - أن الحسنات والسيئات تتدافع وتتقابل ، ويكون الحكم فيها للغالب . وهو يقهر المغلوب . ويكون الحكم له حتى كأن المغلوب لم يكن ، فاذا غلبت على العبد الحسنات رفعت حسناته الكثيرة سيئاته ، ومتى تاب من السيئة ترتب على توبته منها حسنات كثيرة ، قد ترى وتزيد على الحسنة التى حطت بالسيئة . فاذا عزمت التوبة وصحت ، ونشأت من صميم القلب أحرقت مامرت عليه من السيئات حتى كأنها لم تكن ، « فان التائب من الذنب كمن لاذنب له » (١) *

وقد سأل حكيم بن حزام رضى الله عنه النبى ﷺ عن عتاقة ، وصلة وبر فعله فى الشرك ، هل يثاب عليه ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أسلمت على ما أسلفت من خير » (٢) فهذا يقتضى أن الاسلام أعاد عليه ثواب تلك الحسنات التى كانت باطلة بالشرك فلما تاب من الشرك عاد اليه ثواب حسناته المتقدمة ، فهكذا إذا تاب العبد توبة نصوحا صادقة خالصة أحرقت ما كان قبلها من السيئات وأعادت عليه ثواب حسناته *

يوضح هذا أن السيئات والذنوب هى أمراض قلبية ، كما أن الحمى والأوجاع أمراض بدنية ، والمريض إذا عوفى من مرضه عافية تامة عادت إليه قوته وأفضل منها ، حتى كأنه لم يضعف قط ، فالقوة المتقدمة بمنزلة الحسنات

(١) رواه ابن ماجه والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى الشعب عن ابن مسعود رفعه . قال السخاوى فى المقاصد الحسنة: ورجاله ثقات . بل حسنه شيخنا - يعنى الحافظ ابن حجر - يعنى لشواهده . وقد روى من عدة طرق كلها صحيحة

(٢) رواه الامام أحمد والبخارى ومسلم

والمرض بمنزلة الذنوب ، والصحة والعافية بمنزلة التوبة ؛ وكما أن من المرضى من لا تعود اليه صحته أبدا لضعف عافيته، ومنهم من تعود صحته كما كانت لتقاوم الأسباب وتدافعها وعود البدن إلى كماله الأول . ومنهم من يعود أصح مما كان وأقوى وأنشط ، لقوة أسباب العافية وقهرها وغلبتها لأسباب الضعف والمرض حتى ربما كان مرضه هذا سببا لعافيته كما قال الشاعر :

لعل عتبك محمود عواقبه ... وربما صحت الأجسام بالعلل

فهكذا العبد بعد التوبة على هذه المنازل الثلاث والله الموفق لا إله غيره ولا رب سواه *

## ﴿ فصل ﴾

وأما علامات تعظيم المناهي : فالحرص على التباعد من مظانها وأسبابها وما يدعو إليها ، ومجانبة كل وسيلة تقرب منها ، كمن يهرب من الاماكن التي فيها الصور التي تقع بها الفتنة خشية الافتتان بها . وأن يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس ، وأن يجانب الفضول من المباحات خشية الوقوع في المكروه ، ومجانبة من يجاهر بارتكابها ويحسنها ويدعو اليها ، ويتهاون بها ولا يبالي ما ركب منها ، فان مخالطة مثل هذا داعية إلى سخط الله تعالى وغضبه ، ولا يخالطه إلا من سقط من قلبه تعظيم الله تعالى وحرماته *

ومن علامات تعظيم النهي : أن يغضب لله عز وجل إذا انتهكت محارمه ، وأن يجد في قلبه حزنا وكسرة إذا عصي الله تعالى في ارضه . ولم يطع باقامة حدوده وأوامره ، ولم يستطع هو أن يغير ذلك *

ومن علامات تعظيم الامر والنهي : أن لا يسترسل مع الرخصة إلى حد يكون صاحبه جافيا غير مستقيم على المنهج الوسط *

مثال ذلك : أن السنة وردت بالابراد بالظهر فى شدة الحر (١)، فالترخص الجافى أن يبرد إلى فوات الوقت أو مقاربة خروجه . فيكون مترخصا جافيا .

وحكمة هذه الرخصة أن الصلاة فى شدة الحر تمنع صاحبها من الخشوع والحضور ويفعل العبادة بتكره وضجر . فمن حكمة الشارع صلى الله عليه وسلم . أن امرهم بتأخيرها حتى ينكسر الحر ، فيصلى العبد بقلب حاضر ، ويحصل له مقصود الصلاة من الخشوع والاقبال على الله تعالى .

ومن هذا نهيه صلى الله عليه وسلم أن يصلى بحضرة الطعام أو عند مدافعة البول والغائط (٢) لتعلق قلبه من ذلك بما يشوش عليه مقصود الصلاة ولا يحصل المراد منها ، فمن فقه الرجل فى عادته أن يقبل على شغله فيعمله ثم يفرغ قلبه للصلاة ، فيقوم فيها وقد فرغ قلبه لله تعالى ونصب وجهه له ، وأقبل بكليته عليه ، فركعتان من هذه الصلاة يغفر للمصلى بهما ما تقدم من ذنبه والمقصود أن لا يترخص ترخصا جافيا .

ومن ذلك : أنه رخص للمسافر فى الجمع بين الصلاتين عند العذر وتعذر فعل كل صلاة فى وقتها لمواصلة السير ، وتعذر النزول أو تعسره

---

(١) عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا اشتد الحر فابردوا بالصلاة فان شدة الحر من فيح جهنم » رواه البخارى ومسلم وأصحاب السنن .

(٢) عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الاخبثان » رواه مسلم .

عليه فاذا أقام في المنزل اليومين والثلاثة ، أو أقام اليوم فجمعه بين الصلاتين لا موجب له لتمكنه من فعل كل صلاة في وقتها من غير مشقة ؛ فالجمع ليس سنة راتبة (١) ، كما يعتقد أكثر المسافرين أن سنة السفر الجمع سواء وجد عذر أو لم يوجد ، بل الجمع رخصة عارضة ، والقصر سنة راتبة فسنة المسافر قصر الرباعية سواء كان له عذر أو لم يكن . وأما جمعه بين الصلاتين فحاجة ورخصة ، فهذا لون وهذا لون *

ومن هذا : أن الشبع في الأكل رخصة غير محرمة ، فلا ينبغي أن يجفو العبد فيها حتى يصل به الشبع إلى حد التخمة والامتلاء ، فيتطلب مايصرف به الطعام ، فيكون همه بطنه قبل الأكل وبعده ، بل ينبغي للعبد أن يجوع ويشبع ، ويدع الطعام وهو يشتهيه ، وميزان ذلك قول النبي ﷺ « ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »(٢) ولا يجعل الثلاثة الأثلاث كلها للطعام وحده *

وأما تعريض الأمر والنهي للتشديد الغالي ، فهو كمن يتوسوس في الوضوء متغاليا فيه حتى يفوت الوقت ، أو يردد تكبيرة الاحرام إلى أن تفوته مع الامام قراءة الفاتحة ، أو يكاد تفوته الركعة ، أو يتشدد في الورع الغالي حتى لا يأكل شيئا من طعام عامة المسلمين ، خشية دخول الشبهات عليه . ولقد دخل هذا الورع الفاسد على بعض العباد الذين نقص حظهم من العلم حتى امتنع أن يأكل شيئا من بلاد الاسلام ؛ وكان يتقوت بما يحمل إليه من بلاد النصارى . ويبعث بالقصد لتحصيل ذلك . فأوقعه

---

(١) ليس المراد هنا بالسنة مايقابل الفرض والواجب ، وانما المراد بها الهدى السوي والطريقة المحمدية التي كان ﷺ يواظب عليها *

(٢) رواه الترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان عن المقدام بن معديكرب *

الجهل المفرط والغلو الزائد فى إساءة الظن بالمسلمين . وحسن الظن بالنصارى . نعوذ بالله من الخذلان *

فحقيقة التعظيم للامر والنهى : أن لا يعارضا بترخص جاف ، ولا يعرضا لتشديد غال . فان المقصود هو الصراط المستقيم الموصل الى الله عز وجل سالكه *

وما أمر الله عز وجل بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان : إما تقصير وتفريط ، وإما إفراط وغلو، فلا يبالى بما ظفر من العبد من الخطيئتين فانه يأتى إلى قلب العبد فيشيمه (١) فان وجد فيه فتورا وتوانيا وترخيصا أخذه من هذه الخطة ، فثبطه وأقعده ، وضربه بالكسل والتوانى والفتور وفتح له باب التاويلات والرجاء، وغير ذلك حتى ربما ترك العبد المامور جملة ، وإن وجد عنده حذراً وجدا وتشميراً ونهضة وأيس أن يأخذه من هذا الباب أمره بالاجتهاد الزائد ، وسول له أن هذا مايكفيك وهمتك فوق هذا ، وينبغى لك أن تزيد على العاملين ، وأن لا ترقد إذا رقدوا ، ولا تفطر إذا أفطروا ، وأن لا تفتر إذا فتروا ، وإذا غسل أحدهم يديه ووجهه ثلاث مرات فاغسل أنت سبعا ، وإذا توضا للصلاة فاغتسل أنت لها ، ونحو ذلك من الافراط والتعدى ، فيحمله على الغلو والمجاوزة وتعدى الصراط المستقيم ، كما يحمل الأول على التقصير دونه وأن لا يقربه ، ومقصوده من الرجلين اخراجهما عن الصراط المستقيم هذا بان لايقربه ولا يدنو منه ، وهذا بان يجاوزه ويتعداه ، وقد فتن بهذا أكثر الخلق ولا ينجى من ذلك الا علم راسخ ، وايمان وقوة على

---

( ١ ) أصل الشيم النظر الى البرق ومن شانه أن يبدو ويخفى بسرعة فشبه استراق الشيطان للنظرة والتطلع الى القلب بذلك

محاربته، ولزوم الوسط. والله المستعان *

ومن علامات تعظيم الامر والنهى: أن لا يحمل الأمر على علة تضعف الانقياد والتسليم لأمر الله عز وجل، بل يسلم لأمر الله تعالى وحكمه، ممتثلا ما أمر به سواء ظهرت له حكمته أو لم تظهر، فان ظهرت له حكمة الشرع فى أمره ونهيه حمله ذلك على مزيد الانقياد والبذل والتسليم ولا يحمله ذلك على الانسلاخ منه وتركه كما حمل ذلك كثيراً من زنادقة الفقراء والمنتسبين الى التصوف. فان الله عز وجل شرع الصلوات الخمس إقامة لذكره واستعمالا للقلب والجوارح واللسان فى العبودية وإعطاء كل منها قسطه من العبودية التى هى المقصود بخلق العبد ووضعت الصلاة على أكمل مراتب العبودية *

فان الله سبحانه وتعالى خلق هذا الآدمى واختاره من بين سائر البرية وجعل قلبه محل كنوزه من الايمان والتوحيد والاخلاص والمحبة والحياء والتعظيم والمراقبة وجعل ثوابه اذا قدم عليه أكمل الثواب وأفضله وهو النظر الى وجهه والفوز برضوانه ومجاورته فى جنته وكان مع ذلك قد ابتلاه بالشهوة والغضب والغفلة وابتلاه بعدوه ابليس لا يفتر عنه فهو يدخل عليه من الابواب التى هى من نفسه وطبعه فتميل نفسه معه لأنه يدخل عليها بما تحب فيتفق هو ونفسه وهواه على العبد ثلاثة مسلطون آمرون فيبعثون الجوارح فى قضاء وطرهم. والجوارح آلة منقادة فلا يمكنها إلا الانبعاث فهذا شأن هذه الثلاثة وشأن الجوارح فلا تزال الجوارح فى طاعتهم كيف أمروا وأين يمموا هذا مقتضى حال العبد فاقتضت رحمة ربه العزيز الرحيم بان أعانه بجند آخر وامده بمدد آخر يقاوم به هذا الجند الذى يريد هلاكه فأرسل اليه رسوله وأنزل عليه كتابه

وأيده بملك كريم يقابل عدوه الشيطان، فإذا أمره الشيطان بأمر، أمره الملك بأمر ربه وبين له ما في طاعة العدو من الهلاك، فهذا يلم به مرة، وهذا مرة، والمنصور من نصره الله عز وجل، والمحفوظ من حفظه الله تعالى *

وجعل له في مقابلة نفسه الأمارة نفسا مطمئنة إذا أمرته النفس الأمارة بالسوء نهته عنه النفس المطمئنة، وإذا نهته الامارة عن الخير أمرته به النفس المطمئنة. فهو يطيع هذه مرة وهذه مرة، وهو الغالب عليه منهما. وربما انقهرت إحداهما بالكلية قهراً لاتقوم معه أبداً *

وجعل له مقابل الهوى الحامل له على طاعة الشيطان والنفس الأمارة نورا وبصيرة وعقلا يرده عن الذهاب مع الهوى. فكلما أراد أن يذهب مع الهوى ناداه العقل والبصيرة والنور. الحذر الحذر. فإن المهالك والمتالف بين يديك، وأنت صيد الحرامية وقطاع الطريق. إن سرت خلف هذا الدليل. فهو يطيع الناصح مرة، فيبين له رشده ونصحه ويمشي خلف دليل الهوى مرة فيقطع عليه الطريق ويؤخذ ماله ويسلب ثيابه. فيقول: ترى من أين أتيت؟ والعجب أنه يعلم من أين أتى ويعرف الطريق التي قطعت عليه، وأخذ فيها. ويأبى إلا سلوكها. لأن دليلها قد تمكن منه وتحكم فيه، وقوى عليه. ولو أضعفه بالمخالفة له، وزجره إذا دعاه وحاربه إذا أراد أخذه لم يتمكن منه، ولكن هو مكنه من نفسه، وهو أعطاه يده، فهو بمنزلة الرجل يضع يده في يد عدوه فيباشره ثم يسومه سوء العذاب، فهو يستغيث فلا يغاث. فهكذا يستأسر للشيطان والهوى ولنفسه الامارة. ثم يطلب الخلاص فيعجز عنه *

فلما أن بلى العبد بما بلى به أعين بالعساكر والعدد والحصون. وقيل له:

قاتل عدوك وجاهده بهذه الجنود خذ منها ما شئت ، وهذه الحصون تحصن بأي حصن شئت منها ، ورابط إلى الموت فالأمر قريب ، ومدة المرابطة يسيرة جداً فكأنك بالملك الأعظم وقد أرسل إليك رسله فنقلوك إلى داره ، واسترحت من هذا الجهاد ، وفرق بينك وبين عدوك ، وأطلقت في دار الكرامة تتقلب فيها كيف شئت . وسجن عدوك في أصعب الحبوس ، وأنت تراه . فالسجن الذي كان يريد أن يودعك فيه قد أدخله وأغلقت عليه أبوابه ، وأيس من الروح والفرج ، وأنت فيما اشتهت نفسك ، وقرت عينك جزاء على صبرك في تلك المدة اليسيرة ولزومك الثغر للرباط ، وما كانت إلا ساعة ثم انقضت وكأن الشدة لم تكن *

فإن ضعفت النفس عن ملاحظة قصر الوقت وسرعة انقضائه فليتدبر قوله عز وجل : ( كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ) ، وقوله عز وجل : ( كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ) وقوله عز وجل : ( قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ؟ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) وقوله عز وجل : ( يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا * يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ) وخطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه يوماً فلما كانت الشمس على رؤس الجبال ، وذلك عند الغروب قال : « إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه » *

فليتأمل العاقل الناصح لنفسه هـذا الحديث ، وليعلم اى شيء حصل له من هذا الوقت الذى قد بقى من الدنيـا بأسرها ، ليعـلم أنه فى غرور وأضغاث أحلام . وانه قد باع سعادة الأبد والنعيم المقيم بحظ خسيس لا يساوى شيئا . ولو طلب الله تعالى والدار الآخرة لأعطاه ذلك الحظ هنيئا موفورا ، وأكمل منه . كما فى بعض الآثار : « ابن آدم بع الدنيا بالآخرة تربحهما جميعا ، ولا تبع الآخرة بالدنيا تخسرهما جميعا » *

وقال بعض السلف : ابن آدم أنت محتاج إلى نصيبك من الدنيا وأنت الى نصيبك من الآخرة أحوج . فان بدأت بنصيبك من الدنيا أضعت نصيبك من الآخرة ، وكنت من نصيب الدنيا عـلى خطر ، وان بدأت بنصيبك من الآخرة فزت بنصيبك من الدنيا فانتظما انتظاما » *

وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يقول فى خطبته « أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثـا ، ولم تتركوا سدى ، وان لـكم معادا يجمعكم الله عز وجل فيه للحكم فيكم ، والفصل بينكم ، فخاب وشقى عبد أخرجه الله عز وجل من رحمته التى وسعت كل شيء ، وجنته التى عرضها السموات والأرض . وانما يكون الأمان غـداً لمن خاف الله تعالى واتقى ، وباع قليلا بكثير ، وفانيا بباق ، وشقاوة بسعادة . ألا ترون أنكم فى أصلاب الهالـكين ، وسيخلفكم بعدكم الباقون ، ألا ترون انكم فى كل يوم تشيعون غاديا رائحا الى الله قد قضى نحبه ، وانقطع أمـله ، فتضعونه فى بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب ؟ » *

والمقصود أن الله عز وجل قد أمد العبد فى هـــذه المدة اليسيرة بالجنود والعدد والأمداد ، وبين له بما ذا يحرز نفسه من عدوه ، وبما

يقتك نفسه اذا أسر •

وقد روى الامام احمد رضي الله عنه والترمذى من حديث الحارث الأشعرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ان الله سبحانه وتعالى أمر يحيى بن زكريا صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات ، أن يعمل بها ويأمر بنى اسرائيل أن يعملوا بها . وانه كادأن يبطىء بها . فقال له عيسى عليه السلام : ان الله تعالى أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بنى اسرائيل أن يعملوا بها ، فاماأن تأمرهم واماأن آمرهم ، فقال يحيى : أخشى إن سبقتني بها أن يخسف بى أو أعذب . فجمع الناس فى بيت المقدس فامتلأ المسجد ، وقعدوا على الشرف . فقال : إن الله تبارك وتعالى أمرنى بخمس كلمات ، أن اعملهن وآمركم أن تعملوا بهن : أولاهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وإن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو ورق ، فقال . هذه دارى ، وهذا عملى، فاعمل وأد الى . فكان يعمل ويؤدى الى غير سيده . فايكم يرضى أن يكون عبده كذلك ؟ وان الله أمركم بالصلاة فاذا صليتم فلا تلتفتوا . فان الله ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته مالم يلتفت وءامركم بالصيام . فان مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك . فكلهم يعجب ، أو يعجبه ريحه ، وان ريح الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك وءامركم (١) بالصدقة . فان مثل ذلك مثل رجل أسره العدو ، فاوثقوا يده إلى عنقه ، وقدموه ليضربوا عنقه . فقال : أنا أفدى نفسى منكم بالقليل

---

(١) ضبط ءامركم هنا وفى سائر الخمس بمد الهمزة مسندا الى المتكلم لأن الله تعالى ظلمه أن يامرهم بذلك ، ولكنه أسند الأمر بالصلاة الى الله تعالى فكان مقتضاه أن يعطف عليه مابعده •

والكثير . ففدى نفسه منهم . وآمركم أن تذكروا الله تعالى . فان مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو فى أثره سراعا . حتى إذا أتى على حصن حصين فاحرز نفسه منهم . كذلك العبد لايحرز نفسه من الشيطان الا بذكر الله تعالى »

قال النبى ﷺ : وأنا آمركم بخمس الله أمرنى بهن. السمع والطاعة والجهاد . والهجرة . والجماعة فانه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه . إلا أن يراجع ومن ادعى دعوى الجاهلية فانه من جثى جهنم فقال رجل : يارسول الله . وإن صلى وصام ؟ فادعوا بدعوى الله الذى سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله» قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح (١) *

فقد ذكر ﷺ فى هذا الحديث العظيم الشان الذى ينبغى لكل مسلم حفظه وتعقله ما ينجى من الشيطان وما يحصل للعبد به الفوز والنجاة فى دنياه وأخراه *

فذكر مثل الموحد والمشرك . فالموحد : كمن عمل لسيده فى داره وأدى لسيده ما استعمله فيه . والمشرك : كمن استعمله سيده فى داره فكان يعمل ويؤدى خراجه وعمله الى غير سيده ، فهكذا المشرك يعمل

---

(١) ورواه النسائى ببعضه. وابن خزيمة. وابن حبان فى صحيحيهما والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى ومسلم . قال الحافظ عبد العظيم المنذرى : وليس للحرث الأشعرى فى الكتب الستة الا هذا الحديث « والربقة » بكسر الراء وفتحها وسكون الباء الموحدة : واحدة الربق : وهى عرى تشد فى حبل اليه وتستعار لغيره ، و «جثى» بضم الجيم بعدها مثلثة أى من جماعات جهنم *

لغير الله تعالى فى دار الله تعالى، ويتقرب الى عدو الله تعالى بنعم الله تعالى.

ومعلوم أن العبد من بنى آدم لو كان عنده مملوك كذلك لكان أمقت المماليك عنده، وكان أشد شىء غضبا عليه وطردا له وابعادا وهو مخلوق مثله كلاهما فى نعمة غيرهما فكيف برب العالمين الذى ما بالعبد من نعمة فمنه وحده لا شريك له ؟، ولا يأتى بالحسنات إلا هو، ولا يصرف السيئات إلا هو، وهو وحده المنفرد بخلق عبده ورحمته وتدبيره ورزقه، ومعافاته وقضاء حوائجه، فكيف يليق به مع هذا ان يعدل به غيره فى الحب والخوف والرجاء والحلف، والنذر، والمعاملة ؟ فيحب غيره كما يحبه أو أكثر، ويخاف غيره ويرجوه كما يخافه أو أكثر، وشواهد أحوالهم، بل وأقوالهم وأعمالهم ناطقة بانهم يحبون انداده. من الأحياء والأموات ويخافونهم ويرجونهم ويعاملونهم ويطلبون رضاهم، ويهربون من سخطهم أعظم مما يحبون الله تعالى ويخافون ويرجون، ويهربون من سخطه(١) وهذا هو الشرك الذى لا يغفره الله عزوجل. قال الله سبحانه وتعالى: ( إن الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ).

---

(١) واكبر مايدل على ذلك وأوضحه ماتراه منهم، يقف الواحد منهم أمام قبر معبوده خاشعا وجلا، ترتعد فرائصه وينتفض من شدة الرهبة والخشية. يسال هذا الميت حاجته بغاية الذلة والضراعة والمسكنة، ويناجيه باوضح ما يعبر عن ما فى قلبه لهذا المقبور من الذلة والخشية والخضوع ويهون عليه عزيز ماله يضعه فى صندوق النذور طيبة به نفسه. فاذا قام بين يدى ربه فى الصلاة وقف فى صلف وقلة اكتراث ونقرها كما ينقر الغراب وأجرى الفاظ القرءان والذكر والدعاء على لسانه سراعا يلويها ويلمظها لايفقه معه لها معنى؛ ولايحس قلبه ولا نفسه معها باى

والظلم عندالله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة : ديوان لايغفر الله منه شيئا . وهو الشرك به . فان الله لايغفر أن يشرك به ، وديوان لايترك الله تعالى منه شيئا . وهو ظلم العباد بعضهم بعضا ، فان الله تعالى يستوفيه كله ، وديوان لايعبأ الله به شيئا . وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل ، فان هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محوا ، فانه يمحى بالتوبة والاستغفار ، والحسنات الماحية ، والمصائب المكفرة . ونحو ذلك ، بخلاف ديوان الشرك . فانه لايمحى إلا بالتوحيد ، وديوان المظالم فانه لايمحى الا بالخروج منها الى أربابها واستحلالهم منها *

ولما كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله عز وجل حرم الجنة على أهله . فلا يدخل الجنة نفس مشركة وانما يدخلها أهل التوحيد فان التوحيد هو مفتاح بابها . فمن لم يكن معه مفتاح لم يفتح له بابها ، وكذلك ان اتى بمفتاح لا أسنان له لم يمكن الفتح به *

وأسنان هذا المفتاح هي الصلاة والصيام ، والزكاة والحج ، والجهاد ، والأمر بالمعروف . والنهي عن المنكر . وصدق الحديث . وأداء الأمانة . وصلة الرحم . وبر الوالدين . فاي عبد اتخذ في هذه الدار مفتاحا صالحا من التوحيد . وركب فيه أسنانا من الاوامر جاء يوم القيامة الى باب الجنة ومعه مفتاحها الذي لايفتح الا به . فلم يعقه عن الفتح عائق اللهم الا ان تكون له ذنوب وخطايا وأوزار لم يذهب عنه أثرها في هذه

---

خشية ولا اجلال لله سبحانه وهذا وأمثاله أوضح مايدل على أن هؤلاء يخافون انداده والهتهم الموتى أشد مما يخافون الله ويعدونهم سراوجهرا أعظم مما يعبدون الله . وان زعم أشباه العلماء أنهم ليسوا مشركين . فلا ينفعهم ذلك مثقال ذرة في الواقع وعند الله *

الدار بالتوبة والاستغفار ، فانه يحبس عن الجنة حتى يتطهر منها ، وإن لم يطهره الموقف وأهواله وشدائده فلابد من دخول النار ليخرج خبثه فيها ويتطهر من درنه ووسخه ، ثم يخرج منها فيدخل الجنة فانها دار الطيبين لايدخلها إلا طيب قال سبحانه وتعالى: (الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ) وقال تعالى (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ) فعقب دخولها على الطيب بحرف الفاء الذى يؤذن بأنه سبب للدخول أى بسبب طيبكم قيل لكم ادخلوها ٭

وأما النار فانها دار الخبث فى الأقوال ، والأعمال ، والمآكل ، والمشارب ودار الخبيثين ، فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيركمه كما يركم الشيء لتراكب بعضه على بعض . ثم يجعله فى جهنم مع أهله . فليس فيها إلا خبيث ، ولما كان الناس على ثلاث طبقات طيب لايشوبه خبث ، وخبيث لاطيب فيه وآخرون فيهم خبث وطيب كانت دورهم ثلاثة : دار الطيب المحض ، ودار الخبث المحض ، وهاتان الداران لاتفنيان ، ودار لمن معه خبث وطيب : وهى الدار التى تفنى ، وهى دار العصاة فانه لايبقى فى جهنم من عصاة الموحدين أحد فانهم إذا عذبوا بقدر جزائهم اخرجوا من النار فادخلوا الجنة . ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ، ودار الخبث المحض ٭

وقوله فى الحديث « وأمركم بالصلاة فاذا صليتم فلا تلتفتوا فان الله

ينصب وجهه لوجه عبده فى صلاته مالم يلتفت » الالتفات المنهى عنه فى الصلاة قسمان ٭

﴿ احدهما ﴾ التفات القلب عن الله عز وجل إلى غير الله تعالى ٭

﴿ والثانى ﴾ التفات البصر . وكلاهما منهى عنه ٭

ولا يزال الله مقبلا على عبده مادام العبد مقبلا على صلاته فاذا التفت بقلبه أو ببصره أعرض الله تعالى عنه (١) وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التفات الرجل فى صلاته فقال «اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد (٢) » وفى أثر « يقول الله تعالى إلى خير منى؟ الى خير منى ؟ (٣) » ٭

ومثال من يلتفت فى صلاته ببصره أو بقلبه مثل رجل قد استدعاه السلطان ، فأوقفه بين يديه ، وأقبل يناديه ويخاطبه ، وهو فى خلال ذلك يلتفت ، عن السلطان يمينا وشمالا . وقد انصرف قلبه عن السلطان . فلا يفهم ما يخاطبه به . لأن قلبه ليس حاضرا معه . فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان ؟ أفليس أقل المراتب فى حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتا مبعدا قد سقط من عينيه ؟ فهذا المصلى لايستوى والحاضر القلب المقبل على الله تعالى فى صلاته ، الذى قد أشعر قلبه عظمة من هو

---

(١) روى أحمد. وابو داود . والنسائى عن أبى الأحوص عن أبى ذر قال قال رسول الله ﷺ « لايزال الله مقبلا على العبد فى صلاته مالم يلتفت فاذا صرف وجهه انصرف عنه »

(٢) رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها ٭

(٣) ذكره الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب بصيغة التمريض عن جابر عن النبى ﷺ فى حديث طويل . ثم قال : رواه البزار ٭

واقف بين يديه : فامتلا قلبه من هيبته ، وذلت عنقه له ، واستحيى من ربه تعالى أن يقبل على غيره أو يلتفت عنه . وبين صلاتيهما كما قال حسان ابن عطية : « إن الرجلين ليكونان فى الصلاة الواحدة وان ما بينهما فى الفضل كما بين السماء والأرض ، وذلك أن أحدهما مقبل بقلبه على الله عز وجل والآخر ساه غافل . فاذا أقبل العبد على مخلوق مثله وبينه وبينه حجاب لم يكن اقبالا ولا تقريبا . فما الظن بالخالق عز وجل ؟ واذا أقبل على الخالق عز وجل وبينه وبينه حجاب الشهوات والوساوس والنفس مشغوفة بها ، ملأى منها . فكيف يكون ذلك اقبالا ، وقد ألهته الوساوس والأفكار ، وذهبت به كل مذهب ».

والعبد اذا قام فى الصلاة غار الشيطان منه ، فانه قد قام فى أعظم مقام وأقربه وأغيظه للشيطان ، وأشده عليه ، فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهاد أن لا يقيمه فيه . بل لا يزال به يعده ويمنيه وينسيه ، ويجلب عليه بخيله ورجله حتى يهون عليه شأن الصلاة ، فيتهاون بها فيتركها . فان عجز عن ذلك منه وعصاه العبد وقام فى ذلك المقام أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه ، ويحول بينه وبين قلبه فيذكره فى الصلاة مالم يكن يذكر قبل دخوله فيها ، حتى ربما كان قد نسى الشىء والحاجة وأيس منها فيذكره اياها فى الصلاة ليشغل قلبه بها ، ويأخذه عن الله عز وجل ، فيقوم فيها بلا قلب ، فلا ينال من اقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه عز وجل ، الحاضر القلب فى صلاته ، فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها بخطاياه وذنوبه وأثقاله لم تخف عنه بالصلاة فان الصلاة انما تكفر سيئات من أدى حقها ، وأكمل خشوعها ، ووقف بين يدى الله تعالى بقلبه وقالبه . فهذا اذا انصرف منها وجد خفة من نفسه

وأحس بأثقال قد وضعت عنه، فوجد نشاطا وراحة وروحا، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها. لأنها قرة عينيه، ونعيم روحه، وجنة قلبه ومستراحه فى الدنيا. فلا يزال كأنه فى سجن وضيق حتى يدخل فيها فيستريح بها. لا منها. فالمحبون يقولون: نصلى فنستريح بصلاتنا كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم صلى الله عليه وسلم «يا بلال أرحنا بالصلاة (١)» ولم يقل أرحنا منها. وقال ﷺ «جعلت قرة عينى فى الصلاة» (٢) فمن جعلت قرة عينه فى الصلاة كيف تقر عينه ﷺ بدونها؛ وكيف يطيق الصبر عنها، فصلاة هذا الخاشع بقلبه الذى قرة عينه فى الصلاة هى التى تصعد، ولها نور وبرهان، حتى يستقبل بها الرحمن عز وجل فتقول «حفظك الله تعالى كما حفظتنى» وأما صلاة المفرط المضيع لحقوقها وحدودها وخشوعها، فانها «تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها وتقول: ضيعك الله كما ضيعتنى» وقد روى فى حديث مرفوع رواه بكر ابن بشر عن سعيد بن سنان عن أبى الزاهرية عن أبى شجرة عن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما يرفعه أنه قال «ما من مؤمن يتم الوضوء الى أماكنه ثم يقوم الى الصلاة فى وقتها فيؤديها لله عز وجل لم ينقص من وقتها وركوعها وسجودها ومعالمها شيئا الا رفعت له الى الله عز وجل بيضاء مسفرة يستضىء بنورها ما بين الخافقين حتى ينتهى بها الى الرحمن عز وجل ومن قام الى الصلاة فلم يكمل وضوءها وأخرها عن وقتها واسترق ركوعها

(١) رواه أبو داود عن سالم بن أبى الجعد

(٢) أخرجه النسائى والحاكم عن انس بلفظ «حبب الى من دنيا كم النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة» وقد أطال القول فى تخريجه والكلام على رواياته العجلونى فى كشف الخفاء.

وسجودها ومعالمها رفعت عنه سوداء مظلمة ثم لاتجاوز شعر رأسه تقول ضيعك الله كما ضيعتني : ضيعك الله كما ضيعتني » (١).

فالصلاة المقبولة والعمل المقبول : أن يصلي العبد صلاة تليق بربه عز وجل . فاذا كانت صلاة تصلح لربه تبارك وتعالى وتليق به كانت مقبولة.
والمقبول من العمل قسمان .

﴿ احدهما ﴾ أن يصلي العبد ، ويعمل سائر الطاعات وقلبه متعلق بالله عز وجل ، ذاكر لله عز وجل على الدوام ، فأعمال هذا العبد تعرض على الله عز وجل ، حتى تقف قبالته ، فينظر الله عز وجل اليها فاذا نظر اليها رآها خالصة لوجهه مرضية ، قد صدرت عن قلب سليم مخلص محب لله عز وجل متقرب اليه ، أحبها ورضيها وقبلها .

﴿ والقسم الثاني ﴾ أن يعمل العبد الأعمال على العادة والغفلة ، وينوي بها الطاعة والتقرب الى الله فاركانه مشغولة بالطاعة ، وقلبه لاه عن ذكر الله . وكذلك سائر أعماله . فاذا رفعت أعمال هذا الى الله عز وجل لم تقف تجاهه ، ولا يقع نظره عليها ، ولكن توضع حيث توضع دواوين الأعمال حتى تعرض عليه يوم القيامة . فتميز . فيثيبه على ما كان له منها ويرد عليه مالم يرد وجهه منها . فهذا قبوله لهذا العمل . إثابته عليه

---

(١) هذا الحديث بحثت عن سنده فلم أجده . وقد رواه الطبراني في الكبير بنحو ما هنا من اللفظ عن عبادة بن الصامت . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : وفي سنده الأحوص بن حكيم وثقه ابن المديني والعجلي. وضعفه جماعة . وبقية رجاله موثقون . وروى الطبراني مثله في الأوسط عن أنس بن مالك وقال في مجمع الزوائد . فيه عباد بن كثير . وقد أجمعوا على ضعفه .

بمخلوق من مخلوقاته من القصور والاكل والشرب ، والحور العين ، واثابة الأول . رضا العمل لنفسه ورضاه عن معاملة عامله وتقريبه منه واعلاء درجته ومنزلته ، فهذا يعطيه بغير حساب . فهذا لون والأول لون *

والناس فى الصلاة على مراتب خمسة *

﴿ أحدها ﴾ مرتبة الظالم لنفسه المفرط . وهو الذى انتقص من وضوئها ، ومواقيتها ، وحدودها . وأركانها *

﴿ الثانى ﴾ : من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها ، لكن قد ضيع مجاهدة نفسه فى الوسوسة . فذهب مع الوساوس والأفكار *

﴿ الثالث ﴾ من حافظ على حدودها وأركانها ، وجاهد نفسه فى دفع الوساوس والأفكار . فهو مشغول بمجاهدة عدوه ، لئلا يسرق صلاته فهو فى صلاة وجهاد *

﴿ الرابع ﴾ من اذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها ، لئلا يضيع شيئا منها ، بل همه كله مصروف إلى اقامتها كما ينبغى ، واكمالها واتمامها ، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها *

﴿ الخامس ﴾ من اذا قام الى الصلاة قام اليها كذلك ، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدى ربه عز وجل ناظراً بقلبه اليه ، مراقبا له ممتلئا من محبته وعظمته ، كأنه يراه ويشاهده ، وقد اضمحلت تلك الوساوس والخطرات ، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه ، فهذا بينه وبين غيره فى الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض . وهذا فى صلاته مشغول بربه عز وجل قرير العين به *

فالقسم الأول معاقب ، والثانى محاسب، والثالث مكفر عنه ، والرابع مثاب ، والخامس مقرب اليه لان له نصيبا ممن جعلت قرة عينه فى الصلاة فمن قرت عينه بصلاته فى الدنيا قرت عينه بقربه من ربه عز وجل فى الآخرة ، وقرت عينه أيضا به فى الدنيا ، ومن قرت عينه بالله قرت به كل عين ، ومن لم تقر عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات.

وقد روى «أن العبد إذا قام يصلى قال الله عز وجل : ارفعوا الحجب فاذا التفت قال ارخوها» وقد فسر هذا الالتفات بالتفات القلب عن الله عز وجل إلى غيره فاذا التفت الى غيره أرخى الحجاب بينه وبين العبد، فدخل الشيطان وعرض عليه أمور الدنيا ، وأراه إياها فى صورة المرآة . وإذا اقبل بقلبه على الله ولم يلتفت لم يقدر الشيطان على أن يتوسط بين الله تعالى وبين ذلك القلب ، وإنما يدخل الشيطان اذا وقع الحجاب فان فر الى الله تعالى عز وجل ، وأحضر قلبه فر الشيطان . فان التفت حضر الشيطان . فهو هكذا شأنه وشأن عدوه فى الصلاة .

## ( فصل )

وانما يقوى العبد على حضوره فى الصلاة واشتغاله فيها بربه عز وجل إذا قهر شهوته وهواه ، وإلا فقلب قد قهرته الشهوة ، وأسره الهوى ، ووجد الشيطان فيه مقعداً تمكن فيه كيف يخلص من الوساوس والافكار ؟

والقلوب ثلاثة : قلب خال من الايمان وجميع الخير . فذلك قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه لأنه قد اتخذه بيتا ووطنا وتحكم فيه بما يريد ، وتمكن منه غاية التمكن .

القلب الثانى : قلب قد استنار بنور الايمان . وأوقد فيه مصباحه . لكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف الأهوية . فللشيطان هناك إقبال

وإدبار ، ومجالات ومطالع ، فالحرب دول وسجال ، وتختلف أحوال هذا الصنف بالقلة والكثرة ، فمنهم من أوقات غلبته لعدوه أكثر ، ومنهم من أوقات غلبة عدوه له أكثر ، ومنهم من هو تارة وتارة *

القلب الثالث: قلب محشو بالإيمان، قد استنار بنور الإيمان وانقشعت عنه حجب الشهوات وأقلعت عنه تلك الظلمات، فلنوره في صدره إشراق، ولذلك الإشراق إيقاد لو دنا منه الوسواس احترق به فهو كالسماء التي حرست بالنجوم فلو دنا منها الشيطان يتخطاها رجم فاحترق *

وليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن ، وحراسة الله تعالى له أتم من حراسة السماء ، والسماء متعبد الملائكة ومستقر الوحي ، وفيها أنوار الطاعات ، وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان وفيه أنوارها فهو حقيق أن يحرس ويحفظ من كيد العدو فلا ينال منه شيئاً إلا خطفه *

وقد مثل ذلك بمثال حسن وهو ثلاثة بيوت: بيت للملك فيه كنوزه وذخائره وجواهره ، وبيت العبد فيه كنوز العبد وذخائره وجواهره وليست كجواهر الملك وذخائره

وبيت خال صفر لا شئ فيه . فجاء اللص يسرق من أحد البيوت فمن أيها يسرق ؟

﴿ فإن قلت ﴾ : من البيت الخالي كان محالا لأن البيت الخالي ليس فيه شئ يسرق ، ولهذا قيل لابن عباس رضي الله عنهما : إن اليهود تزعم أنها لا توسوس في صلاتها . فقال : وما يصنع الشيطان بالقلب الخراب *

﴿ وإن قلت ﴾ : يسرق من بيت الملك كان ذلك كالمستحيل الممتنع . فإن عليه من الحرس واليزك ما لا يستطيع اللص الدنو منه . كيف وحارسه

الملك بنفسه ؟ وكيف يستطيع اللص الدنو منه وحوله من الحرس والجند ماحوله ؟ فلم يبق للص الا البيت الثالث فهو الذى يشن عليه الغارات .

فليتأمل اللبيب هذا المثال حق التامل ، وليتزله على القلوب فانها على منواله .

فقلب خلا من الخير كله ، وهو قلب الكافر والمنافق فذلك بيت الشيطان قد أحرزه لنفسه واستوطنه واتخذه سكنا ومستقرا فاى شيء يسرق منه وفيه خزائنه وذخائره وشكوكه وخيالاته ووساوسه ؟ .

وقلب قد امتلأ من جلال الله عز وجل وعظمته ومحبته ومراقبته والحياء منه فاى شيطان يجترىء على هذا القلب ؟ وإن أراد سرقة شيء منه فماذا يسرق ؟ وغايته أن يظفر فى الأحايين منه بخطفة ونهبا يحصل له على غرة من العبد وغفلة لابدله منها اذ هو بشر ، وأحكام البشرية جارية عليه من الغفلة والسهو والذهول وغلبة الطبع .

وقد ذكر عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى أنه قال فى بعض الكتب الالهية : « لست اسكن البيوت ولاتسعنى ، وأى شيء يسعنى والسموات حشو كرسى ؟ ولكن أنا فى قلب الوادع التارك لكل شيء سواى » وهذا معنى الأثر الآخر « ما وسعتنى سمواتى ولا أرضى ، ووسعنى قلب عبدى المؤمن » .

وقلب فيه توحيد الله تعالى ومعرفته ومحبته والايمان به والتصديق بوعده ووعيده ، وفيه شهوات النفس واخلاقها ودواعى الهوى والطبع .

وقلب بين هذين الداعيين ، فمرة يميل بقلبه داعى الايمان والمعرفة والمحبة لله تعالى وارادته وحده ، ومرة يميل بقلبه لداعى الشيطان والهوى والطباع فهذا القلب للشيطان فيه مطمع وله منه منازلات ووقائع ،

ويعطى الله النصر من يشاء (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم)*

وهذا لا يتمكن الشيطان منه إلا بما عنده من سلاحه فيدخل اليه الشيطان فيجد سلاحه عنده فيأخذه ويقاتله به فان اسلحته هى الشهوات والشبهات والخيالات والامانى الكاذبة ، وهى فى القلب فيدخل الشيطان فيجدها عتيدة فيأخذها ويصول بها على القلب فان كان عند العبد عدة عتيدة من الايمان تقاوم تلك العدة وتزيد عليها انتصف من الشيطان وإلا فالدولة لعدوه عليه . ولا حول ولا قوة إلا بالله فاذا أذن العبد لعدوه . وفتح له باب بيته وأدخله عليه ومكنه من السلاح يقاتله به فهو الملوم *

فنفسك لم ولا تلم المطايا * ومت كمدا فليس لك اعتذار

عدنا إلى شرح حديث الحارث الذى فيه ذكر ما يحرز العبد من عدوه؛

قوله ﷺ « وءامركم بالصيام فان مثل ذلك مثل رجل فى عصابة معه صرة فيها مسك فكلهم يعجب ـ أو يعجبه ـ ريحه وان ريح الصيام أطيب عند الله من ريح المسك » إنما مثل ﷺ ذلك الصائم صاحب الصرة التى فيها المسك لأنها مستورة عن العيون مخبوءة تحت ثيابه ، كعادة حامل المسك ، وهكذا الصائم صومه مستور عن مشاهدة الخلق لا تدركه حواسهم ، والصائم هو الذى صامت جوارحه عن الآثام ، ولسانه عن الكذب والفحش وقول الزور ، وبطنه عن الطعام والشراب وفرجه عن الرفث . فان تكلم لم يتكلم بما يجرح صومه ، وإن فعل لم يفعل ما يفسد صومه ، فيخرج كلامه كله نافعا صالحا ، وكذلك أعماله . فهى بمنزلة الرائحة التى يشمها من جالس حامل المسك ، كذلك من جالس الصائم انتفع بمجالسته ، وأمن فيها من الزور والكذب والفجور والظلم . هذا هو الصوم المشروع . لا مجرد الامساك عن الطعام والشراب . ففى الحديث

الصحيح « من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه » وفي الحديث « رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش » فالصوم ( الكامل ) هو صوم الجوارح عن الآثام وصوم البطن عن الشراب والطعام فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده، فهكذا الآثام تقطع ثوابه، وتفسد ثمرته، فتصيره بمنزلة من لم يصم *

وقد اختلف في وجود هذه الرائحة من الصائم : هل هي في الدنيا، أو في الآخرة؟ على قولين *

ووقع بين الشيخين الفاضلين، أبي محمد بن عبد السلام، وأبي عمرو بن الصلاح في ذلك تنازع، فمال أبو محمد إلى أن تلك في الآخرة خاصة. وصنف فيه مصنفا. ومال الشيخ أبو عمرو إلى أن ذلك في الدنيا والآخرة وصنف فيه مصنفا، رد فيه على أبي محمد. وسلك ابو عمرو في ذلك مسلك أبي حاتم بن حبان. فإنه في صحيحه. بوب عليه كذلك، فقال ( ذكر البيان بأن خلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك) ثم ساق حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « كل عمل ابن آدم له، الا الصيام والصيام لي. وأنا أجزى به ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» ه (١)

---

(١)ورواه البخاري ومسلم وغيرهما بألفاظ مختلفة. و « الخلوف » بفتح الخاء المعجمة وضم اللام : تغير رائحة الفم من ترك الطعام والشراب وسئل سفيان بن عيينة عن قوله « كل عمل ابن آدم له ألا الصوم فانه لي » فقال . اذا كان يوم القيامة يحاسب الله عز وجل عبده ويؤدى ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى الا الصوم . فيتحمل الله ما بقى عليه من المظالم، ويدخله بالصوم الجنة وعن أبي عبيد . أنه لا يقع فيه الرياء كما

ثم قال ( ذكر البيان بان خلوف فم الصائم يكون أطيب عند الله من ريح المسك يوم القيامة ) ثم ساق حديثا من حديث ابن جريج عن عطاء عن أبي صالح الزيات أنه سمع أبا هريرة يقول . قال رسول الله ﷺ « قال الله تبارك وتعالى : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فانه لى وأنا أجزى به . والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك ، للصائم فرحتان : إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقى الله تعالى فرح بصومه » *

قال أبو حاتم : شعار المؤمنين يوم القيامة التحجيل بوضوئهم فى الدنيا ، فرقا بينهم وبين سائر الأمم . وشعارهم فى القيامة بصومهم : طيب خلوف أفواههم أطيب من ريح المسك ليعرفوا من بين ذلك الجمع بذلك العمل جعلنا الله تعالى منهم *

ثم قال ( ذكر البيان بان خلوف فم الصائم قد يكون أيضا أطيب من ريح المسك فى الدنيا ) ثم ساق من حديث شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبى هريرة عن النبى ﷺ «كل حسنة يعملها ابن آدم بعشر حسنات إلى سبعمائة ضعف ، يقول الله عز وجل : إلا الصوم . فهو لى . وأنا أجزى به ، يدع الطعام من أجلى والشراب من أجلى ، وأنا أجزى به ،

---

يقع فى غيره من الأعمال وقيل . معناه أنا أجزى به وأنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته . فان بعض الأعمال قد كشف الله ثوابها . الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة الا الصوم فانه لى وأنا أجزى عليه جزاء من غير حساب . وقيل معناه : أنه احب الأعمال الى الله وهو المقدم عنده . وقال ابن عبد البر : كفى بقوله « الصوم لى » فضلا للصيام على سائر العبادات وقد أطال الحافظ ابن حجر فى هذا فارجع اليه ان شئت ( ج ٤ ص ٧٥-٧٧ ) *

وللصائم فرحتان : فرحة حين يفطر . وفرحة حين يلقى ربه عز وجل . ولخلوف فم الصائم حين يخلف من الطعام أطيب عند الله من ريح المسك»

واحتج الشيخ أبو محمد بالحديث الذى فيه تقييد الطيب بيوم القيامة

قلت ويشهد لقوله . الحديث المتفق عليه «والذى نفسى بيده ما من مكلوم يكلم فى سبيل الله ـ والله أعلم بمن يكلم فى سبيله ـ إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى ، اللون لون دم ، والريح ريح مسك » (١)

فاخبر ﷺ عن رائحة كلم المكلوم فى سبيل الله عز وجل بانها كريح المسك يوم القيامة وهو نظير اخباره عن خلوف فم الصائم . فان الحس يدل على أن هذا دم فى الدنيا . وهذا خلوف له . ولكن يجعل الله تعالى رائحة هذا وهذا مسكا يوم القيامة

واحتج الشيخ أبو عمرو بما ذكره ابو حاتم فى صحيحه من تقييد ذلك بوقت إخلافه وذلك يدل على أنه فى الدنيا فلما قيد المبتدأ وهو خلوف فم الصائم بالظرف وهو قوله : «حين يخلف » كان الخبر عنه وهو قوله « أطيب عند الله » خبراعنه فى حال تقييده فان المبتدا اذا تقيد بوصف أو حال أو ظرف كان الخبر عنه حال كونه مقيداً . فدل على أن طيبه عند الله تعالى ثابت حال اخلافه

قال : وروى الحسن بن سفيان فى مسنده عن جابر أن النبى ﷺ قال : « أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمس» فذكر الحديث وقال فيه : « وأما الثانية فانهم يمسون وريح أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك»

---

(١) الكلم ـ بفتح الكاف وسكون اللام ـ الجرح والحديث رواه البخاري ومسلم عن أبى هريرة

ثم ذكر كلام الشراح فى معنى طيبه وتاويلهم اياه بالثناء على الصائم والرضا بفعله على عادة كثير منهم بالتأويل من غير ضرورة حتى كأنه قد بورك فيه ، فهو موكل به (؟) واى ضرورة تدعو إلى تاويل كونه أطيب عند الله من ريح المسك : بالثناء على فاعله والرضا بفعله ، واخراج اللفظ عن حقيقته ؟ وكثير من هؤلاء ينشىء للفظ معنى ، ثم يدعى إرادة ذلك المعنى بلفظ النص ، من غير نظر منه الى استعمال ذلك اللفظ فى المعنى الذى عينه أو احتمال اللغة له . ومعلوم أن هذا يتضمن الشهادة على الله تعالى ورسوله ﷺ بان مراده من كلامه كيت وكيت ، فان لم يكن ذلك معلوما بوضع اللفظ لذلك المعنى ، أو عرف الشارع ﷺ وعادته المطردة ، أو الغالبة باستعمال ذلك اللفظ فى هذا المعنى ، أو تفسيره له به ، وإلا كانت شهادة باطلة ، وأدنى أحوالها أن تكون شهادة بلا علم ه

ومن المعلوم أن أطيب ما عند الناس من الرائحة رائحة المسك فمثل النبى ﷺ هذا الخلوف عند الله تعالى بطيب رائحة المسك عندنا واعظم . ونسبة استطابة ذلك اليه سبحانه وتعالى كنسبة سائر صفاته وافعاله اليه ، فانها استطابة لا تماثل استطابة المخلوقين . كما ان رضاه وغضبه وفرحه وكراهته ، وحبه وبغضه ، لا تماثل ما للمخلوق من ذلك ، كما أن ذاته سبحانه وتعالى لا تشبه ذوات خلقه ، وصفاته لا تشبه صفاتهم وافعاله لا تشبه أفعالهم . وهو سبحانه وتعالى يستطيب الكلم الطيب فيصعد اليه ، والعمل الصالح فيرفعه . وليست هذه الاستطابة كاستطابتنا ه

ثم إن تأويله لا يرفع الاشكال ، إذ ما استشكله هؤلاء من الاستطابة يلزم مثله فى الرضا ، فان قال : رضا ليس كرضا المخلوقين ، فليقل : استطابة ليست كاستطابة المخلوقين . وعلى هذا جميع ما يجىء من هذا الباب ه

ثم قال : وأما ذكر يوم القيامة فى الحديث فلانه يوم الجزاء ، وفيه يظهر رجحان الخلوف فى الميزان على المسك المستعمل لدفع الرائحة الكريهة طلبا لرضاء الله تعالى ، حيث يؤمر باجتنابها ، واجتلاب الرائحة الطيبة ، كما في المساجد والصلوات وغيرها من العبادات . فخص يوم القيامة بالذكر فى بعض الروايات كما خص فى قوله تعالى ( إن ربهم بهم يومئذ لخبير )وأطلق فى باقيها نظرا إلى أن أصل أفضليته ثابت فى الدارين *

قلت : من العجب رده على أبى محمد بما لايكره أبو محمد ولا غيره . فان الذى فسر به الاستطابة المذكورة فى الدنيا ثناء الله تعالى على الصائمين ورضاه بفعلهم أمر لايكره مسلم . فان الله تعالى قد اثنى عليهم فى كتابه وفيما بلغه عنه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ورضى بفعله . فان كانت هذه هى الاستطابة ، فيرى الشيخ أبو محمد يكرها (١) والذى ذكره الشيخ أبو محمد : أن هذه الرائحة إنما يظهر طيبها على طيب المسك فى اليوم الذى يظهر فيه طيب دم الشهيد ، ويكون كرائحة المسك . ولا ريب أن ذلك يوم القيامة فان الصائم فى ذلك اليوم يجىء ورائحة فمه أطيب من رائحة المسك كما يجىء المكلوم فى سبيل الله عز وجل ورائحة دمه كذلك ، لاسيما والجهاد أفضل من الصيام . فان كان طيب رائحته إنما يظهر يوم القيامة فكذلك الصائم *

وأما حديث جابر « فانهم يمسون وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك » فهذه جملة حالية لاخبرية فان خبر إمسائه لايقترن بالواو . لانه خبر مبتدأ فلايجوز اقترانه بالواو . واذا كانت الجملة حالية فلابى محمد ان يقول :

---

(١) مقتضى ما قبله أن يقول : لايكرها — فى نفسها — وان انكر انها هى المرادة من الحديث . بل يفسره بما ذكره بعد وهو يتفق معه *

هى حال مقدرة والحال المقدرة يجوز تأخيرها عن زمن الفعل العامل فيها . ولهذا لو صرح بيوم القيامة فى مثل هذا . فقال « يمسون وخلوف أفواههم أطيب من ريح المسك يوم القيامة » لم يكن التركيب فاسدا . كأنه قال : يمسون وهذا حالهم يوم القيامة . وأما قوله : « لخلوف فم الصائم حين يخلف » فهذا الظرف تحقيق للمبتدأ . أو تأكيد له ، وبيان إرادة الحقيقة المفهومة منه لا مجازه ولا استعارته . وهذا كما تقول جهاد المؤمن حين يجاهد ، وصلاته حين يصلى يجزيه الله تعالى بها يوم القيامة ، ويرفع بها درجته يوم القيامة . وهذا قريب من قوله ﷺ : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » وليس المراد تقييد نفى الايمان المطلق عنه حالة مباشرة تلك الأعمال فقط بحيث إذا كملت مباشرته وانقطع فعله عاد اليه الايمان ، بل هذا النفى مستمر إلى حين التوبة ، وإلا فما دام مصرا وإن لم يباشر الفعل فالنفى لاحق به ، ولا يزول عنه اسم الذم ، والأحكام المترتبة على المباشرة الا بالتوبة النصوح والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفصل النزاع فى المسألة : أن يقال - حيث أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بأن ذلك الطيب يكون يوم القيامة فلأنه الوقت الذى يظهر فيه ثواب الأعمال وموجباتها من الخير والشر ، فيظهر للخلق طيب ذلك الخلوف على المسك ، كما يظهر فيه رائحة دم المكلوم فى سبيله كرائحة المسك ، وكما تظهر فيه السرائر وتبدو على الوجوه ، وتصير علانية ، ويظهر فيه قبح رائحة الكفار ، وسواد وجوههم . وحيث أخبر بأن ذلك حين يخلف وحين يمسون فلأنه وقت ظهور أثر العبادة ، ويكون حينئذ طيبها على ريح المسك عند الله تعالى وعند ملائكته . وان كانت تلك الرائحة

كريهة للعباد . فرب مكروه عند الناس محبوب عند الله تعالى، وبالعكس.
فان الناس يكرهونه لمنافرته طباعهم . والله تعالى يستطيبه ويحبه لموافقته
أمره ورضاه ومحبته . فيكون عنده أطيب من ريح المسك عندنا ، فاذا
كان يوم القيامة ظهر هذا الطيب للعباد وصار علانية . وهكذا سائر
آثار الأعمال من الخير والشر وانما يكمل ظهورها ويصير علانية في
الآخرة . وقد يقوى العمل ويتزايد حتى يستلزم ظهور بعض أثره على العبد
في الدنيا في الخير والشر كما هو مشاهد بالبصر والبصيرة *

قال ابن عباس: «ان للحسنة ضياء في الوجه ، ونورا في القلب ، وقوة
في البدن ، وسعة في الرزق ، ومحبة في قلوب الخلق . وان للسيئة
سواداً في الوجه وظلمة في القلب ، ووهنا في البدن ، ونقصا في الرزق ،
وبغضة في قلوب الخلق » *

وقال عثمان بن عفان : « ما عمل رجل عملا الا ألبسه الله تعالى رداءه
إن خيرا فخير . وان شرا فشر » *

وهذا أمر معلوم ، يشترك فيه وفي العلم به أصحاب البصائر وغيرهم
حتى ان الرجل الطيب البر لتشم منه رائحة طيبة ، وان لم يمس طيبا .
فتظهر طيب رائحة روحه على بدنه وثيابه والفاجر بالعكس . والمزكوم
الذي أصابه الهوى لا يشم لا هذا ولا هذا، بل زكامه يحمله على الانكار *
فهذا فصل الخطاب في هذه المسألة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب *

( فصل )

قوله : « وآمركم بالصدقة فان مثل ذلك مثل رجل أسره العدو
فأوثقوا يده الى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال : أنا أفدي نفسي منكم
بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم » *

هذا أيضا من الكلام الذى برهانه وجوده ، ودليله وقوعه ، فان للصدقة تأثيرا عجيبا فى دفع أنواع البلاء . ولو كانت من فاجر أو ظالم . بل من كافر . فان الله تعالى يدفع بها عنه أنواعا من البلاء . وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم ، وأهل الارض كلهم مقرن به لأنهم جربوه *

وقد روى الترمذى فى جامعه من حديث أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال : « إن الصدقة تطفىء غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء » وكما أنها تطفىء غضب الرب تبارك وتعالى فهى تطفىء الذنوب والخطايا كما يطفىء الماء النار *

وفى الترمذى عن معاذ بن جبل قال : كنت مع رسول الله ﷺ فى سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقال : ألا أدلك على أبواب الخير ؟ الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار . وصلاة الرجل فى جوف الليل شعار الصالحين ، ثم تلا (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) *

وفى بعض الآثار « باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطى الصدقة » *

وفى تمثيل النبى ﷺ ذلك بمن قدم ليضرب عنقه فافتدى نفسه منهم بما له كفاية . فان الصدقة تفدى العبد من عذاب الله تعالى . فان ذنوبه وخطاياه تقتضى هلاكه فتجىء الصدقة تفديه من العذاب وتفكه منه . ولهذا قال النبى ﷺ فى الحديث الصحيح لما خطب النساء يوم العيد « يامعشر النساء تصدقن ، ولو من حليكن فانى رأيتكن أكثر أهل النار » وكأنه حثهن ورغبهن على مايفدين به أنفسهن من النار *

وفى الصحيحين عن عدى بن حاتم قال قال رسول الله ﷺ « ما

منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا ما قدم ، وينظر أشام منه فلا يرى الا ماقدم وينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة » .

وفى حديث ابى ذر « انه قال سالت رسول الله ﷺ ماذا ينجى العبد من النار ؟ قال : الايمان بالله قلت يانبى الله مع الايمان عمل ؟ قال : ان ترضخ مما خولك الله ، أو ترضخ مما رزقك الله قلت يانبى الله فان كان فقيرا لا يجد ما يرضخ ؟ قال : يامر بالمعروف وينهى عن المنكر قلت : ان كان لايستطيع أن يامر بالمعروف وينهى عن المنكر قال : فليعن الأخرق قلت : يارسول الله أرايت ان كان لا يحسن أن يصنع ؟ قال : فليعن مظلوما قلت : يارسول الله أرأيت ان كان ضعيفا لايستطيع أن يعين مظلوما ؟ قال : « ماتريد أن تترك فى صاحبك من خير ؟ ليمسك اذاه عن الناس قلت : يارسول الله أرأيت ان فعل هذا يدخل الجنة ؟ قال . ما من مؤمن يصيب خصلة من هذه الخصال الاأخذت بيده حتى أدخلته الجنة » ذكره البيهقى فى كتاب شعب الايمان .

وقال عمر بن الخطاب : « ذكر لى أن الاعمال تباهى فتقول الصدقة : أنا أفضلكم » .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال : ضرب رسول الله ﷺ مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد أو جبتان من حديد (١) قد اضطرت أيديهما إلى ثدييهما وتراقيهما . فجعل المتصدق

---

(١) الجنة بضم الجيم وفتح النون مشدده ـ ما أجن المرء وستره . والمراد به هنا الدرع شبه ﷺ نعم الله على العبد بالجنة او الجبة فالمنفق كلما انفق اخلف الله عليه فاتسعت عليه النعم وسبغت ووفرت حتى تستره

كلما تصدق بصدقه انسطت عنه حتى تغشى أنامله وتعفو أثره وجعل البخيل كلماهم بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة مكانها. قال أبو هريرة فأنا رأيت رسول الله ﷺ يقول باصبعه هكذا فى جبته فرأيته يوسعها ولا تتسع »

ولما كان البخيل محبوسا عن الاحسان ممنوعا عن البر والخير كان جزاؤه من جنس عمله ، فهو ضيق الصدر ممنوع من الانشراح ، ضيق العطن ، صغير النفس ، قليل الفرح ، كثير الهم والغم والحزن ، لا يكاد تقضى له حاجة ولا يعان على مطلوب ، فهو كرجل عليه جبة من حديد قد جمعت يداه إلى عنقه بحيث لا يتمكن من اخراجها ولا حركتها وكلما أراد اخراجها أو توسيع تلك الجبة لزمت كل حلقة من حلقها موضعها. وهكذا البخيل كلما أراد أن يتصدق منعه بخله فبقى قلبه فى سجنه كما هو والمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه وانفسح بها صدره ، فهو بمنزلة اتساع تلك الجبة عليه . فكلما تصدق اتسع وانفسح وانشرح ، وقوى فرحه ، وعظم سروره ، ولو لم يكن فى الصدقة الا هذه الفائدة وحدها لكان العبد حقيقا بالاستكثار منها والمبادرة اليها .

وقد قال تعالى ( وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) .

وكان عبد الرحمن بن عوف أو سعد بن أبي وقاص يطوف بالبيت وليس له دأب الا هذه الدعوة « رب قنى شح نفسى ، رب قنى شح نفسى » فقيل له . أما تدعو بغير هذه الدعوة ؟ فقال « إذا وقيت شح نفسى

---

سترا كاملا فى الدنيا والآخرة والبخيل كلما اراد ان ينفق منعه الشح والحرص وخوف النقص لعدم ثقته بالله واطمئنانه الى ما عنده فيضيق الله عليه فى الدنيا والآخرة .

فقد أفلحت » .

والفرق بين الشح والبخل . أن الشح هو شدة الحرص على الشيء والاحفاء في طلبه ، والاستقصاء في تحصيله ، وجشع النفس عليه ، والبخل منع انفاقه بعد حصوله وحبه وامساكه ، فهو شحيح قبل حصوله ، بخيل بعد حصوله ، فالبخل ثمرة الشح ، والشح يدعو الى البخل . والشح كامن في النفس ، فمن بخل فقد أطاع شحه ، ومن لم يبخل فقد عصى شحه ووقى شره ، وذلك هو المفلح ( ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ) .

والسخي قريب من الله تعالى ومن خلقه ، ومن أهله . وقريب من الجنة ، وبعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله تعالى ، بعيد من خلقه ، بعيد من الجنة ، قريب من النار فجود الرجل يحببه الى أضداده وبخله يبغضه الى أولاده .

| | |
|---|---|
| ويظهر عيب المرء في الناس بخله | ويستره عنهم جميعا سخاؤه |
| تغط بأثواب السخاء فانني | أرى كل عيب ، فالسخاء غطاؤه |
| وقارن ـ اذا قارنت ـ حرا فانما | يزين ويزري بالفتى قرناؤه |
| وأقلل اذا ما اسطعت قولا فانه | اذا قل قول المرء قل خطاؤه |
| اذ قل مال المرء قل صديقه | وضاقت عليه أرضه وسماؤه |
| وأصبح لا يدري ، وان كان حازما | أقدامه خير له أم وراءه ؟ |
| اذا المرء لم يختر صديقا لنفسه | فناد به في الناس . هذا جزاؤه |

وحد السخاء بذل ما يحتاج اليه عند الحاجة ، وأن يوصل ذلك الى مستحقه بقدر الطاقة .

وليس كما قال بعض من نقص علمه : حد الجود بذل الموجود .

ولو كان كما قال هذا القائل لارتفع اسم السرف والتبذير ، وقد ورد الكتاب بذمهما ، وجاءت السنة بالنهي عنهما *

وإذا كان السخاء محمودا فمن وقف على حده سمي كريما . وكان للحمد مستوجبا ، ومن قصر عنه كان بخيلا ، وكان للذم مستوجبا ، وقد روى في أثر « ان الله عز وجل أقسم بعزته الا يجاوره بخيل » *

والسخاء نوعان ، فأشرفهما : سخاؤك عما بيد غيرك ، والثاني : سخاؤك ببذل ما في يدك . فقد يكون الرجل من أسخى الناس وهو لايعطيهم شيئا لأنه سخا عما في أيديهم . وهذا معنى قول بعضهم « السخاء أن تكون بمالك متبرعا ، وعن مال غيرك متورعا » *

وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول أوحى الله الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم « أتدري لم اتخذتك خليلا ؟ قال : لا قال : لأني رأيت العطا أحب اليك من الأخذ » وهذه صفة من صفات الرب جل جلاله ، فانه يعطي ولا يأخذ ، ويطعم ولا يطعم وهو أجود الأجودين ، وأكرم الأكرمين ، وأحب الخلق اليه من اتصف بمقتضيات صفاته . فانه كريم يحب الكريم من عباده وعالم يحب العلماء ، وقادر يحب الشجعان ، وجميل يحب الجمال *

روى الترمذي في جامعه قال : حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو عامر أخبرنا خالد بن الياس عن صالح بن أبي حسان قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول « ان الله طيب يحب الطيب . نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود »

قال . فذكرت ذلك للمهاجر بن مسمار فقال : حدثنيه عامر بن سعد عن أبيه رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله إلا أنه قال « فنظفوا أفنيتكم » هذا حديث غريب ، خالد بن الياس يضعف *

وفى الترمذى أيضا فى كتاب البر قال : حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا سعيد بن محمد الوراق عن يحي بن سعيد عن الاعرج عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ، ولجاهل سخى أحب الى الله تعالى من عابد بخيل » .

وفى الصحيح « أن الله تعالى وتر يحب الوتر » وهو سبحانه وتعالى رحيم يحب الرحماء وانما يرحم من عباده الرحماء ، وهو ستير يحب من يستر على عباده وعفو يحب من يعفو عنهم ، وغفور يحب من يغفر لهم ، ولطيف يحب اللطيف من عباده ويبغض الفظ الغليظ القاسى الجعظرى الجواظ (١) ورفيق يحب الرفق وحليم يحب الحليم ، وبر يحب البر وأهله ، وعدل يحب العدل ، وقابل المعاذير يحب من يقبل معاذير عباده ، ويجازى عبده بحسب هذه الصفات فيه وجوداً وعدما . فمن عفا عفا عنه . ومن غفر غفر له . ومن سامح سامحه ، ومن حاقق حاققه ، ومن رفق بعباده رفق به ، ومن رحم خلقه رحمه ، ومن أحسن إليهم أحسن اليه ، ومن جاد عليهم جاد عليه ، ومن نفعهم نفعه ، ومن سترهم ستره ، ومن صفح عنهم صفح عنه ، ومن تتبع عورتهم تتبع عورته ، ومن هتكهم هتكه وفضحه ، ومن منعهم خيره منعه خيره ، ومن شاق شاق الله تعالى به ، ومن مكر مكر به ، ومن خادعه خادعه ، ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها فى الدنيا والآخرة .

---

(١) الجعظرى - بفتح الجيم وسكون العين وفتح الظاء وكسر الراء ، والجواظ - بفتح الجيم وتشديد الواو المفتوحة . هو الفظ الغليظ المتكبر المتفخ بما ليس عنده

فالله تعالى لعبده على حسب مايكون العبد لخلقه ولهذا جاء فى الحديث « من ستر مسلما ستره الله تعالى فى الدنيا والآخرة، ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله تعالى عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله تعالى حسابه ، ومن أقال نادما أقاله الله تعالى عثرته ، ومن أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله تعالى فى ظل عرشه » (١) لأنه لما جعله فى ظل الانظار والصبر ونجاه من حر المطالبة وحرارة تكلف الاداء مع عسرته وعجزه نجاه الله تعالى من حر الشمس يوم القيامة إلى ظل العرش *

وكذلك الحديث الذى فى الترمذى وغيره عن النبى ﷺ أنه قال فى خطبته يوما : « يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان إلى قلبه لاتؤذوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته » (٢) فكما تدين تدان وكن كيف شئت فان الله تعالى لك كما تكون أنت له ولعباده *

ولما أظهر المنافقون الاسلام وأسروا الكفر أظهر الله تعالى لهم يوم القيامة نوراً على الصراط ، وأظهر لهم أنهم يجوزون الصراط وأسر لهم أن يطفىء نورهم ، وأن يحال بينهم وبين الصراط من جنس أعمالهم *

وكذلك من يظهر للخلق خلاف ما يعلمه الله فيه . فان الله تعالى

---

(١) رواه مسلم. وأبو داود. والترمذى عن أبى هريرة الى قوله : « ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة » وزادوا « والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون اخيه » وقوله : « ومن انظر معسرا » الخ حديث مستقل رواه الترمذى عن أبى هريرة وقال : حسن صحيح

(٢) رواه الترمذى عن عبد الله بن عمر ، وفيه «يامعشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه » وفيه « ولو فى جوف رحله » *

يظهر له فى الدنيا والآخرة أسباب الفلاح والنجاح والفوز ، ويبطن له خلافها .

وفى الحديث « من راءى راءى الله به ، ومن سمع سمع الله به » (١) .
والمقصود ان الكريم المتصدق يعطيه الله ما لا يعطى البخيل الممسك ويوسع عليه فى ذاته وخلقه ورزقه ونفسه وأسباب معيشته جزاء له من جنس عمله .

وقوله ﷺ : « وآمركم أن تذكروا الله تعالى » فان مثل ذلك مثل رجل خرج العدو فى أثره سراعا حتى إذا أتى إلى حصن حصين فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله فلو لم يكن فى الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة لكان حقيقاً بالعبد أن لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى ، وأن لا يزال لهجا بذكره فانه لا يحرز نفسه من عدوه إلا بالذكر ، ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة فهو يرصده فاذا غفل وثب عليه وافترسه . واذا ذكر الله تعالى انخنس عدو الله تعالى وتصاغر ، وانقمع حتى يكون كالوصع (٢) وكالذباب . ولهذا سمى « الوسواس الخناس » أى يوسوس فى الصدور فاذا ذكر الله تعالى خنس أى كف وانقبض . قال ابن عباس : « الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا سها وغفل وسوس فاذا ذكر الله تعالى خنس » .
وفى مسند الامام أحمد عن عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون

(١) رواه البخارى ومسلم عن جندب بن عبدالله بلفظ « ومن يراء يراء الله به » .

(٢) يروى بفتح الصاد وسكونها كما قال العلامة ابن الاثير فى النهاية وهو طائر اصغر من العصفور والجمع وصعان

عن زياد بن أبى زياد مولى عبد الله بن عباس بن أبى ربيعة أنه بلغه عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله ﷺ : «ما عمل آدمى عملا قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل» *

وقال معاذ : قال رسول الله ﷺ «ألا أخبركم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من انفاق الذهب والفضة ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى يارسول الله قال ذكر الله عز وجل» (١) *

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال «كان رسول الله ﷺ يسير فى طريق مكة فمر على جبل يقال له جمدان فقال : سيروا ، هذا جمدان سبق المفردون . قيل : وما المفردون يارسول الله ؟ قال : الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» (٢) *

وفى السنن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «ما من قوم يقومون من مجلس لايذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار . وكان عليهم حسرة» *

وفى رواية الترمذى «ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة (٣) فان شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم» *

---

(١) قال المنذرى باسناد جيد إلا أن فيه انقطاعا . ورواه الامام أحمد باسناد حسن ، وابن أبى الدنيا والترمذى وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح الاسناد والبيهقى عن أبى الدرداء *

(٢) المفردون : بضم الميم وفتح الفاء وتشديد الراء مكسورة . يقال فرد برأيه وأفرد وفرد ، واستفرد بمعنى . انفرد *

(٣) الترة بكسر التاء المثناة وفتح الراء المهملة بعدها هاء بدل الواو

وفى صحيح مسلم عن الأغر أبى مسلم قال . أشهد على أبى هريرة وأبى سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده» *

وفى الترمذى عن عبد الله بن بشر : أن رجلا قال : يارسول الله « إن أبواب الخير كثيرة ، ولا أستطيع القيام بكلها . فأخبرنى بما شئت أتشبث به . ولا تكثر على فأنسى - وفى رواية - إن شرائع الاسلام قد كثرت على وأنا قد كبرت فأخبرنى بشيء أتشبث به - قال : لا يزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى » (١) *

وفى الترمذى أيضا عن ابى سعيد أن رسول الله ﷺ سئل « أى العباد أفضل ، وأرفع درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال : « الذاكرون الله كثيراً قيل . يارسول الله ، ومن الغازى فى سبيل الله ؟ قال . لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى يتكسر ويختضب دما لكان الذاكر لله تعالى أفضل منه درجة» (٢) *

وفى صحيح البخارى عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال. «مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت » *

وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ يقول الله تبارك وتعالى: « أنا عند ظن عبدى بى ،وأنا معه اذا ذكرنى . فان ذكرنى فى

---

التى كانت فى أولها لان أصلها . وترت :هى النقص أو التبعة *

(١) هذه هى الرواية التى أخرجها الترمذى فى باب ما جاء فى فضل الذكر من جامعه . ولكن ليس فيها «وأنا قد كبرت» ولعلها فى النسخ المخطوطة

(٢) رواه الترمذى وقال : حديث غريب. ورواه البيهقى مختصرا

نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم ، وان تقرب الى شبراً تقربت اليه ذراعا ، وان تقرب الى ذراعا تقربت منه باعا . واذا أتانى يمشى أتيته هرولة » .

وفى الترمذى عن أنس . أن رسول الله ﷺ قال « اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا يارسول الله ، وما رياض الجنة ؟ قال . حلق الذكر » .

وفى الترمذى أيضا عن النبى ﷺ عن الله عز وجل « أنه يقول : ان عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو ملاق قرنه » .

وهذا الحديث هو فصل الخطاب فى التفضيل بين الذاكر والمجاهد ، فان الذاكر المجاهد أفضل من الذاكر بلا جهاد ومن المجاهد الغافل ، والذاكر بلا جهاد أفضل من المجاهد الغافل عن الله تعالى . فأفضل الذاكرين المجاهدون ، وأفضل المجاهدين الذاكرون . قال الله تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ) فامرهم بالذكر الكثير والجهاد معا ليكونوا على رجاء من الفلاح وقد قال تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ) وقال تعالى ( وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ) أى كثيرا . وقال تعالى ( فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ) وفيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة ، لشدة حاجة العبد اليه وعدم استغنائه عنه طرفة عين فأى لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له ، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح فى غفلته عن الله عز وجل .

وقال بعض العارفين « لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاته أعظم مما حصله » .

وذكر البيهقي عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من ساعة تمر بابن آدم لا يذكر الله تعالى فيها إلا تحسر عليها يوم القيامة » .

وذكر عن معاذ بن جبل يرفعه أيضا « ليس تحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها » .

وعن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت : قال رسول الله ﷺ « كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمرا بمعروف ، أو نهيا عن منكر ، أو ذكرا لله عز وجل » .

وعن معاذ بن جبل قال « سألت رسول الله ﷺ : أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل ؟ قال : أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل » .

وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه « لكل شيء جلاء . وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل » .

وذكر البيهقي مرفوعا ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ . أنه كان يقول « لكل شيء صقالة وإن صقالة القلوب ذكر الله عز وجل وما من شيء أنجى من عذاب الله عز وجل من ذكر الله عز وجل قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل ؟ قال : ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع » .

ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما ، وجلاؤه بالذكر . فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء . فإذا ترك صدىء ، فإذا ذكر جلاه .

وصدا القلب بأمرين : بالغفلة والذنب ، وجلاؤه شيئين : بالاستغفار والذكر . فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكما على قلبه وصدؤه بحسب غفلته ، وإذا صدىء القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ماهي عليه . فيرى الباطل فى صورة الحق والحق فى صورة الباطل لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم فلم تظهر فيه صور الحقائق كما هى عليه فاذا تراكم عليه الصدأ واسود وركبه الران (١) فسد تصوره وادراكه فلا يقبل حقا ، ولا ينكر باطلا وهذا أعظم عقوبات القلب *

وأصل ذلك من الغفلة واتباع الهوى فانهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره . قال تعالى : ( وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ) *

فاذا اراد العبد أن يقتدى برجـــل فلينظر هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين ؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحى ؟ فان كان الحاكم عليه هو الهوى ، وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطا ، ومعنى الفرط قد فسر بالتضييع أى أمره الذى يجب أن يلزمه ويقوم به ، وبه رشده وفلاحه ضائع قد فرط فيه فسر بالاسراف أى قد أفرط ، وفسر بالاهلاك ، وفسر بالخلاف للحق . وكلها أقوال متقاربة *

---

( ١ ) قال تعالى : ( كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ) روى ابن جرير ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه من طرق عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « ان العبد اذا اذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه . فان تاب منها صقل قلبه وان زاد زادت . فذلك قوله تعالى : ( كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ) » وقال الحسن البصرى : هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت *

والمقصود : أن الله سبحانه وتعالى نهى عن طاعة من جمع هذه الصفات . فينبغي للرجل أن ينظر فى شيخه وقدوته ومتبوعه . فان وجده كذلك فليبعد منه . وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى عز وجل واتباع السنة ، وأمره غير مفروط عليه بل هو حازم فى أمره فليستمسك بغرزه ، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالذكر . فمثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت ، وفي المسند مرفوعا « أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقال مجنون » *

وفى الذكر أكثر من مائة فائدة *

{ احداها } أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره *

{ الثانية } إنه يرضى الرحمن عز وجل *

{ الثالثة } أنه يزيل الهم والغم عن القلب *

{ الرابعة } أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط *

{ الخامسة } أنه يقوى القلب والبدن *

{ السادسة } أنه ينور الوجه والقلب

{ السابعة } أنه يجلب الرزق

{ الثامنة } أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة

{ التاسعة } إنه يورث المحبة التي هي روح الاسلام ، وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة . وقد جعل الله لكل شيء سببا ، وجعل سبب المحبة دوام الذكر . فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج بذكره فان الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم فالذكر باب المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الاقوم *

{ العاشرة } أنه يورثه المراقبة حتى يدخله فى باب الاحسان فيعبد

الله كأنه يراه ، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الاحسان ، كالاسبيل للقاعد الى الوصول الى البيت *

﴿ الحادية عشرة ﴾ أنه يورثه الانابة وهي الرجوع إلى الله عز وجل فمتى أكثر الرجوع اليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه اليه في كل أحواله فيبقى الله عز وجل مفزعه وملجأه ، وملاذه ومعاذه ، وقبلة قلبه ، ومهربه عند النوازل والبلايا *

﴿ الثانية عشرة ﴾ . أنه يورثه القرب منه . فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قربه منه ، وعلى قدر غفلته يكون بعده منه *

﴿ الثالثة عشرة ﴾ : أنه يفتح له بابا عظيما من أبواب المعرفة . وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة *

﴿ الرابعة عشرة ﴾ أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه ، وحضوره مع الله تعالى ، بخلاف الغافل . فان حجاب الهيبة رقيق في قلبه *

﴿ الخامسة عشرة ﴾ . أنه يورثه ذكر الله تعالى له كما قال تعالى: ( فاذكروني أذكركم ) ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلا وشرفا ، وقال ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى « من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم » *

﴿ السادسة عشرة ﴾ أنه يورثه حياة القلب . وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله تعالى روحه يقول : الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك اذا فارق الماء ؟ *

﴿ السابعة عشرة ﴾ : أنه قوت القلب والروح فاذا فقده العبد صار

بمنزلة الجسم اذا حيل بينه وبين قوته . وحضرت شيخ الاسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار ثم التفت الى وقال : هذه غدوتى ولم اتغد، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتى ـ أو كلاما قريبا من هذا . وقال لى مرة : لا أترك الذكر الا بنية إجمام نفسى واراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر، او كلاما هذا معناه.

﴿ الثامنة عشرة ﴾ أنه يورث جلاء القلب من صدئه كما تقدم فى الحديث . وكل شىء له صدأ ، وصدأ القلب الغفلة والهوى وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار وقد تقدم هذا المعنى.

﴿ التاسعة عشرة ﴾ أنه يحط الخطايا ويذهبها . فانه من أعظم الحسنات والحسنات يذهبن السيئات.

﴿ العشرون ﴾ أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى فان الغافل بينه وبين الله عز وجل وحشة لا تزول الا بالذكر.

﴿ الحادية والعشرون ﴾ أن ما يذكر به العبد ربه عز وجل من جلاله وتسبيحه وتحميده يذكر بصاحبه عند الشدة . فقد روى الامام احمد فى المسند عن النبى ﷺ أنه قال : « ان ما تذكرون من جلال الله عز وجل من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش ، لهن دوى كدوى النحل يذكرن بصاحبهن » أفلا يحب أحدكم ان يكون له ما يذكر به؟ » هذا الحديث أو معناه

﴿ الثانية والعشرون ﴾ أن العبد اذا تعرف الى الله تعالى بذكره فى الرخاء عرفه فى الشدة ، وقد جاء أثر معناه « أن العبد المطيع الذاكر لله تعالى اذا أصابته شدة ، أو سأل الله تعالى حاجة قالت الملائكة : يارب صوت معروف من عبد معروف ، والغافل المعرض عن الله عز وجل

إذا دعاه وسأله قالت الملائكة: يارب صوت منكر من عبد منكر *

{ الثالثة والعشرون } انه منجي من عذاب الله تعالى كما قال معاذ رضي الله عنه ويروى مرفوعا «ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله عز وجل من ذكر الله تعالى» (١) *

{ الرابعة والعشرون } أنه سبب تنزل السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بالذاكر، كما أخبر به النبي ﷺ *

{ الخامسة والعشرون } أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل. فان العبد لابد له من أن يتكلم. فان لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها. ولا سبيل إلى السلامة منها ألبتة إلا بذكر الله تعالى. والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك فمن عود لسانه ذكر الله صان لسانه عن الباطل واللغو. ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى ترطب بكل باطل ولغو وفحش. ولا حول ولا قوة إلا بالله *

{ السادسة والعشرون } أن مجالس الذكر مجالس الملائكة. ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين. فليتخير العبد أعجبهما اليه وأولاهما به. فهو مع أهله في الدنيا والآخرة *

{ السابعة والعشرون } : انه يسعد الذاكر بذكره، ويسعد به جليسه. وهذا هو المبارك أينما كان. والغافل واللاغي يشقى بلغوه وغفلته ويشقى به مجالسه *

{ الثامنة والعشرون } : أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة. فان

---

(١) رواه الطبراني في الاوسط والصغير عن جابر بن عبدالله ورجال اسنادهما رجال الصحيح ورواه مالك والترمذي عن معاذ

كل مجلس لايذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرة وترة يوم القيامة » •

﴿ التاسعة والعشرون ﴾ : أنه مع البكاء فى الخلوة سبب لاظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر فى ظل عرشه . والناس فى حر الشمس قد صهرتهم فى الموقف . وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن عز وجل •

﴿ الثلاثون ﴾ : أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطى السائلين . ففى الحديث عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ « قال سبحانه وتعالى . من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » •

﴿ الحادية والثلاثون ﴾ أنه أيسر العبادات ، وهو من أجلها وأفضلها فان حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها . ولو تحرك عضو من أعضاء الانسان فى اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة ، بل لا يمكنه ذلك •

﴿ الثانية والثلاثون ﴾ : أنه غراس الجنة . فقد روى الترمذى فى جامعه من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « لقيت ليلة أسرى بى إبراهيم الخليل عليه السلام ، فقال : يا محمد أقرىء أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر » قال الترمذى : حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود •

وفى الترمذى من حديث أبى الزبير عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال . « من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة » قال الترمذى حديث حسن صحيح

﴿ الثالثة والثلاثون ﴾ أن العطاء والفضل الذى رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال . ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن

رسول الله ﷺ قال : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى . ولم يأت أحد بافضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه . ومن قال : ( سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر »

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس »

وفى الترمذى من حديث أنس : أن رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يصبح أو يمسى اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك انت الله لااله الا أنت وان محمداً عبدك ورسولك أعتق الله ربعه من النار ، ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار ، ومن قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار ومن قالها أربعا أعتقه الله تعالى من النار »

وفيه عن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يمسى واذا أصبح رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد ﷺ رسولا كان حقا على الله أن يرضيه »

وفى الترمذى « من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة »

﴿ الرابعة والثلاثون ﴾ : أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده ، فإن نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ . أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

وإذا نسي العبد نفسه أعرض عن مصالحها ونسيها ، واشتغل عنها ، فهلكت وفسدت ولا بد . كمن له زرع أو بستان أو ماشية أو غير ذلك مما صلاحه وفلاحه بتعاهده ؛ والقيام عليه ، فأهمله ونسيه واشتغل عنه بغيره ، وضيع مصالحه . فإنه يفسد ولا بد . هذا مع امكان قيام غيره مقامه فيه . فكيف الظن بفساد نفسه وهلاكها وشقائها اذا أهملها ونسيها ، واشتغل عن مصالحها ، وعطل مراعاتها ، وترك القيام عليها بما يصلحها ؟ فما شئت من فساد وهلاك وخيبة وحرمان

وهذا هو الذي صار أمره كله فرطا . فانفرط عليه أمره وضاعت مصالحه ، وأحاطت به أسباب القطوع والخيبة والهلاك . ولا سبيل الى الأمان من ذلك الا بدوام ذكر الله تعالى واللهج به ، وأن لا يزال اللسان رطبا به ، وأن يتولى منزلة حياته التي لاغنى له عنها ، ومنزلة غذائه الذي إذا فقده فسد جسمه وهلك ؛ وبمنزلة الماء عند شدة العطش وبمنزلة اللباس في الحر والبرد وبمنزلة الكن في شدة الشتاء والسموم .

فحقيق بالعبد أن ينزل ذكر الله منه بهذه المنزلة وأعظم ، فاين هلاك الروح والقلب وفسادهما من هلاك البدن وفساده ؟ هذا هلاك لابد منه وقد يعقبه صلاح لابد . وأما هلاك القلب والروح فهلاك لايرجى معه صلاح ولا فلاح ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ولو لم يكن في فوائد الذكر وادامته الا هذه الفائدة وحدها لكفى بها . فمن نسي الله تعالى أنساه نفسه في الدنيا . ونسيه في العذاب يوم

القيامة قال تعالى ( وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ۝ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ) اى تنسى فى العذاب (١) كما نسيت آياتى فلم تذكرها ولم تعمل بها ، واعراضه عن ذكره يتناول إعراضه عن الذكر الذى أنزله ، وهو أن يذكر الذى أنزله فى كتابه وهو المراد تناول إعراضه عن أن يذكر ربه بذاته وأسمائه وصفاته وأوامره وآلائه ونعمه فان هذه كلها توابع إعراضه عن كتاب ربه تعالى

فان الذكر فى الآية إما مصدر مضاف الى الفاعل، أو مضاف إضافة الاسماء المحضة من أعرض عن كتابى، ولم يتله ولم يتدبره ولم يعمل به ولا فهمه. فان حياته ومعيشته لا تكون الا مضيقة عليه منكدة معذبا فيها ، والضنك الضيق، والشدة والبلاء ، ووصف المعيشة نفسها بالضنك مبالغة . وفسرت هذه المعيشة بعذاب البرزخ . والصحيح أنها تتناول معيشته فى الدنيا وحاله فى البرزخ فانه يكون فى ضنك فى الدارين ، وهو شدة وجهد وضيق . وفى الآخرة ينسى فى العذاب . وهذا عكس أهل السعادة والفلاح فان حياتهم فى الدنيا أطيب الحياة وفى البرزخ ولهم فى الآخرة أفضل الثواب

قال تعالى : ( مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ) فهذا فى الدنيا ثم قال : ( وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) فهذا فى البرزخ والآخرة . وقال تعالى : ( وَالَّذِينَ هَاجَرُوا

---

(١) أى يترك كالمنسى . وتسميته نسيانا من نوع المشاكلة كقوله تعالى : ( نسوا الله فنسيهم ) والنسيان الحقيقى محال على الرب تعالى كما قال حكاية عن رسوله موسى عليه السلام :( لا يضل ربى ولا ينسى )

فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ) . وقال تعالى : ( وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ) فهذا في الآخرة وقال تعالى : ( قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ) فهذه اربعة مواضع ( ١ ) ذكر الله تعالى فيها أنه يجزى المحسن باحسانه جزاءين جزاء في الدنيا وجزاء في الآخرة ، فالاحسان له جزاء معجل ولا بد ، والاساءة لها جزاء معجل ولا بد ، ولو لم يكن الا ما يجازى به المحسن من انشراح صدره وانفساح قلبه وسروره ولذاته بمعاملة ربه عز وجل وطاعته وذكره ونعيم روحه بمحبته ( ٢ ) وذكره وفرحه بربه

---

( ١ ) الآية الاولى هي من سورة النحل ٩٧ وقد ذكر المصنف فيها كلا من الجزاءين في موضعه . والثانية هي ٤١ من سورة النحل أيضا وقد كان صدرها في النسخة الهندية صدر الآية الرابعة التي هي ١١ من سورة الزمر فصححناها والظاهر أن المصنف نبه فيها على كل من الجزاءين في موضعه — والثالثة هي الثالثة من سورة هود وقد حذف من النسخة الهندية جملة جزاء الشرط التي هي جزاء الدنيا وذكر ما عطف عليها وهو جزاء الآخرة مفصولا بينهما بجملة « قال تعالى » : فالظاهر انه قال بعد جملة الجزاء « فهذا في الدنيا » لأنه قال بعد المعطوف عليها « فهذا في الآخرة » والرابعة هي ١١ من سورة الزمر وقد تكلم بعدها على الآيات الاربع جملة واحدة *

( ٢ ) قد سقط من هنا جواب « لو » وأقله كلمة « لكفى » والارجح

سبحانه وتعالى أعظم مما يفرح القريب من السلطان الكريم عليه بسلطانه وما يجازى به المسيء من ضيق الصدر وقسوة القلب وتشتته وظلمته وحزازاته وغمه وهمه وحزنه وخوفه ( ١ ) وهذا أمر لا يكاد من له أدنى حس وحياة يرتاب فيه بل الغموم والهموم والاحزان والضيق عقوبات عاجلة ونار دنيوية وجهنم حاضرة، والاقبال على الله تعالى والانابة اليه والرضاء به وعنه وامتلاء القلب من محبته واللهج بذكره والفرح والسرور بمعرفته ثواب عاجل وجنة وعيش لا نسبة لعيش الملوك اليه البتة .

وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول . إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة . وقال لى مرة : ما يصنع أعدائى بى ؟ أنا جنتى وبستانى فى صدرى ، ان رحت فهى معى لا تفارقنى ان حبسى خلوة ، وقتلى شهادة ، وإخراجى من بلدى سياحة ، وكان يقول : فى محبسه فى القلعة لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبا ما عدل عندى شكر هذه النعمة أو قال ما جزيتهم على ما تسببوا لى فيه من الخير ، ونحو هذا ، وكان يقول فى سجوده وهو محبوس . اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله ، وقال لى مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى والمأسور من أسره هواه ، ولما دخل الى القلعة وصار داخل سورها نظر اليه وقال ( فضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) .

وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشا منه قط مع ما كان فيه من ضيق

---

ان المحذوف أكثر من ذلك لما يدل عليه العطف بعده .

( ١ ) سقط من هنا خبر قوله «وما يجازى به المسيء» ويعلم من القرينة فى الجملة

العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها ، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والارهاق وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشا ، واشرحهم صدرا ، وأقواهم قلبا ، وأسرهم نفسا تلوح نضرة النعيم على وجهه وكنا اذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله ، وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة . فسبحان من اشهد عباده جنته قبل لقائه ، وفتح لهم أبوابها فى دار العمل ، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة اليها .

وكان بعض العارفين يقول : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف .

وقال آخر : مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها قيل : وما أطيب ما فيها ؟ قال : محبة الله تعالى ومعرفته وذكره أو نحو هذا .

وقال آخر إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طربا .

وقال آخر : انه لتمر بى أوقات أقول : إن كان أهل الجنة فى مثل هذا إنهم لفى عيش طيب .

فمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون اليه والطمأنينة اليه وافراده بالحب ، والخوف ، والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولى على هموم العبد وعزماته واراداته هو جنة الدنيا والنعيم الذى لا يشبهه نعيم ، وهو قرة عين المحبين وحياة العارفين وانما تقر عيون الناس به على حسب قرة أعينهم بالله عز وجل ، فمن قرت عينه بالله قرت به كل عين ، ومن لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات

وانما يصدق هذا من فى قلبه حياة . وأما ميت القلب فيوحشك ماله ثم ، فاستأنس بغيبته ما أمكنك فانك لا يوحشك الا حضوره عندك ، فاذا ابتليت به فاعطه ظاهرك ، وترحل عنه بقلبك ، وفارقه بسرك ، ولا تشغل به عما هو أولى بك .

واعلم أن الحسرة كل الحسرة فى الاشتغال بمن لا يجر عليك الاشتغال الا فوت نصيبك وحظك من الله عز وجل ، وانقطاعك عنه . وضياع وقتك عليك ، وشتات قلبك ، وضعف عزيمتك ، وتفرق همك . فاذا بليت بهذا ولابد لك منه فعامل الله تعالى فيه ، واكتسب عليه ما أمكنك وتقرب الى الله تعالى بمرضاته فيه ، واجعل اجتماعك به متجرا لك لا تجعله خسارة ، وكن معه كرجل سائر فى طريقه عرض له رجل وقفه عن سيره فاجتهد أن تأخذه معك وتسير به فتحمله ولا يحملك ، فان أبى ولم يكن فى سيره مطمع فلا تقف بالوقوف معه الركب ودعه ولا تلتفت اليه فانه قاطع الطريق ولو كان من كان ، فانج بقلبك ، وضن بيومك وليلتك لا تغرب عليك الشمس قبل وصل المنزلة فتؤخذ أو يطلع الفجر (١) أنى لك ملحاقهم

﴿ الخامسة والثلاثون ﴾ : أن الذكر يسير العبد وهو فى فراشه ، وفى سوقه ، وفى حال صحته وسقمه ، وفى حال نعيمه ولذته ، وليس شيء يعم الأوقات والأحوال مثله ، حتى أنه يسير العبد وهو نائم على فراشه فيسبق القائم مع الغفلة ، فيصبح هذا وقد قطع الركب وهو مستلق على فراشه ويصبح ذلك القائم الغافل فى ساقة الركب . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

(١) هنا بياض فى الأصل

وحكى عن رجل من العباد : أنه نزل برجل ضيفا . فقام العابد ليله يصلي وذلك الرجل مستلق على فراشه . فلما أصبحا قال له العابد : سبقك الركب ، أو كما قال . فقال . ليس الشان فيمن بات مسافراً وأصبح مع الركب ، الشان فيمن بات على فراشه وأصبح قد قطع الركب .

وهذا ونحوه له محمل صحيح ومحمل فاسد . فمن حكم على أن الراقد المضطجع على فراشه يسبق القائم القانت فهو باطل ، وإنما محمله : أن هذا المستلقي على فراشه علق قلبه بربه عز وجل ، وألصق حبة قلبه بالعرش وبات قلبه يطوف حول العرش مع الملائكة قد غاب عن الدنيا وما فيها . وقد عاقه عن قيام الليل عائق من وجع أو برد يمنعه عن القيام أو خوف على نفسه من رؤية عدو يطلبه أو غير ذلك من الأعذار ، فهو مستلق على فراشه ، وفي قلبه ما الله تعالى به عليم . وآخر قائم يصلي ويتلو ، وفي قلبه من الرياء والعجب وطلب الجاه والمحمدة عند الناس ما الله به عليم ، أو قلبه في واد وجسمه في واد ، فلا ريب أن ذلك الراقد يصبح وقد سبق هذا القائم بمراحل كثيرة ، فالعمل على القلوب لا على الابدان ، والمعول على السواكن لا على الاطلال ، والاعتبار بالمحرك الأول . فالذكر يثير العزم الساكن ، ويهيج الحب المتوارى ، ويبعث الطلب الميت .

( السادسة والثلاثون ) : أن الذكر نور للذاكر في الدنيا ، ونور له في قبره ، ونور له في معاده يسعى بين يديه على الصراط فما استنارة القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالى . قال تعالى ( أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ؟ ) فالاول هو المؤمن ، استنار بالايمان بالله ومحبته ومعرفته وذكره . والآخر هو الغافل عن الله تعالى المعرض عن ذكره ومحبته

والشان كل الشان والفلاح كل الفلاح فى النور . والشقاء كل الشقاء فى فواته . ولهذا كان النبى ﷺ يبالغ فى سؤال ربه تبارك وتعالى حين يسأله أن يجعل فى لحمه وعظامه وعصبه ، وشعره ، وبشره . وسمعه ، وبصره ، ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وخلفه وأمامه ، حتى يقول « واجعلني نورا » (١) فسأل ربه تبارك وتعالى أن يجعل النور فى ذراته الظاهرة والباطنة ، وأن يجعله محيطا به من جميع جهاته ، وأن يجعل ذاته وجملته نورا ، فدين الله عز وجل نور ، وكتابه نور ، ورسوله نور ، وداره التى أعدها لأوليائه نور يتلألأ ، وهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض ، ومن أسمائه النور ، وأشرقت الظلمات لنور وجهه، وفى دعاء النبى ﷺ يوم الطائف « أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك أو ينزل بى سخطك . لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه « ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، نور السموات من نور وجهه » : وفى بعض ألفاظ هذا الأثر « نور السموات من نور وجهه » ذكره عثمان الدارمى .

وقد قال تعالى ( وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ) فاذا جاء تبارك وتعالى يوم القيامة للفصل بين عباده أشرقت بنوره الأرض ، وليس اشراقها يومئذ لشمس ولا قمر . فان الشمس تكور والقمر يخسف ويذهب نورهما ، وحجابه تبارك وتعالى النور .

قال أبو موسى « قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : ان الله لا ينام ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما

الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور . لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه (١)» ثم قرأ(أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ) فاستنارة ذلك الحجاب بنور وجهه ولولاه لاحرقت سبحات وجهه ونوره ما انتهى اليه بصره .

ولهذا لما تجلى تبارك وتعالى للجبل وكشف من الحجاب شيئا يسيرا ساخ الجبل في الأرض ، وتدكدك ، ولم يقم لربه تبارك وتعالى . وهذا معنى قول ابن عباس في قوله سبحانه وتعالى ( لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ) قال « ذلك الله عز وجل إذا تجلى بنوره لم يقم له شيء ، وهذا من بديع فهمه رضى الله تعالى عنه ودقيق فطنته ، كيف وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعلمه الله التأويل . (٢)

فالرب تبارك وتعالى يرى يوم القيامة بالأبصار عيانا ، ولكن يستحيل ادراك الابصار له ، وان رأته . فالادراك أمر وراء الرؤية ، وهذه الشمس — ولله المثل الأعلى — نراها ولاندركها ، كما هي عليه ولا قريبا من ذلك ، ولذلك قال ابن عباس لمن سأله عن الرؤية وأورد عليه ( لا تدركه الأبصار ) فقال « ألست ترى السماء ؟ قال : بلى . قال أفتدركها ؟ قال : لا . قال . فالله تعالى أعظم وأجل » (٣) .

---

(١) رواه مسلم وابن ماجه . والسبحات : بضم السين والباء الموحدة

(٢) روى البخارى ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له « اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل » .

(٣) قال الأستاذ امام وقته السيد محمد رشيد رضا أمطر الله عليه شآبيب رحمته ورضوانه : كان أهل النظر المشتغلون بالفلسفة اليونانية يتأولون جميع الآيات والأحاديث الواردة في صفات الرب تعالى وينكرون على علماء الأثر

وقد ضرب سبحانه وتعالى النور فى قلب عبده مثلا لا يعقله الا العالمون فقال سبحانه وتعالى : ( اللَّهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ . وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ

---

الأخذ بظواهرها مع التنزيه والتفويض حتى أن الأشعرية الذين ارادوا أن يكونوا وسطا بين غلاة النظار من الجهمية وغيرهم وبين أهل الحديث كالحنابلة قد بالغ بعضهم فى التأويل حتى صار الخلاف بينهم وبين غلاة النظر لفظيا والباعث لهم على ذلك محاولة تطبيق النصوص على نظريات الفكر التى عدوا الكثير منها قطعيا وليس بقطعى و ... مد الله تعالى أن العلوم الكونية قد نقضت فى هذا العصر ا كثر تلك النظريات الفلسفية اليونانية وقربت نصوص الكتاب والسنة من الافهام ، وعا نست بها أخيرا أن هذه الكهربائية التى رأى البشر كثيرا من عجائبها هى الأصل فى تكوين مادة العالم كله وأطوارها وهى نور أو مصدر النور والحركة التى يحدثها النور ، واذا كان الخالق البارىء المنزه عن نقص المخلوقات والتي لا يكمل شيء منها الا به قد حجب عنها بالنور ، فلك أن تفهم أن الكهربائية وما جعلها الله أصلا له من تكوين العالم المادى هى الحجاب المانع من رؤية الرب تعالى فيه كما ورد فى صحيح مسلم مرفوعا « نور أنى اراه » ؟ وان انكشاف هذا الحجاب لا يكون الا فى الجنة ، وان انكشافه الذى يوصل أهلها إلى أعلى وأكمل درجات المعرفة به تعالى وهى الرؤية بغير كيف ولا ادراك ، ولكن مع بقاء حجاب الكبرياء كما ورد فى الصحيح وقد نصر العلم مذهب السلف ، على تاويلات الخلف ، ولله الحمد *

للنَّاس وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ٠

قال أبى بن كعب : ( مثل نوره فى قلب المسلم) وهذا هو النور الذى أودعه فى قلبه معرفته ومحبته والايمان به وذكره وهو نوره الذى أنزله اليهم فأحياهم به وجعلهم يمشون به بين الناس وأصله فى قلوبهم ثم تقوى مادته فتتزايد حتى يظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم بل وثيابهم ودورهم يبصره من هو من جنسهم وسائر الخلق له منكر فاذا كان يوم القيامة برز ذلك النور ، وصار بأيمانهم يسعى بين أيديهم فى ظلمة الجسر حتى يقطعوه ، وهم فيه على حسب قوته وضعفه فى قلوبهم فى الدنيا ، فمنهم من نوره كالشمس، وآخر كالقمر، وآخر كالنجوم، وآخر كالسراج، وآخر يعطى نوراً على إبهام قدمه ، يضيء مرة ، ويطفأ أخرى ، اذ كانت هذه حال نوره فى الدنيا فاعطى على الجسر بمقدار ذلك ، بل هو نفس نوره ظهر له عياناً .

ولما لم يكن للمنافق نور ثابت فى الدنيا بل كان نوره ظاهراً لا باطناً أعطى نوراً ظاهراً مآله إلى الظلمة والذهاب .

وضرب الله عز وجل لهذا النور ومحله وحامله ومادته مثلا بالمشكاة ، وهى الكوة فى الحائط فهى مثل الصدر ٠ وفى تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج حتى شبهت بالكوكب الدرى فى بياضه وصفائه وهى مثل القلب وشبه بالزجاج لانها جمعت أوصافاً هى فى قلب المؤمن ، وهى الصفاء والرقة ، والصلابة ٠ فيرى الحق والهدى بصفائه ، وتحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة برقته ، ويجاهد أعداء الله تعالى ، ويغلظ عليهم ، ويشتد فى الحق ويصلب فيه بصلابته ، ولا تبطل صفة منه صفة أخرى ولا تعارضها ، بل تساعدها وتعاضدها اقال تعالى (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) وقال تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ )

وقال تعالى ( يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ) *
وفى أثر «القلوب آنية الله تعالى فى أرضه فأحبها اليه أرقها وأصلبها وأصفاها» *

وبإزاء هذا القلب قلبان مذمومان على طرفى نقيض ، أحدهما قلب حجرى قاس لا رحمة فيه ولا احسان ولا بر ، ولا صفاء له يرى به الحق ، بل هو جبار جاهل لا علم له بالحق ولا رحمة فيه للخلق ، وبإزائه قلب ضعيف مائى لا قوة فيه ولا استمساك . بل يقبل كل صورة . وليس له قوة حفظ تلك الصور ، ولا قوة التأثير فى غيره . وكل ما خالطه أثر فيه من قوى وضعيف ، وطيب وخبيث *

وفى الزجاجة مصباح . وهو النور الذى فى الفتيلة ، وهى حاملته ولذلك النور مادة ؛ وهو زيت قد عصر من زيتونة فى أعدل الأماكن تصيبها الشمس أول النهار وآخره . فزيتها من أصفى الزيت ، وأبعده من الكدر ، حتى إنه ليكاد من صفائه يضىء بلا نار ، فهذه مادة نور المصباح *

وكذلك مادة نور المصباح الذى فى قلب المؤمن هو من شجرة الوحى ، التى هى أعظم الأشياء بركة وأبعدها من الانحراف . بل هى أوسط الأمور وأعدلها ، وأفضلها . لم تنحرف انحراف النصرانية ، ولا انحراف اليهودية . بل هى وسط بين الطرفين المذمومين فى كل شىء فهذه مادة مصباح الايمان فى قلب المؤمن *

ولما كان ذلك الزيت قد اشتد صفاؤه حتى كاد أن يضىء بنفسه ، ثم خالط النار فاشتدت بها اضاءته ، وقويت مادة ضوء النارية ، كان ذلك نورا على نور . وهكذا المؤمن قلبه مضىء يكاد يعرف الحق بفطرته وعقله . ولكن لا مادة له من نفسه . فجاءت مادة الوحى ، فباشرت

قلبه وخالطت بشاشته ، فازداد نورا بالوحى على نوره الذى فطره الله تعالى عليه ، فاجتمع له نور الوحى إلى نور الفطرة ، نور على نور ، فيكاد ينطق بالحق وان لم يسمع فيه اثراً ، ثم يسمع الأثر مطابقا لما شهدت به فطرته . فيكون نورا على نور ، فهذا شأن المؤمن يدرك الحق بفطرته مجملا . ثم يسمع الأثر جاء به مفصلا . فينشأ ايمانه عن شهادة الوحى والفطرة فليتأمل اللبيب هذه الآية العظيمة، ومطابقتها لهذه المعانى الشريفة *

فذكر سبحانه وتعالى نوره فى السموات والأرض ، ونوره فى قلوب عباده المؤمنين :النور المعقول المشهود بالبصائر والقلوب . والنور المحسوس المشهود بالأبصار الذى استنارت به أقطار العالم العلوى والسفلى فهما نوران عظيمان ، وأحدهما أعظم من الآخر ، وكما أنه إذا فقد أحدهما من مكان أو موضع لم يعش فيه آدمى ولا غيره . لأن الحيوان إنما يكون حيث النور . ومواضع الظلمة التى لا يشرق عليها نور لا يعيش فيها حيوان ولا يتكون البتة ، فكذلك أمة فقد فيها نور الوحى والايمان ميتة ، وقلب فقد منه هذا النور ميت ، ولابد . لاحياة له البتة ، كما لاحياة للحيوان فى مكان لا نور فيه *

والله سبحانه وتعالى يقرن بين الحياة والنور . كما فى قوله عز وجل (أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِى النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِى الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ) وكذلك قوله عز وجل ( وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا) وقد قيل: ان الضمير فى « جعلناه » عائد الى « الأمر » وقيل :« الى الكتاب » وقيل : إلى

« الايمان » والصواب أنه عائد الى « الروح » أى جعلنا ذلك الروح الذى أوحيناه اليك نورا ، فسماه روحا لما يحصل به من الحياة ، وجعله نورا لما يحصل به من الاشراق والاضاءة ، وهما متلازمان ؛ فحيث وجدت هذه الحياة بهذا الروح وجدت الاضاءة والاستنارة . وحيث وجدت الاستنارة والاضاءة وجدت الحياة ، فمن لم يقبل قلبه هذا الروح فهو ميت مظلم ، كما أن من فارق بدنه روح الحياة فهو هالك مضمحل : فلهذا يضرب سبحانه وتعالى المثلين المائى والنارى معا ، لما يحصل بالماء من الحياة وبالنار من الاشراق والنور ، كما ضرب ذلك فى أول سورة البقرة فى قوله تعالى ( مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّٰهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ) وقال جل جلاله ( ذَهَبَ اللّٰهُ بِنُورِهِمْ ) ولم يقل: بنارهم . لأن النار فيها الاحراق والاشراق . فذهب بما فيه من الاضاءة والاشراق وأبقى عليهم ما فيه الاذى والاحراق *

وكذلك حال المنافقين ذهب نور إيمانهم بالنفاق وبقى فى قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلى فى قلوبهم ، وقلوبهم قد صليت بحرها وأذاها وسمومها ووهجها فى الدنيا فاصلاها الله تعالى إياها يوم القيامة نارا موقدة تطلع على الافئدة *

فهذا مثل من لم يصحبه نور الايمان فى الدنيا بل خرج منه وفارقه بعد أن استضاء به وهو حال المنافق عرف ثم انكر وأقر ثم جحد فهو فى ظلمات أصم أبكم أعمى كما قال تعالى فى حق اخوانهم من الكفار ( وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى الظُّلُمَاتِ ) وقال تعالى ( وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ )

وشبه تعالى حال المنافقين فى خروجهم من النور بعد أن اضاء لهم بحال مستوقد النار وذهاب نورها عنه بعد أن اضاءت ما حوله لان المنافقين بمخالطتهم المسلمين وصلاتهم معهم وصيامهم معهم وسماعهم القرءان ومشاهدتهم أعلام الاسلام ومناره قد شاهدوا الضوء ورأوا النور عيانا . ولهذا قال تعالى فى حقهم ( فهم لا يرجعون ) إليه لانهم فارقوا الاسلام بعد أن تلبسوا به واستناروا فهم لا يرجعون اليه وقال تعالى فى حق الكفار ( فهم لا يعقلون ) لأنهم لم يعقلوا الاسلام ولا دخلوا فيه ولا استناروا به بل لا يزالون فى ظلمات الكفر صم بكم عمى *

فسبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافيا، والى الايمان وحقائقه مناديا ، والى الحياة الابدية والنعيم المقيم داعيا ، والى طريق الرشاد هاديا لقد أسمع منادى الايمان لو صادف اذانا واعية، وشفت مواعظ القرءان لو وافقت قلوبا خالية ولكن عصفت على القلوب أهوية الشبهات والشهوات فاطفأت مصابيحها وتمكنت منها ايدى الغفلة والجهالة فاغلقت ابواب رشدها وأضاعت مفاتيحها ، وران عليها كسبها فلم ينفع فيها الكلام ، وسكرت بشهوات الغى وشبهات الباطل فلم تصغ بعده الى الملام ، ووعظت بمواعظ أنكى فيها من الاسنة والسهام . ولكن ماتت فى بحر الجهل والغفلة وأسر الهوى والشهوة . وما لجرح بميت ايلام (١) *

والمثل الثانى المائى قوله تعالى ( أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ) الصيب المطر الذى يصوب من السماء أى ينزل منها

---

(١) ههنا بياض فى الاصل

سرعة ، وهو مثل القرآن الذى به حياة القلوب . كالمطر الذى به حياة الأرض والنبات والحيوان . فادرك المؤمنون ذلك منه وعلموا ما يحصل به من الحياة التى لا خطر لها ، فلم يمنعهم منها ما فيه من الرعد والبرق وهو الوعيد والتهديد والعقوبات والمثلات التى حذر الله بها من خالف أمره ، وأخبر أنه مرسلها بمن كذب رسول الله ﷺ ، أو ما فيه من الاوامر الشديدة ، كجهاد الاعداء ، والصبر على الامر ، أو الاوامر الشاقة على النفوس التى هى بخلاف ارادتها ، فهى كالظلمات والرعد والبرق ولكن من علم مواقع الغيث وما يحصل به من الحياة لم يستوحش بما معه من الظلمة والرعد والبرق ، بل يستأنس لذلك ويفرح به لما يرجو من الحياة والخصب . وأما المنافق فانه عمى قلبه ولم يجاوز بصره الظلمة ، ولم ير إلا برقا يكاد يخطف البصر ورعدا عظيما وظلمة فاستوحش من ذلك وخاف منه . فوضع أصابعه فى اذنيه لئلا يسمع صوت الرعد . وهاله مشاهدة ذلك البرق وشدة لمعانه وعظم نوره . فهو خائف أن يختطف معه بصره ، لان بصره أضعف من أن يثبت معه . فهو فى ظلمة يسمع اصوات الرعد القاصف . ويرى ذلك البرق الخاطف ، فان أضاء له ما بين يديه مشى فى ضوئه . وان فقد الضوء قام متحيرا لايدرى أين يذهب . ولجهله لا يعلم أن ذلك من لوازم الصيب الذى به حياة الارض والنبات وحياته هو فى نفسه . بل لايدرك الا رعدا وبرقا وظلمة ولا شعور له بما وراء ذلك . فالوحشة لازمة له . والرعب والفزع لايفارقه . وأما من أنس بالصيب وعلم ما يحصل به من الخير والحياة والنفع . وعلم أنه لابد فيه من رعد وبرق وظلمة بسبب الغيم استأنس بذلك ولم يستوحش منه ولم يقطعه ذلك عن أخذه بنصيبه من الصيب *

فهذا مثل مطابق للصيب الذى نزل به جبريل صلى الله عليه وسلم من عند رب العالمين تبارك وتعالى ، على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليحيى به القلوب والوجود أجمع. اقتضت حكمته أن يقارنه من الغيم والرعد والبرق ما يقارن الصيب من الماء حكمة بالغة وأسبابا منتظمة نظمها العزيز الحكيم .

فكان حظ المنافق من ذلك الصيب : سحابه ورعوده وبروقه فقط ، لم يعلم ما وراءه ، فاستوحش مما أنس به المؤمنون . وارتاب بما اطمأن به العالمون وشك فيما تيقنه المبصرون العارفون ، فبصره فى المثل النارى كبصر الخفاش نحو الظهيرة ، وسمعه فى المثل المائى كسمع من يموت من صوت الرعد ، وقد ذكر عن بعض الحيوانات أنها تموت من سمع الرعد .

وإذا صادف هذه العقول والأسماع والأبصار شبهات شيطانية ، وخيالات فاسدة ، وظنون كاذبة , جالت فيها وصالت . وقامت بها وقعدت . واتسع فيها مجالها . وكثر بها قيلها وقالها . فملأت الأسماع من هذيانها . والأرض من دواوينها . وما أكثر المستجيبين لهؤلاء والقابلين منهم والقائمين بدعوتهم . والمحامين عن حوزتهم . والمقاتلين تحت لوائهم والمكثرين لسوادهم ولعموم البلية بهم ، وضرر القلوب بكلامهم . هتك الله أستارهم فى كتابه غاية الهتك ، وكشف أستارهم غاية الكشف . وبين علاماتهم وأعمالهم وأقوالهم . ولم يزل عز وجل يقول ( ومنهم ، ومنهم ، ومنهم .)(١) حتى انكشف أمرهم وبانت حقائقهم وظهرت أسرارهم .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى فى أول سورة البقرة أوصاف المؤمنين والكفار والمنافقين فذكر فى أوصاف المؤمنين ثلاث آيات وفى أوصاف الكفار آيتين . وفى أوصاف هؤلاء بضع عشرة آية لعموم الابتلاء بهم

---

(١) اقرأ سورة براءة .فإنها تسمى الفاضحة . لأنها فضحت المنافقين

وشدة المصيبة بمخالطتهم فانهم من الحلدة مطهرون الموافقة والمناضرة بخلاف الكافر الذى قد تابد بالعداوة، وأظهر السريرة، ودعاك بما أظهره الى مزايلته ومفارقته .

ونظير هذين المثلين المثلان المذكوران فى سورة الرعد فى قوله تعالى: (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا)

فهذا هو المثل المائى شبه الوحى الذى انزله لحياة القلوب بالماء الذى انزله من السماء ، وشبه القلوب الحاملة له بالأودية الحامله للسيل . فقلب كبير يسع علما عظيما كواد كبير يسع ماء كثيرا، وقلب صغير كوادصغير يسع علما قليلا ، فحملت القلوب من هذا العلم بقدرها ، كما سالت الأودية بقدرها ولما كانت الاودية ومجارى السيول فيها الغثاء ونحوه مما يمر عليه السيل فيحتمله فيطفو . على وجه الماء زبدا عاليا ، يمر عليه متراكبا ، ولكن تحته الماء الفرات الذى به حياة الارض ، فيقذف الوادى ذلك الغثاء الى حفتيه حتى لا يبقى منه شىء ويبقى الماء الذى تحت الغثاء يسقى الله تعالى به الارض، فيحيى به البلاد والعباد والشجر والدواب ، والغثاء يذهب جفاء ، يجفى ويطرح على شفير الوادى . فكذلك العلم والايمان الذى انزله الله فى القلوب فاحتملته ، فاثار منها بسبب مخالطته لها مافيها من غثاء الشهوات وزبد الشبهات الباطلة يطفو فى أعلاها . واستقر العلم والايمان والهدى فى جذر القلب فلا يزال ذلك الغثاء والزبد يذهب جفاء ويزول شيئاً فشيئاً حتى يزول كله ويبقى العلم النافع والايمان الخالص فى جذر القلب يرده الناس فيشربون ويسقون ويمرعون .

وفى الصحيح من حديث أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «مثل ما بعثنى الله تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا

فكان منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها طائفة أجادب أمسكت الماء فسقى الناس وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه في دين الله تعالى ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » *

فجعل النبى ﷺ الناس بالنسبة الى الهدى والعلم ثلاث طبقات *

﴿ الطبقة الاولى ﴾ : ورثة الرسل وخلفاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وهم الذين قاموا بالدين علما وعملا ودعوة الى الله عز وجل ورسوله ﷺ . فهؤلاء أتباع الرسل صلوات الله عليهم وسلامه حقا . وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الارض التى زكت فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير فزكت فى نفسها ، وزكا الناس بها ، وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة فى الدين والقوة على الدعوة ، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء ﷺ الذين قال الله تعالى فيهم : (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبراهيمَ وَإِسحٰقَ وَيَعقُوبَ أُولِى الْأَيْدِى وَالْأَبْصَارِ ) اى البصائر فى دين الله عز وجل . فبالبصائر يدرك الحق ويعرف ، وبالقوى يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة اليه فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ ، والفهم ، والفقه فى الدين ، والبصر فى التأويل ففجرت من النصوص أنهار العلوم ، واستنبطت منها كنوزها ، ورزقت فيها فهما خاصا كما قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ وقد سئل : هل خصكم رسول الله ﷺ بشىء دون الناس ؟ فقال ، لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يؤتيه الله عبدا فى كتابه (١) فهذا الفهم هو بمنزلة الكلأ والعشب الكثير الذى أنبتته

(١) رواه احمد والبخارى وابو داود والنسائى عن أبى جحيفة

الارض وهو الذى تميزت به هذه الطبقة عن الطبقة الثانية *

فاما حفظت النصوص وكان همها حفظها وضبطها فوردها الناس وتلقوها منهم فاستنبطوا منها واستخرجوا كنوزها واتجروا فيها وبذروها فى أرض قابلة للزرع والنبات ووردوها كل بحسبه (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ)

وهؤلاء هم الذين قال فيهم النبى ﷺ « نضر الله امرأً سمع مقالتى فوعاها ثم أداها كما سمعها. فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » (١) *

وهذا عبد الله بن عباس حبر الامة وترجمان القرآن مقدار ما سمع من النبى ﷺ لم يبلغ نحو العشرين حديثا الذى يقول فيه سمعت ورأيت وسمع الكثير من الصحابة وبورك له فى فهمه والاستنباط منه حتى ملأ الدنيا علما وفقها *

قال أبو محمد بن حزم : وجمعت فتاويه فى سبعة أسفار كبار وهى بحسب ما بلغ جامعها وإلا فعلم ابن عباس كالبحر وفقهه واستنباطه وفهمه فى القرآن بالموضع الذى فاق به الناس ، وقد سمع كما سمعوا ، وحفظ القرآن كما حفظوا ، ولكن أرضه كانت من أطيب الاراضى وأقبلها للزرع ، فبذر فيها النصوص فأنبتت من كل زوج كريم (ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) *

وأين تقع فتاوى ابن عباس وتفسيره واستنباطه من فتاوى أبى هريرة وتفسيره ؟ وأبو هريرة أحفظ منه بل هو حافظ الامة على الاطلاق .

---

(١) رواه ابو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه عن ابن مسعود وقال الترمذى . حسن صحيح . و « نضر » بتشديد الضاد وتخفيفها دعاء له بالنضارة وهى النعمة والبهجة والحسن

يؤدي الحديث كما سمعه ، ويدرسه بالليل درسا فكانت همته مصروفة الى الحفظ وتبليغ ما حفظه كما سمعه وهمة ابن عباس مصروفة الى التفقه والاستنباط وتفجير النصوص وشق الانهار منها واستخراج كنوزها وهكذا الناس بعده قسمان *

﴿قسم حفاظ﴾ معتنون بالضبط والحفظ والأداء كما سمعوا الا يستنبطون ولا يستخرجون كنوز ما حفظوه *

﴿ وقسم معتنون ﴾ بالاستنباط واستخراج الأحكام من النصوص والتفقه فيها . فالاول كأبي زرعة ، وأبي حاتم ، وابن دارة ، وقبلهم كبندار محمد بن بشار ، وعمرو الناقد ، وعبد الرزاق ، وقبلهم كمحمد بن جعفر غندر ، وسعيد بن أبي عروبة وغيرهم من أهل الحفظ والاتقان والضبط لما سمعوه من غير استنباط وتصرف واستخراج الاحكام من ألفاظ النصوص *

﴿ والقسم الثاني ﴾ : كمالك والشافعي والاوزاعي واسحق والامام أحمد بن حنبل والبخاري وأبي داود ومحمد بن نصر المروزي وأمثالهم ممن جمع الاستنباط والفقه الى الرواية فهاتان الطائفتان هما أسعد الخلق بما بعث الله تعالى به رسوله ﷺ وهم الذين قبلوه ورفعوا به رأسا *

﴿وأما الطائفة الثالثة ﴾ وهم أشقى الخلق فهم الذين لم يقبلوا هدى الله ولم يرفعوا به رأسا ولا حفظ لهم ولا فهم ولا رواية ولا دراية ولا رعاية *

﴿فالطبقة الاولى﴾ أهل رواية ودراية *

﴿ والطبقة الثانية ﴾ : أهل رواية ورعاية ولهم نصيب من الدراية بل حظهم من الرواية أوفر

﴿ الطبقة الثالثة ﴾ : الاشقياء لا رواية ولا دراية ولا رعاية إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا هم الذين يضيقون الديار ، ويغلون الاسعار ان هم أحدهم إلا بطنه وفرجه فان ترقت همته كان همه مع ذلك لباسه وزينته . فان ترقت همته فوق ذلك كانت فى الرياسة والانتصار للنفس الغضبية فقد ارتفعت همته عن حضرة النفس الكلبية الى حضرة النفس السبعية فلم يعطها أحد من هؤلاء (١) فان النفوس كلبية وسبعية وملكية فالكلبية تقنع بالعظم والكسرة والجيفة والعذرة والسبعية لا تقنع بذلك بل بقهر النفوس تريد الاستعلاء عليها بالحق والباطل وأما الملكية فقد ارتفعت عن ذلك وشمرت الى الرفيق الأعلى فهمتها العلم والايمان ومحبة الله تعالى والانابة اليه والطمأنينة به والسكون اليه وايثار محبته ومرضاته وانما تأخذ من الدنيا ما تأخذ لتستعين به على الوصول الى فاطرها وربها ووليها لا لتنقطع به عنه .

ضرب سبحانه وتعالى مثلا ثانيا وهو المثل النارى فقال: (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ ) وهذا كالحديد والنحاس والفضة والذهب وغيرها فانها تدخل الكير لتمحص وتخلص من الخبث فيخرج خبثها فيرمى به ويطرح ويبقى خالصها فهو الذى ينفع الناس .

ولما ضرب الله سبحانه وتعالى هذين المثلين ذكر حكم من استجاب له ورفع بهذا رأسا وحكم من لم يستجب له ولم يرفع بهذا رأسا فقال (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى . وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ . أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ)

والمقصود أن الله تعالى جعل الحياة حيث النور والموت حيث الظلمة فحياة الوجودين الروحى والجسمى بالنور وهو مادة الحياة كما أنه مادة

---

(١) هذا نص النسخة فليتأمل

الاضاءة فلا حياة بدونه كما لا اضاءة بدونه وكما أنه به حياة القلب فبه انفساحه وانشراحه وسعته كما فى الترمذى عن النبى ﷺ « إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا. وما علامة ذلك؟ قال: الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله »

ونور الصد: هو الذى يصعد عمله وكلمه الى الله تعالى. فان الله تعالى لا يصعد اليه من الكلم إلا الطيب وهو نور ومصدر عن النور ولا من العمل الا الصالح ولا من الارواح الا الطيبة وهى أرواح المؤمنين التى استنارت بالنور الذى أنزله على رسوله ﷺ والملائكة الذين خلقوا من نور كما فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ قال «خلقت الملائكة من نور وخلقت الشياطين من نار. وخلق آدم مما وصف لكم»

فلما كانت مادة الملائكة من نور كانوا هم الذين يعرجون الى ربهم تبارك وتعالى وكذلك أرواح المؤمنين هى التى تعرج الى ربها وقت قبض الملائكة لها فيفتح لها باب السماء الدنيا ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة الى أن ينتهى بها الى السماء السابعة فتوقف بين يدى الله عز وجل ثم يأمر أن يكتب كتابه فى اهل عليين فلما كانت هذه الروح روحا زاكية طيبة نيرة مشرقة صعدت الى الله عز وجل مع الملائكة. وأما الروح المظلمة الخبيثة الكدرة فانها لا تفتح لها ابواب السماء ولا تصعد الى الله تعالى بل ترد من السماء الدنيا الى عالمها وتحتقرها لأنها أرضية سفلية والأولى علوية سمائية فرجعت كل روح الى عنصرها وما هى منه وهذا مبين فى حديث البراء بن عازب الطويل الذى رواه الامام أحمد وابو عوانة الاسفرائينى فى صحيحه والحاكم وغيره وهو حديث صحيح (١)

---

(١) ذكره الحافظ المنذرى فى الترغيب والترهيب فى عذاب القبر

والمقصود أن الله عز وجل لا يصعد اليه من الاعمال والاقوال والارواح إلا ما كان منها نورا وأعظم الخلق نورا أقربهم اليه وأكرمهم عليه *

وفى المسند من حديث عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ « ان الله تعالى خلق خلقه فى ظلمة وألقى عليهم من نوره فمن أصاب من ذلك النور اهتدى ومن أخطاه ضل فلذلك أقول : جف القلم على علم الله تعالى » وهذا الحديث العظيم أصل من أصول الايمان وينفتح به باب عظيم من أبواب سر القدر وحكمته والله تعالى الموفق *

وهذا النور الذى ألقاه عليهم سبحانه وتعالى هو الذى أحياهم وهداهم فأصاب الفطرة منه حظها ولكن لما لم يستقل بتمامه وكماله أكمله لهم وأتمه بالروح الذى القاه على رسله عليهم الصلاة والسلام والنور الذى أوحاه اليهم فأدركته الفطرة بذلك النور السابق الذى حصل لها يوم إلقاء النور فانضاف نور الوحى والنبوة الى نور الفطرة ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ فأشرقت منه القلوب واستنارت به الوجوه وحييت به الارواح وأذعنت به الجوارح للطاعات طوعا واختيارا فازدادت به القلوب حياة الى حياتها *

ثم دلها ذلك النور على نور آخر هو أعظم منه وأجل وهو نور الصفات العليا الذى يضمحل فيه كل نور سواه فشاهدته ببصائر الايمان

---

ج ٤ ص ١٠ عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول ﷺ وجلسنا حوله ـ الحديث وهو طويل . قال المنذرى . ورواته محتج بهم فى الصحيح .

مشاهدة نسبتها الى القلب نسبة المرئيات الى العين ذلك لاستيلاء اليقين عليها وانكشاف حقائق الايمان لها حتى كانها تنظر الى عرش الرحمن تبارك وتعالى بارزا والى استوائه عليه كما أخبر به سبحانه وتعالى فى كتابه وكما أخبر به عنه رسوله ﷺ يدبر أمر الممالك ويامر وينهى ويخلق ويرزق ويميت ويحيي ويقضي ويمضي ويعز ويذل ويقلب الليل والنهار ويداول الايام بين الناس ويقلب الدول فيذهب بدولة ويأتى باخرى والرسل من الملائكة عليهم السلام بين صاعد اليه بالامر ونازل من عنده به وأوامره ومراسمه متعاقبة على تعاقب الآيات نافذة بحسب ارادته فما شاء كان كما شاء فى الوقت الذى يشاء على الوجه الذى يشاء من غير زيادة ولا نقصان ولا تقدم ولا تاخر وأمره وسلطانه نافذ فى السموات واقطارها وفى الارض وما عليها وما تحتها وفى البحار والجو وفى سائر أجزاء العالم وذراته يقلبها ويصرفها ويحدث فيها ما يشاء وقد أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا ووسع كل شيء رحمة وحكمة ووسع سمعه الاصوات فلا تختلف عليه ولا تشتبه عليه بل يسمع ضجيجها على اختلاف لغاتها وكثرة حاجاتها ولا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه كثرة المسائل ولا يتبرم بالحاح ذوى الحاجات وأحاط بصره بجميع المرئيات فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء فالغيب عنده شهادة والسر عنده علانية يعلم السر واخفى من السر فالسر ما انطوى عليه ضمير العبد وخطر بقلبه ولم تتحرك به شفتاه وأخفى منه ما لم يخطر به بعد . فيعلم أنه سيخطر بقلبه كذا وكذا فى وقت كذا وكذا . له الخلق والامر ، وله الملك والحمد ، وله الدنيا والآخرة ، وله النعمة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن له الملك كله وله الحمد كله

وبيده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، شملت قدرته كل شيء ، ووسعت رحمته كل شيء ، وسعت نعمته إلى كل حى ( يَسْأَلُهُ مَن فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ) يغفر ذنبا ، ويفرج هما ، ويكشف كربا ويجبر كسيراً ، ويغنى فقيراً ، ويعلم جاهلا ، ويهدى ضالا ويرشد حيران ، ويغيث لهفان ، ويفك عانيا ، ويشبع جائعا ، ويكسو عاريا ، ويشفى مريضا ، ويعافى مبتلى ، ويقبل تائبا ، ويجزى محسنا ، وينصر مظلوما ، ويقصم جبارا ، ويقيل عثرة ، ويستر عورة ، ويؤمن روعة ، ويرفع أقواما ويضع آخرين ، لاينام ، ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ، يمينه ملأى لاتغيضها نفقة . سحاء الليل والنهار . ارأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق ؟ فانه لم يغض ما فى يمينه . قلوب العباد ونواصيهم بيده . وأزمة الأمور معقودة بقضائه وقدره . الأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه . يقبض سمواته كلها بيده الكريمة والأرض باليد الاخرى . ثم يهزهن ثم يقول : أنا الملك أنا الملك . أنا الذى بدأت الدنيا ولم تكن شيئا . وأنا الذى أعيدها كما بدأتها لايتعاظمه ذنب أن يغفره ، ولاحاجة يسألها أن يعطيها : لو أن أهل سمواته وأهل أرضه وأول خلقه وآخرهم . وإنسهم وجنهم كانوا على أتقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك فى ملكه شيئا . ولو أن أول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم كانوا على أفجر قلب رجل منهم ما نقص ذلك من ملكه شيئا . ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه وانسهم وجنهم وحيهم وميتهم ورطبهم ويابسهم

قاموا فى صعيد واحد فسألوه فأعطى كلا منهم ماسأله ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة ولو أن أشجار الأرض كلها من حين وجدت إلى أن تنقضى الدنيا أقلام .

والبحر ووراءه سبعة أبحر تمده من بعده مداد ، فكتبت تلك الأقلام وذلك المداد لفنيت الأقلام ، ونفد المداد ولم تنفد كلمات الخالق تبارك وتعالى ، وكيف تفنى كلماته جل جلاله ؟ وهى لابداية لها ولا نهاية ، والمخلوق له بداية ونهاية ، فهو أحق بالفناء والنفاد ؟ وكيف يفنى المخلوق غير المخلوق هو الأول الذى ليس قبله شىء ، والآخر الذى ليس بعده شىء ، والظاهر الذى ليس فوقه شىء . والباطن الذى ليس دونه شىء ، تبارك وتعالى أحق من ذكر ، وأحق من عبد ، وأحق من حمد . وأولى من شكر ، وأنصر من ابتغى ، وأرأف من ملك ، وأجود من سئل ، وأعفى من قدر ، وأكرم من قصد ، وأعدل من انتقم ، حلمه بعد علمه ، وعفوه بعد قدرته ، ومغفرته عن عزته ، ومنعه عن حكمته ، وموالاته عن احسانه ورحمته .

مالِلعباد عليه حق واجب كلا ، ولاسعى لديه ضائع

إن عذبوا فبعدله ، أو نعموا فبفضله ، وهو الكريم الواسع

هو الملك لاشريك له ، والفرد فلا ند له ، والغنى فلا ظهير له ، والصمد فلا ولد له ، ولاصاحبة له ، والعلى فلاشبيه له ، ولاسمى له . كل شىء هالك إلا وجهه ، وكل ملك زائل إلا ملكه ، وكل ظل قالص إلا ظله ، وكل فضل منقطع إلا فضله ، لن يطاع إلا باذنه ورحمته ، ولن يعصى إلا بعلمه وحكمته ، يطاع فيشكر ، ويعصى فيتجاوز ويغفر . كل نقمة منه عدل ؛ وكل نعمة منه فضل ، أقرب شهيد ، وأدنى حفيظ ، حال دون النفوس ،

وأخذ بالنواصي وسجل الآثار ، وكتب الآجال ، فالقلوب له مفضية ، والسر عنده علانية . والغيب عنده شهادة . عطاؤه كلام . وعذابه كلام (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) فاذا أشرقت على القلب أنوار هذه الصفات اضمحل عندها كل نور . ووراء هذا ما لا يخطر بالبال ولا تناله عبارة .

والمقصود : أن الذكر ينور القلب والوجه والأعضاء، وهو نور العبد في دنياه وفي البرزخ وفي القيامة .

وعلى حسب نور الايمان في قلب العبد تخرج أعماله وأقواله ولها نور وبرهان . حتى ان من المؤمنين من يكون نور أعماله اذا صعدت الى الله تبارك وتعالى كنور الشمس وهكذا نور روحه اذ قدم بها على الله عز وجل . وهكذا يكون نوره الساعي بين يديه على الصراط . وهكذا يكون نور وجهه في القيامة والله تعالى المستعان وعليه الاتكال .

(الخامسة والثلاثون) : أن الذكر رأس الأصول . وطريق عامة الطائفة . ومنشور الولاية . فمن فتح له فيه فقد فتح له باب الدخول على الله عز وجل فليتطهر . وليدخل على ربه عز وجل : يجد عنده كل ما يريد . فان وجد ربه عز وجل وجد كل شيء وان فاته ربه عز وجل فاته كل شيء .

(السادسة والثلاثون) : أن في القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء البتة الا ذكر الله عز وجل . فاذا صار الذكر شعار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الاصالة واللسان تبع له . فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة ويغني الفاقة . فيكون صاحبه غنيا بلا مال . عزيزاً بلا عشيرة . مهيبا بلا سلطان . فاذا كان غافلا عن ذكر الله عز وجل فهو بضد ذلك فقير مع

كثرةماله ذليل معسلطانه ، حقير مع كثرة عشيرته .

﴿السابعة والثلاثون﴾ : أن الذكر يجمع المتفرق ويفرق المجتمع ، ويقرب البعيد ، ويبعد القريب ، فيجمع ماتفرق على العبد من قلبه وارادته وهمومه وعزمه ، والعذاب كل العذاب فى تفرقها وتشتتها عليه ، وانفراطها له . والحياة والنعيم فى اجتماع قلبه وهمه وعزمه وإرادته .

والذكر يفرق مااجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على موت حظوظه ومطالبه ، ويفرق أيضا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل . ويفرق أيضا مااجتمع على حربه من جند الشيطان ، فان إبليس لايزال يبعث له سرية بعد سرية وكلما كان أقوى طلبا لله سبحانه وتعالى وأشد تعلقا به وارادة له كانت السرية أكثف وأكثر وأعظم شوكة بحسب ماعند العبد من مواد الخير والارادة . ولاسبيل الى تفريق هذا الجمع الا بدوام الذكر .

وأما تقريبه البعيد . فانه يقرب اليه الآخرة التى يبعدهامنه الشيطان والأمل ، فلايزال يلهج بالذكرحتى كأنه قد دخلها وحضرهافحينئذتصغر فى عينه الدنيا وتعظم فى قلبه الآخرة . ويبعد القريب اليه ، وهى الدنيا التى هى أدنى اليه من الآخرة . فان الآخرة متى قربت من قلبه بعدت منه الدنيا ـ كلما قربت هذه مرحلة بعدت هذه مرحلة . ولاسبيل الى هذا الا بدوام الذكر .

﴿الثامنة والثلاثون﴾ : أن الذكر ينبه القلب من نومه ويوقظه من سنته . والقلب إذا كان نائما فاتته الأرباح والمتاجر . وكان

الغالب عليه الخسران فاذا استيقظ وعلم مافاته فى نومته شد المئزر وأحيا بقية عمره واستدرك مافاته . ولاتحصل يقظته الا بالذكر . فان الغفلة نوم ثقيل *

﴿التاسعة والثلاثون﴾ : أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التى شمر اليها السالكون ؛ فلاسبيل الى نيل ثمارها الا من شجرة الذكر وكلما عظمت تلك الشجرة ورسخ أصلها كان أعظم لثمرتها . فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة الى التوحيد *

وهو أصل كل مقام وقاعدته التى ينبنى ذلك المقام عليها كما تبنى الحائط على أسها، وكما يقوم السقف على حائطه وذلك أن العبد ان لم يستيقظ لم يمكنه قطع منازل السير . ولايستيقظ الا بالذكر كما تقدم . فالغفلة نوم القلب أو موته *

﴿الأربعون﴾ : أن الذاكر قريب من مذكوره . ومذكوره معه . وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والاحاطة العامة . فهى معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق كقوله تعالى (ان اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) (وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) (وَانَّ اللّهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ) (لاَتَحْزَنْ انَّ اللّهَ مَعَنَا) وللذاكر من هذه المعية نصيب وافر . كما فى الحديث الالهى « أنا مع عبدى اذا ذكرنى وتحركت بى شفتاه» (١) وفى أثر آخر « أهل ذكرى أهل مجالستى ، وأهل شكرى أهل زيارتى، وأهل طاعتى أهل كرامتى وأهل معصيتى لاأقنطهم من رحمتى ، ان تابوا فأنا حبيبهم ، فانى أحب التوابين وأحب المتطهرين . وان لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب

---

(١) رواه البخارى عن أبى هريرة

لاطهرم من المعايب *

والمعية الحاصلة للذاكر معية لايشبهها شيء ، وهي أخص من المعية الحاصلة للمحسن والمتقي ، وهي معية لاتدركها العبارة ولاتنالها الصفة ، وإنما تعلم بالذوق وهي مزلة أقدام إن لم يصحب العبد فيها تمييز بين القديم والمحدث ، بين الرب والعبد ، بين الخالق والمخلوق ، بين العابد والمعبود ، والاوقع في حلول يضاهيء به النصارى ، أو اتحاد يضاهيء به القائلين بوحدة الوجود ، وأن وجود الرب عين وجود هذه الموجودات ، بل ليس عندهم رب وعبد ، ولاخلق وحق ، بل الرب هو العبد والعبد هو الرب ، والخلق المشبه هو الحق المنزه تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا *

والمقصود أنه إن لم يكن مع العبد عقيدة صحيحة وإلا فاذا استوى عليه سلطان الذكر وغاب بمذكوره عن ذكره وعن نفسه ولج في باب الحلول والاتحاد ولابد *

(الحادية والأربعون) : أن الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال والحمل على الخيل في سبيل الله عز وجل ، ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل . وقد تقدم أن « من قال في يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه حتى يمسى » الحديث *

وذكر ابن أبي الدنيا عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال : قيل لابي الدرداء : إن رجلا أعتق مائة نسمة . قال : « إن مائة نسمة من مال رجل كثير . وأفضل من ذلك إيمان ملزوم بالليل والنهار ،

وان لا يزال لسان أحدكم رطبا من ذكر الله عز وجل » .

وقال ابن مسعود: « لأن أسبح الله تعالى تسبيحات أحب الى من أن أنفق عددهن دنانير فى سبيل الله عز وجل » .

وجلس عبد الله بن عمرو . وعبد الله بن مسعود فقال عبد الله : « سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر ، أحب الى من أن أنفق عددهن دنانير فى سبيل الله عز وجل » فقال . عبد الله بن عمرو . « لأن أجد فى طريق فاقولهن أحب إلى من أن أحمل عددهن على الخيل فى سبيل الله عز وجل » .

وقد تقدم حديث أبى الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الورق والذهب ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : اذكروا الله » رواه ابن ماجه والترمذى وقال الحاكم: صحيح الاسناد .

( الثانية والأربعون ) : أن الذكر رأس الشكر فما شكر الله تعالى من لم يذكره، وذكر البيهقى عن زيد بن أسلم « أن موسى عليه السلام قال : رب قد أنعمت على كثيرا . فدلنى على ان أشكرك كثيراً . قال : اذكرنى كثيرا فاذا ذكرتنى كثيرا فقد شكرتنى كثيرا . وإذا نسيتنى فقد كفرتنى» وقد ذكر البيهقى أيضا فى شعب الايمان عن عبد الله بن سلام قال : قال موسى عليه السلام : « يارب ، ما الشكر الذى ينبغى لك ؟ فاوحى الله تعالى اليه أن لايزال لسانك رطبا من ذكرى . قال : يارب إنى أكون على حال أجلك أن أذكرك فيها . قال : وما هى ؟ قال : أكون جنبا أو على الغائط أو إذا بلت . فقال : وإن كان . قال : يارب

فما أقول ؟ قال: تقول سبحانك وبحمدك . وجنبني الأذى . وسبحانك وبحمدك فقني الأذى »*

قلت : قالت عائشة « كان رسول الله ﷺ يذكر الله تعالى على كل أحيانه » ولم تستثن حالة من حالة . وهذا يدل على أنه كان يذكر ربه تعالى في حال طهارته وجنابته . وأما في حال التخلي فلم يكن يشاهده أحد يحكي عنه . ولكن شرع لأمته من الأذكار قبل التخلي وبعده ما يدل على مزيد الاعتناء بالذكر وأنه لا يخل به عند قضاء الحاجة وبعدها وكذلك شرع للأمة من الذكر عند الجماع أن يقول أحدهم « بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا » (١) وأما عند نفس قضاء الحاجة وجماع الأهل فلا ريب أنه لا يكره بالقلب . لأنه لا بد لقلبه من ذكر ، ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر من هو أحب شيء إليه فلو كلف القلب نسيانه لكان تكليفه بالمحال كما قال القائل :

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

وأما الذكر باللسان على هذه الحالة فليس مما شرع لنا ، ولا ندبنا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نقل عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم ، وقال عبد الله بن أبي الهذيل : «إن الله تعالى ليحب أن يذكر في السوق ويحب أن يذكر على كل حال إلا على الخلاء ، ويكفي في هذه الحال استشعار الحياء والمراقبة والنعمة عليه في هذه الحالة ،وهي من أجل الذكر . فذكر كل حال بحسب ما يليق بها. واللائق بهذه الحال التقنع بثوب

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن قضي بينهما ولد من ذلك لم يضره الشيطان» رواه البخاري ومسلم وأحمد وأصحاب السنن الاربعة

الحياء من الله تعالى واجلاله وذكر نعمته عليه واحسانه اليه فى اخراج هذا العدو المؤذى له الذى لو بقى فيه لقتله . فالنعمة فى تيسير خروجه كالنعمة فى التغذى به *

وكان على بن أبى طالب اذا خرج من الخلاء مسح بطنه وقال : «يالها نعمة لو يعلم الناس قدرها» وكان بعض السلف يقول : « الحمد لله الذى اذاقنى لذته وأبقى فى منفعته وأذهب عنى مضرته» وكذلك ذكره حال الجماع ذكر هذه النعمة التى من بها على . وهى أحل نعم الدنيا . فاذا ذكر نعمة الله تعالى عليه بها هاج من قلبه هائج الشكر فالذكر رأس الشكر *

وقال النبى ﷺ لمعاذ « والله يامعاذ انى لأحبك» فلاتنس أن تقول دبر كل صلاة : «اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» (١) فجمع بين الذكر والشكر كما جمع سبحانه وتعالى بينهما فى قوله تعالى (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) فالذكر والشكر جماع السعادة والفلاح *

﴿الثالثة والأربعون﴾ : أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لايزال لسانه رطبا بذكره ، فانه اتقاه فى أمره ونهيه ، وجعل ذكره شعاره فالتقوى أوجبت له دخول الجنة والنجاة من النار ، وهذا هو الثواب والأجر والذكر يوجب له القرب من الله عز وجل والزلفى لديه ، وهذه هى المنزلة *

وعمال الآخرة على قسمين . منهم من يعمل على الأجر والثواب ومنهم من يعمل على المنزلة والدرجة ، فهو ينافس غيره فى الوسيلة والمنزلة عند الله تعالى ، ويسابق الى القرب منه . وقد ذكر الله تعالى النوعين

---

(١) رواه أبو داود والنسائى

فى سورة الحديد فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ فهؤلاء أصحاب الاجور والثواب ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ﴾ فهؤلاء اصحاب المنزلة والقرب ، ثم قال : ﴿ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ فقيل هذا عطف على الخبر من ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ أخبر عنهم بأنهم هم الصديقون وأنهم الشهداء الذين يشهدون على الامم ثم اخبر عنهم ان لهم اجراً وهو قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ فيكون قد أخبر عنهم بأربعة امور أنهم صديقون ، وشهداء فهذه هى المرتبة والمنزلة ، وقيل تم الكلام عند قوله تعالى : ﴿ الصِّدِّيقُونَ ﴾ ثم ذكر بعد ذلك حال الشهداء فقال : ﴿ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾ فيكون قد ذكر المتصدقين أهل البر والاحسان ، ثم المؤمنين الذين قد رسخ الايمان فى قلوبهم وامتلأوا منه فهم الصديقون وهم أهل العلم والعمل والاولون أهل البر والاحسان ، ولكن هؤلاء أكمل صديقية منهم ثم ذكر الشهداء وانه تعالى يجرى عليهم رزقهم ونورهم لانهم لما بذلوا أنفسهم لله تعالى اثابهم الله تعالى عليها أن جعلهم احياء عنده يرزقون فيجرى عليهم رزقهم ونورهم فهؤلاء السعداء *

ثم ذكر الاشقياء فقال : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾

والمقصود أنه سبحانه وتعالى ذكر أصحاب الاجور واصحاب المراتب

وهذان الأمران هما اللذان وعدهما فرعون السحرة إن غلبوا موسى عليه الصلاة والسلام، فقالوا: ( إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قال : نعم وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ) أجمع لكم بين الأجر والمنزلة عندى والقرب منى فالعمال عملوا على الأجور ، والعارفون عملوا على المراتب، والمنزلة، والزلفى عند الله ، وأعمال هؤلاء القلبية أكثر من أعمال أولئك ، وأعمال أولئك البدنية قد تكون أكثر من أعمال هؤلاء . وذكر البيهقى عن محمد بن كعب القرظى رحمه الله تعالى قال : « قال موسى عليه السلام : يارب أى خلقك أكرم عليك ؟ قال : الذى لا يزال لسانه رطبا بذكرى . قال : يارب فأى خلقك أعلم ؟ قال : الذى يلتمس إلى علمه علم غيره ، قال : يارب أى خلقك أعدل؟ قال : الذى يقضى على نفسه كما يقضى على الناس. قال: يارب أى خلقك أعظم ذنبا ؟ قال : الذى يتهمنى . قال : يارب وهل يتهمك أحد قال : الذى يستخيرنى ولا يرضى قضائى » *

وذكر أيضا عن ابن عباس قال : « لما وفد موسى عليه السلام إلى طور سيناء قال : يارب أى عبادك أحب إليك ؟ قال: الذى يذكرنى ولا ينسانى » *

وقال كعب : « قال موسى عليه السلام : يارب أقريب أنت فأناجيك ، أم بعيد فأناديك ؟ فقال تعالى : ياموسى أنا جليس من ذكرنى قال : إنى أكون على حال أجلك عنها . قال : ماهى ياموسى ؟ قال : عند الغائط والجنابة . قال : اذكرنى على كل حال » . وقال عبيد بن عمير : تسبيحة بحمد الله فى صحيفة مؤمن خير له من جبال الدنيا تجرى معه ذهبا، وقال الحسن « إذا كان يوم القيامة نادى مناد سيعلم الجمع من أولى بالكرم أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون ؟ قال : فيقومون فيتخطون رقاب الناس . قال : ثم

ينادى مناد سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم . أين الذين كانت (لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ) ؟ قال : فيقومون . فيتخطون رقاب الناس قال : ثم ينادى مناد سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم . أين الحامدون لله على كل حال ؟ قال : فيقومون وهم كثير . ثم يكون التنعيم والحساب فيمن بقى » (١) وأتى رجل أبا مسلم الخولانى فقال له « أوصنى يا أبا مسلم . قال : اذكر الله تعالى تحت كل شجرة ومدرة . فقال . زدنى فقال : اذكر الله تعالى حتى يحسبك الناس من ذكر الله تعالى مجنونا » قال : وكان أبو مسلم يكثر ذكر الله تعالى . فرآه رجل يذكر الله تعالى فقال: أمجنون صاحبكم هذا ؟ فسمعه أبو مسلم . فقال : ليس هذا بالجنون يا ابن أخي . ولكن هذا دواء الجنون »

﴿ السادسة والأربعون ﴾ (٢) أن فى القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى . فينبغى للعبد أن يداوى قسوة قلبه بذكر الله تعالى ، وذكر حماد بن زيد عن المعلى بن زياد أن رجلا قال للحسن : يا أبا سعيد : أشكو إليك قسوة قلبى . قال « أذبه بالذكر » وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة اشتدت به القسوة . فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص فى النار . فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل »

﴿ السابعة والأربعون ﴾ : أن الذكر شفاء القلب ودواؤه . والغفلة مرضه ، فالقلوب مريضة وشفاؤها ودواؤها فى ذكر الله تعالى . قال مكحول : « ذكر الله تعالى شفاء ، وذكر الناس داء » ، وذكر

---

(١) روى القطعة الأولى منه التى فى قيام الليل ـ البيهقى عن أسماء بنت يزيد عن النبى ﷺ وذكرها الحافظ ابن كثير فى تفسير الآية من سورة السجدة عن ابن أبى حاتم بسنده إلى أسماء. (٢) حصل غلط فى عدد فوائد الذكر واستدركناه فيما

البيهقي عن مكحول مرفوعا مرسلا (١) « ذكرته شفاها وعافاها . فاذا غفلت عنه انتكست » كما قيل .

إذا مرضنا تداوينا بذكركم فنترك الذكر أحيانا فننتكس

( الثامنة والأربعون ) أن الذكر أصل موالاة الله عز وجل ورأسها . والغفلة أصل معاداته ورأسها ، فان العبد لايزال يذكر ربه عز وجل حتى يحبه فيواليه . ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه فيعاديه . قال الأوزاعي: قال حسان بن عطية « ماعادى عبد ربه شيء أشد عليه من أن يكره ذكره أو من يذكره » فهذه المعاداة سببها الغفلة ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر الله ويكره من يذكره ، فحينئذ يتخذه الله عدوا كما اتخذ الذاكر وليا .

( التاسعة والأربعون ) أنه ما استجلبت نعم الله عز وجل واستدفعت نقمه بمثل ذكر الله تعالى . فالذكر جلاب للنعم ، دفاع للنقم قال الله سبحانه وتعالى: ( إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ) وفي القراءة الأخرى ( إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ ) فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة ايمانهم وكماله . ومادة الايمان وقوته بذكر الله تعالى فمن كان أكمل إيمانا وأكثر ذكرا كان دفع الله تعالى عنه ودفاعه أعظم ، ومن نقص نقص ذكرا بذكر ونسيانا بنسيان . وقال سبحانه وتعالى: ( وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ) والذكر رأس الشكر كما تقدم . والشكر جلاب النعم ، وموجب للمزيد قال بعض السلف رحمة الله عليهم : « ما أقبح الغفلة عن ذكر من لايغفل عن برك » .

---

(١) سقط هنا كلام واصله « إن القلوب إذا مرضت وذكرته شفاها »

( الخمسون ) أن الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر . ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح ، وفاز كل الفوز . قال سبحانه وتعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ) فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته انما هي سبب الاخراج لهم من الظلمات الى النور . واذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته وأخرجوهم من الظلمات الى النور فاى خير لم يحصل لهم ؟ وأى شر لم يندفع عنهم ؟ فياحسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من خيره وفضله ؟ وبالله التوفيق ۝

( الحادية والخمسون ) : أن من شاء أن يسكن رياض الجنة فى الدنيا فليستوطن مجالس الذكر . فانها رياض الجنة . وقد ذكر ابن ابى الدنيا وغيره من حديث جابر بن عبد الله قال : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ايها الناس ، ارتعوا فى رياض الجنة ؛ قلنا : يارسول الله وما رياض الجنة ؟ قال . مجالس الذكر . ثم قال : اغدوا وروحوا واذكروا فمن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله تعالى فلينظر كيف منزلة الله تعالى عنده فان الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه » ۝

( الثانية والخمسون ) أن مجالس الذكر مجالس الملائكة فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس الا مجلس يذكر الله تعالى فيه . كما أخرجا فى الصحيحين من حديث الأعمش عن أبى صالح (١) عن ابى هريرة قال . قال رسول

---

(١) انما رواه من هذا الطريق البخارى. وأما مسلم فرواه من طريق

الله ﷺ « ان لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس (١) يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا : هلموا الى حاجتكم قال : فيحفونهم باجنحتهم الى السماء الدنيا قال. فيسالهم ربهم تعالى وهو أعلم بهم (٢) ما يقول عبادي ؟ قال : يقولون يسبحونك ، ويكبرونك ، ويحمدونك . قال : فيقول : هل رأوني قال فيقولون: لا والله ما رأوك ، قال : فيقول. كيف لو رأوني ، قال : فيقولون لو راوك كانوا اشد لك عبادة ، واشد لك تحميدا وتمجيدا ، واكثر لك تسبيحا قال : فيقول : ما يسالوني قال يسالونك الجنة . قال . يقول : وهل رأوها قال يقولون . لا والله يارب ما راوها ، قال. فيقول : فكيف لو انهم راوها ، قال يقولون . لو انهم راوها كانوا اشد

---

وهيب عن سهيل عن أبي هريرة»

(١) قال الأستاذ الامام السيد رشيد رضا رحمه الله ورضي عنه : في صحيح مسلم «سيارة فضلا» وليس فيه :عن كتاب الناس — ولا في البخاري وليس في هذا «سيارة فضلا» أيضا ولكن في رواية الاسماعيلي له لفظة «فضلا» فقط وهي بضمتين وروبت كذلك بالرفع أو بضم فسكون او بفتح فسكون ورجح الأول النووي والثالث القاضي عياض في شرحيهما لمسلم. وروى فضلاء . قال العلماء ومعناه على جميع الروايات انهم ملائكة زائدون على الحفظة وغيرهم من المرتبين مع الخلائق فالظاهر مما في النسخة الهندية من زيادة «عن كتاب الناس» انها تفسير للفضل ادرج في الاصل غلطا وربما كان في الأصل ما يبين ذلك فسقط عند النسخ او الطبع . وكان في الحديث اغلاط اخرى في النسخة صححناها على رواية البخاري.

(٢) اي بالذاكرين وفي رواية منهم اي من الملائكة

عليها حرصا ، وأشد لها طلبا ، وأعظم فيها رغبة . فيقول : فمم يتعوذون؟ قال : يقولون : من النار ، قال : يقول : وهل رأوها ؟ قال: يقولون : لا والله يارب ما رأوها . قال : يقول . فكيف لو رأوها؟ قال : يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشد لها مخافة . قال : يقول . فأشهدكم أنى قد غفرت لهم . فيقول ملك من الملائكة . فيهم فلان ، ليس منهم، إنما جاء لحاجة ، قال . هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم » (١)

فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم فلهم نصيب من قوله ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ ﴾ فهكذا المؤمن مبارك أين حل، والفاجر مشؤم أين حل ، فمجالس الذكر مجالس الملائكة ، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين . وكل مضاف إلى شكله وأشباهه ، وكل امرىء يصير إلى ما يناسبه ٭

﴿ الثالثة والخمسون ﴾ أن الله عز وجل يباهي بالذاكرين ملائكته كما روى مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى قال خرج معاوية على حلقة فى المسجد ، فقال ما أجلسكم قالوا . جلسنا نذكر الله تعالى . قال . والله ما أجلسكم إلا ذاك قالوا . والله ما أجلسنا إلا ذاك . قال: أما انى لم أستحلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزلتى من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثا منى . وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال : « ما أجلسكم » قالوا : جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للاسلام ، ومن علينا بك . قال . الله ما أجلسكم إلا ذاك قالوا . والله ما أجلسنا إلا ذاك . قال : أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى أن الله تبارك وتعالى يباهي بكم الملائكة » ٭

---

(١) وفى رواية مسلم « هم القوم لا يشقى جليسهم » ٭

فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى دليل على شرف الذكر عنده ومحبته له ، وأن له مزية على غيره من الأعمال .

( الرابعة والخمسون ) أن مدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك لما ذكر ابن ابى الدنيا عن عبد الرحمن بن مهدى عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمى عن أبيه عن ابى الدرداء قال : « الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك » .

( الخامسة والخمسون ) : أن جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر الله تعالى . فالمقصود بها تحصيل ذكر الله تعالى . قال سبحانه وتعالى : ( وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ) .

قيل : المصدر مضاف الى الفاعل ، اى لأذكرك بها . وقيل : مضاف الى المذكور ، اى لتذكرنى بها . واللام على هذا لام التعليل . وقيل : هى اللام الوقتية اى اقم الصلاة عند ذكرى . كقوله : ( أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ ) وقوله تعالى ( وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ) وهذا المعنى يراد بالآية لكن تفسيرها به يجعل معناها فيه نظر . لأن هذه اللام الوقتية يليها اسماء الزمان والظروف ، والذكر مصدر ، الا ان يقدر زمان محذوف ، أى عند وقت ذكرى ، وهذا محتمل ، والأظهر : انها لام التعليل ، اى اقم الصلاة لأجل ذكرى ، ويلزم من هذا ان تكون اقامتها عند ذكره واذا ذكر العبد ربه فذكر الله تعالى سابق على ذكره ، فانه لما ذكره ألهمه ذكره ، فالمعانى الثلاثة حق .

وقال سبحانه وتعالى : ( اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ

إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) فقيل : المعنى أنكم فى الصلاة تذكرون الله ، وهو ذاكر من ذكره ، ولذكر الله تعالى إياكم أكبر من ذكركم اياه . وهذا يروى عن ابن عباس . وسلمان . وأبى الدرداء . وابن مسعود رضى الله عنهم *

وذكر ابن أبى الدنيا عن فضيل بن مرزوق عن عطية (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) قال هو قوله تعالى (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) فذكر الله تعالى لكم أكبر من ذكركم إياه . وقال ابن زيد . وقتادة : معناه ولذكر الله أكبر من كل شيء *

وقيل لسلمان : أى الأعمال أفضل ؟ فقال : اما تقرأ القرآن (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) *

ويشهد لهذا حديث ابى الدرداء المتقدم « الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم ، وخير لكم من انفاق الذهب والورق » الحديث *

وكان شيخ الاسلام ابو العباس ، قدس الله روحه . يقول : الصحيح ان معنى الآية : ان الصلاة فيها مقصودان عظيمان ، واحدهما اعظم من الآخر فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وهى مشتملة على ذكر الله تعالى ، ومافيها من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر *

وذكر ابن أبى الدنيا عن ابن عباس أنه سئل أى العمل أفضل ؟ قال : « ذكر الله اكبر » *

وفى السنن عن عائشة عن النبى ﷺ قال « انما جعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمى الجمار لاقامة ذكر الله تعالى » رواه ابو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح *

(السادسة والخمسون) ان افضل اهل كل عمل اكثرهم فيه ذكرا لله

عز وجل . وأفضل الصوم أكثرهم ذكرا لله عز وجل فى صومهم ، وأفضل المتصدقين أكثرهم ذكرا لله عز وجل . وأفضل الحاج أكثرهم ذكرا لله عز وجل . وهكذا سائر الأحوال *

وقد ذكر ابن أبى الدنيا حديثا مرسلا فى ذلك « أن النبى ﷺ سئل أى أهل المسجد خير؟ قال : أكثرهم ذكرا لله عز وجل . قيل : أى أهل الجنازة خير ؟ قال : أكثرهم ذكرا لله عز وجل . قيل : فأى المجاهدين خير؟ قال أكثرهم ذكرا لله عز وجل . قيل : فأى الحجاج خير (١)؟ قال : أكثرهم ذكرا لله عز وجل قيل فأى العباد خير ؟ قال : أكثرهم ذكرا لله عز وجل » *

قال أبو بكر ، (٢) ذهب الذاكرون بالخير كله *

وقال عبيد بن عمير « إن أعظمكم هذا الليل أن تكابدوه ، وبخلتم بالمال أن تنفقوه ، وجبنتم عن العدو أن تقاتلوه فأكثروا من ذكر الله عز وجل » *

( السابعة والخمسون ) أن إدامته تنوب عن التطوعات ، وتقوم مقامها ، سواء كانت بدنية ، أو مالية ، أو بدنية مالية ، كحج التطوع . وقد جاء ذلك صريحا فى حديث أبى هريرة « أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا يارسول الله : ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ولهم فضل أموالهم يحجون بها ، ويعتمرون ، ويجاهدون . فقال : ألا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ، ولا أحد يكون أفضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول الله

---

(١) فى نزل الأبرار « وأى العواد خير » (٢) هو ابن أبى الدنيا مخرج الحديث

قال تسبحون ، وتحمدون ، وتكبرون دبر كل صلاة » الحديث متفق عليه *

فجعل الذكر عوضا لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد، وأخبر انهم يسبقونهم بهذا الذكر ، فلما سمع اهل الدثور بذلك عملوا به ، فازدادوا إلى صدقاتهم وعبادتهم بمالهم التعبد بهذا الذكر فحازوا الفضيلتين فنافسوهم الفقراء ، واخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم قدشاركوهم فى ذلك وانفردوا عنهم بما لا قدرة لهم عليه فقال : « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » *

وفى حديث عبد الله بن بسر قال: « جاء اعرابى ، فقال يارسول الله: كثرت على خلال الاسلام وشرائعه ، فاخبرنى بامر جامع يكفينى ؟. قال :عليك بذكر الله تعالى . قال : ويكفينى يارسول الله قال نعم ويفضل عنك » (١) فدله الناصح الأمين صلى الله عليه وآله وسلم على شىء يعينه على شرائع الاسلام والحرص عليها والاستكثار منها فانه اذا اتخذ ذكر الله تعالى شعاره احبه ، واحب ما يحب ، فلا شىء احب اليه من التقرب اليه بشرائع الاسلام ، فدله ﷺ على ما يتمكن به من شرائع الاسلام وتسهل به عليه ، وهو ذكر الله عز وجل . يوضحه *

﴿ الثامنة والخمسون ﴾ ان ذكر الله عز وجل من اكبر العون على طاعته ، فانه يحببها الى العبد ويسهلها عليه ، ويلذذها له ، ويجعل قرة عينه فيها ، ونعيمه وسروره بها ، بحيث لايجد لها من الكلفة والمشقة

---

(١) وفى رواية بلفظ « ان رجلا قال : يارسول الله ، ان شرائع الاسلام قد كثرت على ، فاخبرنى بشىء اتشبث به . قال لا يزال لسانك رطبا بذكر الله » رواه الترمذى . وقال حسن غريب *

والثقل مايجد العاقل . والتجربة شاهدة بذلك . يوضحه :

﴿التاسعة والخمسون﴾ أن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب ، وييسر العسير ، ويخفف المشاق ، فما ذكر الله عز وجل على صعب الاهان ، ولا على عسير الا تيسر ، ولامشقة إلا خفت ، ولاشدة إلا زالت ، ولا كربة إلا انفرجت ، فذكر الله تعالى هو الفرج بعد الشدة ، واليسر بعد العسر ، والفرج بعد الغم والهم . يوضحه :

﴿ الستون ﴾ أن ذكر الله عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلها وله تأثير عجيب فى حصول الأمن . فليس للخائف الذى قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل ، إذ بحسب ذكره يجد الأمن ، ويزول خوفه ، حتى كأن المخاوف التى يجدها أمان له . والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ماهو فيه من الأمن كله مخاوف . ومن له أدنى حس قد جرب هذا وهذا ، والله المستعان *

﴿ الحادية والستون ﴾ أن الذكر يعطى الذاكر قوة حتى انه ليفعل مع الذكر مالم يظن فعله بدونه *

وقد شاهدت من قوة شيخ الاسلام ابن تيمية فى سننه وكلامه واقدامه وكتابته أمرا عجيبا . فكان يكتب فى اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ فى جمعة ، واكثر . وقد شاهد العسكر من قوته فى الحرب أمرا عظيما . وقد علم النبى صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة وعليا رضى الله تعالى عنهما أن يسبحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثا وثلاثين ويحمدا ثلاثا وثلاثين ويكبرا أربعا وثلاثين ، لما سألته الخادم ، وشكت اليه ما تقاسيه من الطحن والسعى ، والخدمة . فعلمهما ذلك . وقال « انه خير لكما من خادم » (١) فقيل : ان من داوم على ذلك وجد قوة فى

---

(١) رواه البخارى *

نومه ، معية عن خادم *

وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يذكر أثرا فى هذا الباب ويقول : « ان الملائكة لما أمروا بحمل العرش قالوا : ياربنا كيف نحمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك ؟ فقال : قولوا لاحول ولا قوة الا بالله . فلما قالوا حملوه » حتى رأيت ابن أبى الدنيا قد ذكر هذا الاثر بعينه عن الليث بن سعد عن معاوية بن صالح قال : حدثنا مشيختنا أنه بلغهم « أن أول ما خلق الله عز وجل حين كان عرشه على الماء حملة العرش ، قالوا : ربنا لم خلقتنا ؟ قال : خلقتكم لحمل عرشى قالوا : ربنا ومن يقوى على حمل عرشك . وعليه عظمتك وجلالك ووقارك؟ قال : لذلك خلقتكم . فاعادوا عليه ذلك مرارا . فقال لهم : قولوا : لاحول ولا قوة الا بالله ، فحملوه » *

وهذه الكلمة لها تأثير عجيب فى معاناة الاشغال الصعبة : وتحمل المشاق ، والدخول على الملوك ومن يخاف ، وركوب الأهوال . ولها أيضا تأثير فى دفع الفقر ، كما روى ابن أبى الدنيا عن الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن أسد بن وداعة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « من قال لاحول ولا قوة الا بالله مائة مرة فى كل يوم لم يصبه فقر أبدا » *

وكان حبيب بن سلمة يستحب اذا لقى عدوا أو ناهض حصنا قول « لاحول ولا قوة الا بالله » وانه ناهض يوما حصنا للروم فانهزم ، فقالها المسلمون وكبروا فانهدم الحصن *

﴿الثانية والستون﴾ أن عمال الآخرة كلهم فى مضمار السباق والذاكرون هم أسبقهم فى ذلك المضمار . ولكن القترة والغبار يمنع من رؤية سبقهم فاذا انجلى الغبار وانكشف رآهم الناس وقد حازوا قصب السبق *

قال الوليد بن مسلم : قال محمد بن عجلان : سمعت عمر مولى غفرة يقول : «اذا انكشف الغطاء (للناس) يوم القيامة عن ثواب أعمالهم لم يروا عملا أفضل ثوابا من الذكر ، فيتحسر عند ذلك أقوام فيقولون ما كان شيء أيسر علينا من الذكر »

وقال أبو هريرة . قال رسول الله ﷺ « سيروا ، سبق المفردون قالوا : وما المفردون ؟ قال : الذين اهتروا فى ذكر الله تعالى ، يضع الذكر عنهم أوزارهم » — أهتروا بالشيء وفيه : أولعوا به ولزموه ، وجعلوه دأبهم *

وفى بعض ألفاظ الحديث « المستهترون بذكر الله » ومعناه الذين أولعوا به ، يقال . استهتر فلان بكذا اذا ولع به *

وفيه تفسير آخر : أن « اهتروا فى ذكر الله » أى كثروا وهلك أقرانهم وهم فى ذكر الله تعالى ، يقال أهتر الرجل فهو مهتر اذا سقط فى كلامه من الكبر . « والهتر » السقط من الكلام ، كأنه بقى فى ذكر الله تعالى حتى خرف وأنكر عقله ، « والهتر » الباطل أيضا ، ورجل مستهتر إذا كان كثير الأباطيل *

وفي حديث ابن عمر « أعوذ بالله أن أكون من المستهترين » *

وحقيقة اللفظة أن « الاستهتار » الاكثار من الشيء والولع به ، حقا كان أو باطلا . وغلب استعماله على الباطل ، حتى اذا قيل فلان مستهتر ، لايفهم منه الا الباطل . وانما اذا قيد بشيء تقيد به ، نحو هو مستهتر ، وقد أهتر فى ذكر الله تعالى ، أى أولع به وأغرى به . يقال استهتر فيه وبه (١) وتفسير هذا فى الأثر الآخر « أكثروا ذكر الله

---

(١) قال فى المصباح المنير استهتر اتبع هواه فلا يبالى بما يصنع وقال

تعالى حتى يقال مجنون » *

( الثالثة والستون ) أن الذكر سبب لتصديق الرب عز وجل عبده فانه أخبر عن الله تعالى باوصاف كماله ، ونعوت جلاله ، فاذا أخبر بها العبد صدقه ربه . ومن صدقه الله تعالى لم يحشر مع الكاذبين ، ورجى له أن يحشر مع الصادقين *

روى أبو اسحق عن الأعور مسلم (١) أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « اذا قال العبد : لا إله الا الله والله أكبر ، قال : يقول الله تبارك وتعالى صدق عبدي ، لا إله إلا أنا وأنا أكبر . واذا قال : لا إله إلا الله وحده ، قال : صدق عبدي لا إله إلا أنا وحدي واذا قال : لا إله إلا الله لا شريك له ، قال : صدق عبدي لا إله إلا أنا لا شريك لي ، واذا قال لا إله إلا الله له الملك وله الحمد ، قال : صدق عبدي لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد ، واذا قال : لا إله الا الله لا حول ولا قوة الا بالله ، قال . صدق عبدي لا إله الا أنا ولا حول ولا قوة الا بي » قال أبو اسحق ثم قال الآخر شيئا لم أفهمه . قلت لابي جعفر . ما قال

---

الزمخشري في الفائق ابن عمر رضي الله عنه أعوذ بك أن أكون من المستهترين هم السقاط الذين لا يبالون ما قيل لهم وما شتموا به اه . والحديث رواه الترمذي والحاكم بلفظ « سبق المفردون المستهترون في ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا » وسنده صحيح *

(١) هو مسلم بن كيسان الأعور روى له النسائي عن أبي هريرة وأبي سعيد حديثا في فضل سبحان الله والحمد لله والله أكبر . ذكره الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب

قال « من ررقص عند موته لم تمسه النار » .

( الرابعة والستون ) أن دور الجنة تبنى بالذكر . فاذا أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء .

ذكر ابن أبي الدنيا في كتابه عن حكيم بن محمد الأخنسي قال « بلغني أن دور الجنة تبنى بالذكر . فاذا أمسك عن الذكر أمسكوا عن البناء ، فيقال لهم ، فيقولون . حتى تاتيها نفقة » .

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم - سبع مرات - بني له برج في الجنة » .

وكما أن بناءها بالذكر فغراس بساتينها بالذكر ، كما تقدم في حديث النبي ﷺ عن ابراهيم الخليل عليه السلام « ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وانها قيعان ، وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر » فالذكر غراسها وبناؤها .

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « أكثروا من غراس الجنة . قالوا يارسول الله وما غراسها ؟ قال ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله » .

( الخامسة والستون ) أن الذكر سد بين العبد وبين جهنم . فاذا كانت له الى جهنم طريق من عمل من الأعمال كان الذكر سدا في تلك الطريق ، فاذا كان ذكرا دائما كاملا كان سدا محكما لامنفذ فيه والافبحسبه .

قال عبد العزيز بن أبي رواد « كان رجل بالبادية قد اتخذ مسجدا فجعل في قبلته سبعة أحجار كان إذا قضى صلاته قال يا أحجار أشهدكم أن لا اله الا الله . قال فمرض الرجل فعرج بروحه ؛ قال فرأيت في منامي أنه

أمر بى الى النار . قال : فرأيت حجراً من تلك الاحجار أعرفه قد عظم فسد عنى بابا من أبواب جهنم ، ثم أتى بى إلى الباب الآخر ، واذا حجر من تلك الأحجار أعرفه قد عظم فسد عنى بابا من أبواب جهنم ، حتى سدت عنى بقية الاحجار ابواب جهنم ».

﴿ السادسة والستون ﴾ . أن الملائكة تستغفر للذاكر ، كما تستغفر للتائب كما روى حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة عن عامر الشعبى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال « أجد فى كتاب الله المنزل . أن العبد إذا قال : الحمد لله . قالت الملائكة : رب العالمين ، وإذا قال : الحمد لله رب العالمين . قالت الملائكة : اللهم اغفر لعبدك . واذا قال : سبحان الله . قالت الملائكة : وبحمده ، وإذ قال : سبحان الله وبحمده قالت الملائكة : اللهم اغفر لعبدك ، واذا قال : لا إله إلا الله ، قالت الملائكة : اللهم اغفر لعبدك ».

﴿ السابعة والستون ﴾ أن الجبال والقفار تتباهى وتستبشر بمن يذكر الله عز وجل عليها .

قال ابن مسعود . « إن الجبل لينادى الجبل باسمه . أمر بك اليوم أحد يذكر الله عز وجل ؟ فاذا قال نعم استبشر ».

وقال عون بن عبد الله : « إن البقاع لينادى بعضها بعضا : ياجارتاه ، أمر بك اليوم أحد يذكر الله ؟ فقائلة . نعم . وقائلة : لا ».

وقال الأعمش عن مجاهد : « إن الجبل لينادى الجبل باسمه : يافلان هل مر بك اليوم ذاكر لله عز وجل ؟ فمن قائل : لا ومن قائل : نعم ».

﴿ الثامنة والستون ﴾ أن كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق فان المنافقين قليلو الذكر لله عز وجل . قال الله عز وجل فى المنافقين :

( وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ) وقال كعب: «من أكثر ذكر الله عز وجل برىء من النفاق » .

ولهذا والله أعلم ختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله تعالى: ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ . وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ) فان فى ذلك تحذيرا من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله عز وجل ، فوقعوا فى النفاق .

وسئل بعض الصحابة رضى الله عنهم عن الخوارج : منافقون هم ؟ قال : لا ، المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا . فهذا من علامة النفاق : قلة ذكر الله عز وجل ، وكثرة ذكره أمان من النفاق ، والله عز وجل أكرم من أن يبتلى قلبا ذاكرا بالنفاق . وانما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله عز وجل .

( التاسعة والستون ) أن للذكر من بين الأعمال لذة لايشبهها شىء فلو لم يكن للعبد من ثوابه الا اللذة الحاصلة للذاكر والنعيم الذى يحصل لقلبه لكفى به ولهذا سميت مجالس الذكر رياض الجنة .

قال مالك بن دينار : « ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل » فليس شىء من الأعمال أخف مؤنة منه ، ولا أعظم لذة ، ولا أكثر فرحة وابتهاجا للقلب .

( السبعون ) أنه يكسو الوجه نضرة فى الدنيا ونورا فى الاخرة ؛ فالذاكرون أنضر الناس وجوها فى الدنيا وأنورهم فى الاخرة .

ومن المراسيل عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «من قال كل يوم مائة مرة لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شىء قدير . أتى الله تعالى يوم القيامة ووجهه

أشد بياضا من القمر ليلة البدر» *

(الحادية والسعون) : أن فى دوام الذكر فى الطريق ، والبيت والحضر، والسفر، والبقاع تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة فان البقعة والدار والجبل والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة.قال تعالى :( إذاَ زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ، وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ، وَقَالَ الإِنْسَانُ مَالَهَا ؟ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ، بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا) *

فروى الترمذى فى جامعه من حديث سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال: «قرأ رسول الله ﷺ هذه الاية «يومئذ تحدث اخبارها» ثم قال أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا. الله ورسوله أعلم .قال «فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها تقول.عمل يوم كذا وكذا» قال الترمذى . هذا حديث حسن صحيح *

والذاكر لله عزوجل فى سائر البقاع مكثر شهوده ، ولعلهم أو أكثرهم أن يقبلوا يوم القيامة يوم قيام الاشهاد وأداء الشهادات . فيفرح العبد ويغتبط شهادتهم *

(الثانية والسعون) أن فى الاشتغال بالذكر اشتغالا عن الكلام الباطل من الغيبة ، والنميمة ، واللغو ، ومدح الناس ، وذمهم ، وغير ذلك . فان اللسان لا يسكت البتة ، فاما لسان ذاكر ، وإما لسان لاغ ، ولا بد من أحدهما . فهى النفس ، إن لم تشغلها بالحق ، شغلتك بالباطل ، وهو القلب إن لم تسكنه محبة الله عز وجل ، سكنه محبة المخلوقين ولا بد وهو اللسان إن لم تشغله بالذكر شغلك باللغو وما هو عليك ولا بد ، فاختر لنفسك إحدى الخطتين ، وأنزلها فى احدى المنزلتين *

﴿ الثالثة والسبعون ﴾ وهى التى بدأنا بذكرها وأشرنا اليها إشارة عند ذكرها هاهنا مبسوطة لعظيم الفائدة بها ، وحاجة كل أحد بل ضرورته اليها : وهى أن الشياطين قد احتوشت العبد وهم أعداؤه ، فما ظنك برجل قد احتوشه أعداؤه المحنقين عليه غيظا ، وأحاطوا به وكل منهم يناله بما يقدر عليه من الشر والأذى ، ولا سبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله عز وجل ؟ *

وفى هذا الحديث العظيم الشريف القدر الذى ينبغى لكل مسلم أن يحفظه ، فنذكره بطوله ، لعموم فائدته وحاجة الخلق اليه *

وهو حديث سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة بن جندب قال « خرج علينا رسول الله ﷺ يوما ، وكنا فى صفة بالمدينة ، فقام علينا فقال : إنى رأيت البارحة عجبا : رأيت رجلا من أمتى أتاه ملك الموت ليقبض روحه ، فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه . ورأيت رجلا من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر ، فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك ، ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الشياطين ، فجاءه ذكر الله عز وجل فطرد الشيطان عنه ، ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب ، فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ، ورأيت رجلا من أمتى يلتهب - وفى رواية - يلهث عطشا ، كلما دنا من حوض منع وطرد ، فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه ، ورأيت رجلا من أمتى ورأيت النبيين جلوسا حلقا حلقا ، كلما دنا الى حلقة طرد ، فجاءه غسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده الى جنبى . ورأيت رجلا من أمتى بين يديه ظلمة ، ومن خلفه ظلمة ، وعن يمينه ظلمة ، وعن يساره ظلمة ، ومن فوقه ظلمة ، ومن تحته ظلمة ، وهو متحير فيها ، فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من

الظلمة وأدخلاه في النور . ورأيت رجلا من أمتي يتقي بيده وهج النار وشررها ، فجاءته صدقته فصارت سترة بينه وبين النار وظللت على رأسه ورأيت رجلا من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه ، فجاءته صلته لرحمه فقالت : يامعشر المسلمين ! انه كان وصولا لرحمه فكلموه ، فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم . ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة . ورأيت رجلا من أمتي جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله عز وجل حجاب ، فجاءه حسن خلقه فاخذ بيده فادخله على الله عز وجل ، ورأيت رجلا من أمتي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله ، فجاءه خوفه من الله عز وجل فاخذ صحيفته فوضعها في يمينه . ورأيت رجلا من أمتي خف ميزانه فجاءه أفراطه (١) فثقلوا ميزانه . ورأيت رجلا من أمتي قائما على شفير جهنم فجاءه رجاؤه في الله عز وجل ، فاستنقذه من ذلك ومضى ، ورأيت رجلا من أمتي قد اهوى في النار ، فجاءته دمعته التي بكى من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك ، ورأيت رجلا من امتي قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة في ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن رعدته ومضى . ورأيت رجلا من امتي يزحف على الصراط ويحبو احيانا ويتعلق احيانا ، فجاءته صلاته على فاقامته على قدميه وانقذته . ورأيت رجلا من امتي انتهى الى ابواب الجنة ؛ فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة ان لا اله الا الله ففتحت له الأبواب وادخلته الجنة » رواه الحافظ ابو موسى المديني في كتاب ( الترغيب في الخصال المنجية والترهيب من الخلال المردية ) وبنى كتابه عليه وجعله

---

(١) افراطه جمع فرط والمراد به من مات له من الاطفال .

شرحا له ، وقال : هذا حديث حسن جدا رواه عن سعيد بن المسيب عمرو ابن دارر . وعلي بن زيد بن جدعان ، وهلال ابو جبلة .

وكان شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يعظم شأن هذا الحديث وبلغني عنه انه كان يقول : شواهد الصحة عليه .

والمقصود منه قوله ﷺ « ورأيت رجلا من امتى قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله عز وجل فطرد الشيطان عنه » فهذا مطابق لحديث الحارث الأشعري الذي شرحناه في هذه الرسالة ، وقوله فيه « وآمركم بذكر الله عز وجل وان مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو فانطلقوا في طلبه سراعا وانطلق حتى اتى حصنا حصينا فاحرز نفسه فيه ، كذلك الشيطان لا يحرز العباد انفسهم منه الا بذكر الله عز وجل » .

وفي الترمذي عن انس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « من قال ـ يعني اذا خرج من بيته ـ بسم الله توكلت على الله ، لا حول ولا قوة الا بالله . يقال له : كفيت وهديت ووقيت . وتنحى عنه الشيطان فيقول لشيطان آخر : كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي ؟» رواه ابو داود والنسائي والترمذي وقال : حديث حسن .

وقد تقدم قوله ﷺ « من قال في يوم مائة مرة لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، كانت له حرزا من الشيطان حتى يمسي » .

وذكر سفيان عن ابي الزبير عن عبد الله بن ضمرة عن كعب قال : اذا خرج الرجل من بيته فقال : بسم الله : قال الملك : هديت ، واذا قال : توكلت على الله . قال الملك : كفيت ، واذا قال . لا حول ولا قوة الا بالله . قال الملك : حفظت : فيقول الشياطين بعضهم لبعض : ارجعوا

ليس لكم عليه سبيل . كيف لكم بمن كفى وهدى وحفظ ؟ »

وقال أبو خلاد المصرى « من دخل فى الاسلام دخل فى حصن . ومن دخل المسجد فقد دخل فى حصنين . ومن جلس فى حلقة يذكر الله عز وجل فيها فقد دخل فى بيته ثلاث حصون » .

وقد روى الحافظ أبو موسى فى كتابه من حديث أبى عمران الجونى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إذا وضع العبد جنبه على فراشه فقال : بسم الله وقرأ فاتحة الكتاب أمن من شر الجن والانس ومن كل شىء » .

وفى صحيح البخارى عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال « ولانى رسول الله ﷺ زكاة رمضان أن أحتفظ بها ، فأتانى آت ، فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقال : دعنى فانى لا أعود ـ فذكر الحديث ـ وقال : فقال له فى الثالثة : أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ، إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها الى آخرها. فانه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخلى سبيله فاصبح فاخبر النبى ﷺ بقوله فقال : صدقك وهو كذوب » .

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبى الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا اوى الانسان إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان فيقول : الملك اختم بخير ، ويقول الشيطان اختم بشر ، فاذا ذكر الله تعالى حتى يغلبه ـ يعنى النوم ـ طرد الملك الشيطان ، وبات يكلؤه . فاذا استيقظ ابتدره ملك وشيطان . فيقول الملك : افتح بخير . ويقول الشيطان : افتح بشر ، فان قال : الحمد لله الذى أحيا نفسى بعد موتها ولم يمتها فى منامها ، الحمد لله الذى يمسك التى قضى عليها الموت ويرسل

الآخرى إلى أجل مسمى ، الحمد لله الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ، الحمد لله الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، طرد الملك الشيطان وظل يكلؤه » .

وفى الصحيحين من حديث سالم بن أبى الجعد عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : «أما ان أحدكم اذا أتى أهله قال: بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا . فيولد بينهما ولد لا يضره الشيطان أبدا» .

وذكر الحافظ أبو موسى عن الحسن بن على قال « أنا ضامن لمن قرأ هذه العشرين الآية أن يعصمه الله تعالى من كل شيطان ظالم ، ومن كل شيطان مريد ، ومن كل سبع ضار ، ومن كل لص عاد : آية الكرسى وثلاث آيات من الاعراف (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ) وعشرا من الصافات وثلاث آيات من الرحمن (يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) وخاتمة سورة الحشر ( لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ ) » .

وقال محمد بن أبان : بينما رجل يصلى فى المسجد اذا هو بشىء الى جنبه فجفل منه ، فقال : ليس عليك منى باس إنما جئتك فى الله تعالى ، ائت عروة فسله : ما الذى يتعوذ به يعنى من ابليس الأباليس . قال : قل : آمنت بالله العظيم وحده ، وكفرت بالجبت والطاغوت ، واعتصمت بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم ، حسبى الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله منتهى .

وقال بشر بن منصور عن وهيب بن الورد قال : خرج رجل الى

الجبانة ، بعد ساعة من الليـل ، قال : فسمعت حسا او صوتا شديدا ، وجيء بسرير ، حتى وصع ، وجاء شيء حتى جلس عليه . قال : واجتمعت اليه جنوده ، ثم صرخ ، فقال : من لى بعروة بن الربير ؟ فلم يجبه أحد ، حتى تتابع ماشاءالله عز وجل من الاصوات ، فقال واحد : انا أكفيكه قال : فتوجه نحو المدينة ، وأنا ناظر ، ثم أوشك الرجعة فقال : لاسبيل إلى عروة ، فقال : ويلـكم . قال وجدته يقول كلمات اذا اصبح واذا أمسى ، فلا نخلص اليه معهن ، قال الرجل : فلما أصبحت قلت لأهلى : جهزونى فأتيت المدينة ، فسألت عنه حتى دللت عليه ، فاذا شيخ كبير فقلت أى شيء تقوله إذا أصبحت واذا أمسيت ؟ فأبى أن يخبرنى ، فاخبرته بمـا رأيت وماسمعت . فقال : ما أدرى ، غير أنى أقول اذا أصبحت : آمنت بالله العظيم ، وكفرت بالجبت والطاغوت واستمسكت بالعروة الوثقى التى لا انفصام لهـا والله سميع عليم ، اذا أصبحت قلت ثلاث مرات ، واذا أمسيت قلت ثلاث مرات ٭

وذكر أبو موسى عن مسلم البطين (١) قال : قال جبريل للنبى ﷺ : « ان عفريتا من الجن يكيدك ، فاذا أويت الى فراشك فقل : أعوذ بكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر من شر ماينزل من السماء وما يعرج فيها . ومن شر ما ذرأ من الأرض وما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار . ومن شر طوارق الليل والنهار . الا طارقا يطرق بخير يارحمن » ٭

وقد ثبت فى الصحيح : أن الشيطان يهرب من الأذان ٭ (٢)

---

(١) هو مسلم بن عمران أو ابن أبى عمران البطين ٭

(٢) رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود عن أبى هريرة

قال سهل بن أبى صالح: « أرسلنى أبى الى بنى حارثة ومعى غلام . أو صاحب لنا فنادى مناد من حائط باسمه . فاشرف الذى معى على الحائط فلم ير شيئا . فذكرت ذلك لأبى فقال . لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك ولكن اذا سمعت صوتا فناد بالصلاة . فانى سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ : أنه قال : « ان الشيطان اذا نودى بالصلاة ولى وله حصاص - وفى رواية - اذا سمع النداء ولى وله ضراط حتى لا يسمع التاذين » الحديث .

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبى رجاء عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « استكثروا من لا اله الا الله والاستغفار . فان الشيطان قال : قد أهلكتهم بالذنوب فاهلكونى بقول لا اله الا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك منهم اهلكتهم بالاهواء حتى يحسبون أنهم مهتدون فلا يستغفرون » .

وذكر أيضا عن ابراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة قال : « بينا رجل مسافر اذ مر برجل نائم ، ورأى عنده شيطانين فسمع المسافر احد الشيطانين يقول لصاحبه : اذهب فافسد على هذا النائم قلبه ، فلما دنا منه رجع الى صاحبه فقال : لقد نام على آية ما لنا اليه سبيل . فذهب إلى النائم فلما دنا منه رجع قال صدقت فذهب . ثم ان المسافر ايقظه واخبره بما رأى من الشيطانين فقال . اخبرنى على أى آية نمت ؟ قال : على هذه الآية ( إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ) .

وقال أبو النضر هاشم بن القاسم: «كنت أرى فى دارى . . . (١) فقيل . يا أبا النضر ، تحول عن جوارنا قال فاشتد ذلك على فكتبت الى الكوفة الى أبى ادريس والمحاربى وأبى أسامة فكتب الى المحاربى ان بئرا بالمدينة كان يقطع رشاؤها . فنزل بهم ركب فشكوا ذلك اليهم . فدعوا بدلو من ماء ثم تكلموا بهذا الكلام فصبوه فى البئر فخرجت نار من البئر فطفئت على رأس البئر . قال أبو النضر فاخذت تورا من ماء ثم تكلمت فيه بهذا الكلام ثم تتبعت به زوايا الدار فرششته ، فصاحوا بى يا أبا النضر أحرقتنا نحن نتحول عنك . وهو : بسم الله أمسينا بالله الذى ليس منه شىء ممتنع ، وبعزة الله التى لا ترام ولا تضام ، وسلطان الله المنيع نحتجب ، وباسمائه الحسنى كلها نعوذ من الأبالسة ومن شر شياطين الانس والجن . ومن شر كل معلن أو مسر . من شر ما يخرج بالليل ويكمن بالنهار . ويكمن بالليل ويخرج بالنهار . ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ . ومن شر ابليس وجنوده . ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم . أعوذ بالله بما استعاذ به موسى وعيسى وابراهيم الذى وفى . من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ابليس وجنوده ومن شر ما يبغى . اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ، وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ، فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ، إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ، وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ

---

(١) لم يذكر فى نسختنا ما رآه ولكن قوله فقيل يا أبا النضر يدل على شىء سقط من الكلام . والمفهوم بالقرينة انه كلم من كان يراهم فقيل له يا أبا النضر الخ

مَّا رد . لَّا يَسَّمَّعُونَ الَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ) *

فهذا بعض ما يتعلق بقوله ﷺ : كذلك العبد يحرز نفسه من الشيطان بذكر الله تعالى *

ولنذكر فصولا نافعة تتعلق بالذكر تكميلا للفائدة

{ الفصل الاول } الذكر نوعان . أحدهما ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته والثناء عليه بهما وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى *

وهذا ايضا نوعان *

{ أحدهما } انشاء الثناء عليه بها من الذاكر ، وهذا النوع هو المذكور فى الأحاديث نحو « سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده ولا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » ونحو ذلك *

فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء وأعمه نحو « سبحان الله عدد خلقه » فهذا أفضل من مجرد ( سبحان الله ) وقولك ( الحمد لله عدد ما خلق فى السماء ، وعدد ما خلق فى الارض ، وعدد ما بينهما ، وعدد ما هو خالق أفضل من مجرد قولك : ـ الحمد لله ـ وهذا فى حديث جويرية « أن النبى ﷺ قال لها : لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن (١) : سبحان الله عدد خلقه سبحان الله رضاء نفسه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله مداد كلماته » رواه مسلم (٢)

---

(١) أى لرجحت بهن فى الوزن

(٢) وفى رواية اخرى له « سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء

وفى الترمذى وسنن أبى داود عن سعد بن أبى وقاص « أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة بين يديها نوى أو حصى تسبح بها فقال: أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل ؟ فقال : « سبحان الله عدد ما خلق فى السماء ، وسبحان الله عدد ما خلق فى الارض ، وسبحان الله عدد ما بين ذلك وسبحان الله عدد ما هو خالق والله أكبر مثل ذلك والحمد لله مثل ذلك ، ولا إله الا الله مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة الا بالله مثل ذلك » *

( النوع الثانى ) الخبر عن الرب تعالى باحكام اسمائه وصفاته ؛ نحو قولك : الله عز وجل يسمع أصوات عباده ويرى حركاتهم ، ولا تخفى عليه خافية من اعمالهم ، وهو ارحم بهم من آبائهم ، وامهاتهم ، وهو على كل شىء قدير ، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد راحلته (١) ونحو ذلك *

وأفضل هذا النوع : الثناء عليه بما أثنى به على نفسه ، وبما أثنى به عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل *

( وهذا النوع أيضا ) ثلاثة أنواع : حمد ، وثناء ، ومجد ، فالحمد لله الاخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالى مع محبته ، والرضاء به . فلا يكون المحب الساكت حامدا ، ولا المثنى بلا محبة حامدا حتى تجتمع له

---

نفسه ومداد كلماته » والمراد بمثل مداد كلماته أى انها لا تنفد

(١) أى اذا وجدها وهو معنى حديث رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك ولفظه لله افرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله بارض فلاة

المحبة والثناء . فان كرر الحامد شيئا بعد شيء كانت ثناء فان كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجداً .

وقد جمع الله تعالى لعبده الانواع الثلاثة فى أول الفاتحة ، « فاذا قال العبد : ( اَلْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) قال الله حمدنى عبدى ، واذا قال (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) قال أثنى على عبدى ، واذا قال ( مَالِكِ يوْمِ الدِّينِ ) قال مجدنى عبدى » (١)

﴿النوع الثانى﴾ من الذكر، ذكر أمره ونهيه وأحكامه وهو ايضا نوعان

﴿ أحدهما ﴾ : ذكره بذلك اخبارا عنه بانه أمر بكذا ونهى عن كذا وأحب كذا ، وسخط كذا ورضى كذا

﴿ والثانى ﴾ ذكره عند أمره فيبادر اليه ، وعند نهيه فيهرب منه ، فذكر أمره ونهيه شيء ، وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر ، فاذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر فذكره أفضل الذكر وأجله واعظمه

﴿ فائدة ﴾ فهذا الذكر من الفقه الأكبر ، وما دونه أفضل الذكر اذا صحت فيه النية

ومن ذكره سبحانه وتعالى : ذكر آلائه وانعامه واحسانه واياديه ومواقع فضله على عبيده ، وهذا أيضا من أجل أنواع الذكر

فهذه خمسة انواع . وهى تكون بالقلب . واللسان تارة . وذلك أفضل الذكر . وبالقلب وحده تارة . وهى الدرجة الثانية . وباللسان

(١) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة بلفظ « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى ولعبدى ما سال » الحديث

وحده تارة . وهي الدرجة الثالثة فافضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان *

وانما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده لأن ذكر القلب يثمر المعرفة ويهيج المحبة . ويثير الحياء ويحث على المخافة . ويدعو الى المراقبة . ويزع عن التقصير فى الطاعات والتهاون فى المعاصي والسيئات : وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئا من هذه الآثار وان أثمر شيئا منها فثمرة ضعيفة *

{ الفصل الثاني } الذكر افضل من الدعاء . الذكر ثناء على الله عز وجل بجميع أوصافه وآلائه واسمائه والدعاء سؤال العبد حاجته. فأين هذا من هذا ؟ ولهذا جاء فى الحديث «من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين» ولهذا كان المستحب فى الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله تعالى والثناء عليه بين يدى حاجته . ثم يسأل حاجته . كما فى حديث فضالة بن عبيد «أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يدعو فى صلاته لم يحمد الله تعالى ، ولم يصل على النبى ﷺ فقال رسول الله ﷺ: عجل هذا . ثم دعاه فقال له أو لغيره: اذا صلى احدكم فليبدأ بتمجيد ربه عز وجل والثناء عليه ، ثم يصلى على النبى ﷺ ، ثم يدعو بعد بما شاء» رواه الامام أحمد والترمذى وقال : حديث حسن صحيح . ورواه الحاكم فى صحيحه *

وهكذا دعاء ذى النون عليه السلام الذى قال فيه النبى ﷺ : «دعوة أخى ذى النون ما دعا بها مكروب الا فرج الله كربته . لا إله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين» وفى الترمذى «دعوة أخى ذى النون إذ دعا وهو فى بطن الحوت ( لا إله إلا انت سبحانك إنى

كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) فانه لم يدع بها مسلم فى شىء قط إلا استجاب له » (١)

وهكذا عامة الأدعية السوية ، على قائلها أفضل الصلاة والسلام .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى دعاء الكرب «لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا اله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم » . (٢)

ومنه حديث بريدة الأسلمى الذى رواه أهل السنن .وابن حبان فى صحيحه « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو وهو يقول : اللهم انى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا إله الا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال . والذى نفسى بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذى اذا دعى به أجاب ، واذا سئل به أعطى » . (٣)

وروى أبو داود والنسائى من حديث أنس « أنه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم جالسا ، ورجل يصلى (٤) ثم دعا : اللهم انى أسألك بان لك الحمد ، لا إله الا أنت المنان بديع السموات والأرض ، ياذا الجلال والاكرام ، ياحى يا قيوم . فقال النبى ﷺ : لقد دعا الله باسمه الأعظم الذى اذا دعى به أجاب ، واذا سئل به أعطى »

---

(١) أخرجه الترمذى . والامام احمد . والحاكم وأبويعلى وقال صحيح الاسناد عن سعد بن أبى وقاص (٢) رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس

(٣) قال الحافظ المنذرى: قال شيخنا الحافظ أبو الحسن المقدسى: واسناده لامطعن فيه . ولم يرد فى هذا الباب حديث أجود منه

(٤) هو أبو عياش الزرقى : زيد بن الصامت ، كما رواه احمد .وكذلك روى الحديث ابن ماجه وابن حبان

فأخبر النبي ﷺ أن الدعاء يستحب اذا تقدمه هذا الثناء والذكر وانه اسم الله الاعظم . فكان ذكر الله عز وجل والثناء عليه أنجح ماطلب به العبد حوائجه ء

وهذه فائدة اخرى من فوائد الذكر والثناء ، وهي الرابعة والسعون انه يجعل الدعاء مستجابا فالدعاء الذي تقدمه الذكر والثناء افضل واقرب الى الاجابة من الدعاء المجرد . فان اضاف الى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه كان أبلغ في الاجابة وافضل . فانه يكون قد توسل الى المدعو بصفات كماله واحسانه وفضله ، وعرض بل صرح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته . فهذا المقتضي منه واوصاف المسؤول مقتضي من الله فاجتمع المقتضى من السائل والمقتضي من المسؤول في الدعاء وكان ابلغ والطف موقعا واتم معرفة وعبودية وأنت ترى في الشاهد - ولله المثل الأعلى - ان الرجل اذا توسل الى من يريد معروفه بكرمه وجوده وبره وذكر حاجته هو وفقره ومسكنته كان اعطف لقلب المسئول واقرب لقضاء حاجته فاذا قال له : انت جودك قد سارت به الركبان وفضلك كالشمس لا تنكر - ونحو ذلك - وقد بلغت بي الحاجة والضرورة مبلغا لا صبر معه - ونحو ذلك - كان ابلغ في قضاء حاجته من ان يقول ابتداء: اعطني كذا وكذا ء

فاذا عرفت هذا فتأمل قول موسى صلى الله عليه وسلم في دعائه : (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) وقول ذي النون ﷺ في دعائه : (لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ )، وقول ابينا آدم صلى الله عليه وسلم ( رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا

لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ) (١)»

وفي الصحيحين «أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال يارسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي فقال: قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيرا وانه لا يغفر الذنوب الا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني انك انت الغفور الرحيم».

فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدر بين الاعتراف بحاله والتوسل الى ربه عز وجل بفضله وجوده وانه المنفرد بغفران الذنوب ثم سأل حاجته بعد التوسل بالامرين معا. فهكذا أدب الدعاء وآداب العبودية.

﴿ الفصل الثالث ﴾ قراءة القرءان أفضل من الذكر، والذكر افضل من الدعاء

هذا من حيث النظر لكل منهما مجرداً، وقد يعرض للمفضول مايجعله اولى من الفاضل. بل يعينه. فلا يجوز ان يعدل عنه الى الفاضل وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود فانه افضل من قراءة القرءان فيهما بل القراءة فيهما منهي عنها نهي تحريم او كراهة (٢)، وكذلك

---

(١) الآية ٢٣ من سورة الاعراف

(٢) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال. يا أيها الناس انه لم يبق من مبشرات النبوة الا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له الا واني نهيت أن أقرأ القرءان راكعا او ساجدا. اما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن ان يستجاب لكم» رواه احمد ومسلم والنسائي وابو داود وقوله «قمن» اى خليق

التسميع والتحميد فى محلهما افضل من القراءة وكذلك التشهد وكذلك « رب اغفر لى وارحمى واهدنى وعافى وارزقنى » بين السجدتين افضل من القراءة، وكذلك الذكر عقيب السلام من الصلاة — ذكر التهليل والتسبيح والتكبير والتحميد افضـــل — من الاشتغال عنه بالقراءة ، وكذلك إجابة المؤذن والقول كما يقول افضل من القراءة ، وان كان فضل القرءان على كل كلام كفضل الله تعالى على خلقه ، لكن لكل مقام مقال متى فات مقاله فيه وعدل عنه الى غيره اختلت الحكمة وفقدت المصلحة المطلوبة منه ، وهكذا الاذكار المقيدة بمحال مخصوصة افضل من القراءة المطلقة والقراءة المطلقة افضل من الاذكار المطلقة، اللهم الا ان يعرض للعبد ما يجعل الذكر او الدعاء انفع له من قراءة القرءان.

مثاله . ان يتفكر فى ذنوبه فيحدث ذلك له توبة من استغفار أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الانس والجن فيعدل إلى الاذكار والدعوات التى تحصنه وتحوطه.

وكذلك أيضا قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءة أو ذكر لم يحضر قلبه فيهما ، واذا أقبل على سؤالها والدعاء اليها اجتمع قلبه كله على الله تعالى وأحدث له تضرعا وخشوعا وابتهالا . فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء والحالة هذه أنفع ، وان كان كل من القراءة والذكر أفضل وأعظم اجرا.

وهذا باب نافع يحتاج الى فقه نفس ، وفرقان بين فضيلة الشىء فى نفسه وبين فضيلته العارضة ، فيعطى كل ذى حق حقه ، ويوضع كل شىء موضعه ، فللعين موضع وللرجل موضع ، وللماء موضع وللحم موضع . وحفظ المراتب هو من تمام الحكمة التى هى نظام الأمر والنهى والله

تعالى الموفق :

وهكذا الصابون والأشنان أنفع للثوب في وقت، والتجمير وماء الورد وكوة(؟) أنفع له في وقت *

وقلت لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يوما سئل بعض أهل العلم : أيما انفع للعبد ، التسبيح او الاستغفار ؟ فقال: اذا كان الثوب نقيا فالبخور وماء الورد انفع له وان كان دنسا فالصابون والماء الحار انفع له. فقال لي رحمه الله تعالى فكيف والثياب لاتزال دنسة *

ومن هذا الباب ان سورة (قل هو الله احد) تعدل ثلث القرآن ومع هذا فلا تقوم مقام آيات المواريث والطلاق والخلع والعدد ونحوها، بل هذه الآيات في وقتها وعند الحاجة اليها انفع من تلاوة سورة الاخلاص *

ولما كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذكر والدعاء وهي جامعة لاجزاء العبودية على اتم الوجوه كانت افضل من كل من القراءة والذكر والدعاء بمفرده لجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الاعضاء *

فهذا اصل نافع جدا يفتح للعبد باب معرفة مراتب الاعمال وتنزيلها منازلها لئلا يشتغل بمفضولها عن فاضلها فيربح ابليس الفضل الذي بينهما أو ينظر الى فاضلها فيشتغل به عن مفضولها وإن كان ذلك وقته فتفوته مصلحته بالكلية لظنه ان اشتغاله بالفاضل أكثر ثوابا واعظم اجرا وهذا يحتاج الى معرفة بمراتب الاعمال وتفاوتها ومقاصدها وفقه في اعطاء كل عمل منها حقه، وتنزيله في مرتبته ، وتفويته لما هو أهم منه أو تفويت ما هو أولى منه وأفضل لا مكان تداركه والعود اليه ، وهذا المفضول ان فات لا يمكن تداركه فالاشتغال به أولى ، وهذا كترك القراءة لرد السلام ، وتشميت العاطس ، وان كان القرآن أفضل لانه

يمكنه الاشتغال بهذا المفضول ، والعود الى الفاضل بخلاف ما اذا اشتغل بالقراءة فانه تفوته مصلحة رد السلام وتشميت العاطس وهكذا سائر الاعمال اذا تزاحمت ، والله تعالى الموفق .

## ﴿ الفصل الاول ﴾

فى الاذكار الموظفة التى لا ينبغى للعبد أن يخل بها لشدة الحاجة اليها وعظم الانتفاع فى الآجل والعاجل بها وفيه فصول

## ﴿ الفصل الأول ﴾

فى ذكر طرفى النهار ، وهما ما بين الصبح وطلوع الشمس ، وما بين العصر والغروب .

قال سبحانه وتعالى : ( يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ) (١) والاصيل قال الجوهرى : هو الوقت بعد العصر الى المغرب وجمعه « أصل ، وآصال ، وأصائل » كأنه جمع اصيلة قال الشاعر :

لعمرى لأنت البيت أكرم أهله وأقعد فى أفيائه بالاصائل

ويجمع ايضا على « اصلان » مثل . بعير ، وبعران . ثم صغروا الجمع فقالوا : « اصيلان » ثم ابدلوا من النون لاما فقالوا : « اصيلال » قال الشاعر :

وقفت فيها أصيلالا اسائلها أعيت جوابا وما بالربع من احد

وقال تعالى : ( وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ) (٢) فالابكار اول النهار والعشى آخره ، وقال تعالى : ( فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ

(١) سورة الاحزاب ايتى ( ٤١ ، ٤٢ ) (٢) سورة غافر اية (٥٥)

الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ) (١) وهذا تفسير ما جاء فى الاحاديث من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يمسى أن المراد به قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وأن محل هذه الاذكار بعد الصبح وبعد العصر *

وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة عن النبى ﷺ قال : « من قال حين يصبح وحين يمسى : سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال : مثل ما قال : أو زاد عليه » *

وفى صحيحه أيضا عن ابن مسعود قال : « كان نبى الله ﷺ اذا أمسى قال : امسينا وامسى الملك لله ، والحمد لله لا اله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير رب أسألك خير ما فى هذه الليلة وخير ما بعدها ، واعوذ بك من شر ما فى هذه الليلة وشر ما بعدها رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر رب اعوذ بك من عذاب فى النار وعذاب فى القبر واذا أصبح قال ذلك أيضا . أصبحنا وأصبح الملك لله » *

وفى السنن عن عبد الله بن خبيب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قل قلت : يارسول الله ما أقول ؟ قال . قل قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شىء» قال الترمذى حديث حسن صحيح *

وفى الترمذى أيضا عن أبى هريرة وان النبى ﷺ كان يعلم اصحابه يقول إذا أصبح أحدكم فليقل : اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك النشور واذا امسى فليقل اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا ، وبك نحيا ، وبك نموت واليك المصير ، قال الترمذى: حديث

---

(١) سورة ق ءاية (٤٠)

حسن صحيح .

وفي صحيح البخاري عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال : «سيد الاستغفار اللهم أنت ربي لا اله الا أنت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت . من قالها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة . ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة » .

وفي الترمذي عن ابي هريرة «أن ابابكر الصديق قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم مرني بشيء اقوله إذا اصبحت واذا أمسيت قال قل اللهم عالم الغيب والشهادة ، فاطر السماوات والارض رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا اله الا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه ، وأن نقترف سوءاً على أنفسنا أو نجره الى مسلم قله إذا أصبحت وإذا أمسيت واذا أخذت مضجعك»(١) قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وفي الترمذي أيضا عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم - ثلاث مرات - فيضره شيء » قال الترمذي : حديث حسن صحيح (٢) .

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم بدون لفظ « وأن نقترف سوءاً على أنفسنا » ونجره على مسلم » قال الخطابي : روى ( شركه ) على وجهين أحدهما بكسر الشين وسكون الراء ومعناه ما يدعو اليه الشيطان ويوسوس به من الاشراك بالله . والثاني بفتح الشين والراء يريد حبائل الشيطان ومصايده (٢) ورواه ابو داود والنسائي وابن

وفيه أيضا عن ثوبان وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من قال حين يمسى وإذا أصبح : رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا، كان حقا على الله أن يرضيه» وقال : حديث حسن صحيح

وفى الترمذى أيضا عن انس أن رسول الله ﷺ قال : «من قال حين يصبح أو يمسى « اللهم إنى أصبحت اشهدك ، واشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك انت الله لا اله إلا انت، وان محمداً عبدك ورسولك أعتق الله ربعه من النار فمن قالها مرتين اعتق الله نصفه من النار ، ومن قالها ثلاثا أعتق الله ثلاثة ارباعه من النار ، ومن قالها اربعا اعتقه الله من النار» (١) .

وفى سنن ابى داود عن عبد الله بن غنام أن رسول الله ﷺ قال: « من قال حين يصبح . اللهم ما اصبح بى من نعمة او بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر فقد ادى شكر يومه ومن قال مثل ذلك حين يمسى فقد ادى شكر ليلته .

وفى السنن وصحيح الحاكم (٢) عن عبد الله بن عمر قال : لم يكن النبى ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسى وحين يصبح « اللهم انى اسألك العافية فى الدنيا والآخرة اللهم انى اسألك العفو والعافية فى دينى

---

حبان فى صحيحه. والحاكم وقال صحيح الاسناد، وفى رواية لأبى داود « لم تصبه فجاءة بلاء »

(١) ورواه ابو داود وهذا لفظه، واخرجه النسائى وقال الترمذى: حديث غريب (٢) قال النووى باسانيد صحيحة : وعورتى وروعتى بالافراد عند الجميع وعند ابن ابى شيبة عوراتى وروعاتى بالجمع

ودنياى واهلى ومالى اللهم استر عورتى وآمن روعتى اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى واعوذ بعظمتك ان اغتال من تحتى » قال وكيع يعنى الخسف (١) *

وعن طلق بن حبيب قال : جاء رجل الى ابى الدرداء فقال : ياابا الدرداء قد احترق بيتك فقال . ما احترق لم يكن الله ليفعل ذلك لكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ من قالها اول النهار لم تصبه مصيبة حتى يمسى ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح «اللهم انت ربى لا إله إلا انت عليك توكلت وانت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . أعلم ان الله على كل شيء قدير ، وان الله قد احاط بكل شيء علما اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة ربى آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم» (٢) *

## ﴿ الفصل الثانى فى أذكار النوم ﴾

فى الصحيحين عن حذيفة قال : « كان رسول الله ﷺ اذا اراد أن ينام قال . باسمك اللهم أموت واحيا ، واذا استيقظ من منامه قال . الحمد لله الذى احيانا بعد ما أماتنا واليه النشور» *

وفى الصحيحين أيضا عن عائشة « ان النبى ﷺ كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما يقرأ فيهما ( قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ) و ( قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ) و ( قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ) ثم يمسح بهما

---

(١) قال وكيع بن الجراح يعنى بالاغتيال من تحت الخسف

«٢» ساقه فى نزل الابرار مختصرا وقال اخرجه ابن السنى وابوداود موقوفا على ابى الدرداء وله حكم الرفع *

ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات » (١)

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة « أنه أتاه آت يحثو من الصدقة وكان قد جعله النبى ﷺ عليها ليلة بعد ليلة فلما كان فى الليلة الثالثة قال لأرفعنك الى رسول الله ﷺ قال دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بهن — وكانوا أحرص شىء على الخير — « ٢ » فقال . اذا اويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى الله لا اله الا هو الحى القيوم . حتى تختمها فانه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح . فقال النبى ﷺ صدقك وهو كذوب » .

وقد روى الامام احمد نحو هذه القصة فى مسنده أنها جرت لابى الدرداء ورواها الطبرانى فى معجمه انها جرت لابى بن كعب .

وفى الصحيحين عن ابى مسعود الانصارى عن النبى ﷺ قال : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه » « ٣ »

الصحيح : أن معناها كفتاه من شر ما يؤذيه وقيل : كفتاه من قيام الليل وليس شىء .

---

(١) قال ابو عبيدة : النفث شبيه بالنفخ وقال الصغانى وهو أقل من التفل وهو نفخ معه ريق قليل

« ٢ » هذه جملة معترضة مدرجة من الراوى لتعليل تخلية ابى هريرة رضى الله عنه سبيله وهى كما فى كتاب الوكالة من البخارى بلفظ وكانوا يعنى الصحابة وموقعها بعد قوله : « ولا يقربك شيطان » والقصة هنا ملخصة بالمعنى

« ٣ » المراد بهما آمن الرسول بما انزل اليه من ربه الى آخر السورة

قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه « ما كنت أرى أحدا يعقل قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة » .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إذا قام أحدكم عن فراشه ثم رجع اليه فلينفضه بصنفة (١) ازاره ثلاث مرات ، فانه لا يدرى ما خلفه عليه بعده . وإذا اضطجع فليقل : باسمك اللهم ربى وضعت جنبى وبك أرفعه ، فان أمسكت نفسى فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » .

وفى الصحيحين عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « إذا استيقظ أحدكم فليقل : الحمد لله الذى عافانى فى جسدى ، ورد على روحى ، وأذن لى بذكره» (٢) .

وقد تقدم حديث على ووصية النبى ﷺ له ولفاطمة رضى الله تعالى عنهما « أن يسبحا اذا أخذا مضاجعهما للنوم ثلاثا وثلاثين ويحمدا ثلاثا وثلاثين ويكبرا أربعا وثلاثين وقال هو خير لكما من خادم» (٣) .

---

(١) لفظ الصحيحين « اذا أوى أحدكم فلينفض فراشه بداخلة ازاره فانه لا يدرى » الخ ، وفى كتاب التوحيد من البخارى عنه « اذا جاء أحدكم الى فراشه فلينفضه بصنفة ثوبه ثلاث مرات وليقل الخ » صنفة الازار ـ بفتح الصاد وكسر النون ـ طرفه مما يلى طرته أو هى الجانب الذى لا هدب له ، وفى رواية مسلم « فليأخذ داخلة ازاره ، فلينفض بها فراشه وليسم الله فانه لا يعلم ما خلفه على فراشه »

(٢) ذكر فى نزل الأبرار أن هذا الحديث زيادة للترمذى عما رواه البخارى . ومسلم من حديث أبى هريرة المتقدم

(٣) رواه البخارى ومسلم . وأبو داود . والنسائى عن على رضى الله عنه

قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه : بلغنا انه من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه اعياء فيما يعانيه من شغل وغيره .

وفي سنن ابي داود والترمذي عن حفصة أم المؤمنين « أن النبي ﷺ كان اذا اراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول : « اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك » ثلاث مرات .قال الترمذي : حديث حسن (١) وفي صحيح مسلم عن أنس «ان النبي ﷺ كان اذا أوى الى فراشه قال : الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي » (٢) .

وفي صحيحه أيضا عن ابن عمر . انه امر رجلا إذا اخذ مضجعه ان يقول . اللهم انت خلقت نفسي وانت تتوفاها (٣) لك مماتها ومحياها إن احييتها فاحفظها وإن امتها فاغفر لها اللهم إني اسألك العافية فقال رجل سمعتهن من عمر قال من خير من عمر من رسول الله ﷺ .

وفي الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال حين ياوي الى فراشه استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وان كانت عدد رمل عالج وان كانت عدد ايام الدنيا » (٤) .

وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة «ان النبي ﷺ كان اذا أوى الى فراشه قال : اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والفرقان

(١) واخرجه الترمذي ايضا من حديث حذيفة وقال : صحيح حسن ومن حديث البراء ولم يذكر فيه ثلاث مرات (٢) رواه ابو داود والترمذي وقال حسن صحيح (٣) اشارة الى قوله تعالى (الله يتوفى الانفس) الآية (٤) العالج ماتراكم من الرمل.

أعوذ بك من شر كل ذى شر انت ءاخذ بناصيته أنت الاول فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر».

وفى الصحيحين عن البراء بن عازب قال . قال لى رسول الله ﷺ « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الايمن وقل : اللهم أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك والجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولامنجى منك إلا إليك ءامنت بكتابك الذى انزلت ونبيك الذى ارسلت فان مت من ليلتك فانت على الفطرة واجعلهن ءاخر ما تتكلم به» (١)

## ﴿ الفصل الثالث فى أذكار الانتباه من النوم ﴾

روى البخارى فى صحيحه عن عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ قال : « من تعار «٢» من الليل فقال : لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . الحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله والله أكبر ولاحول ولا قوة الا بالله ثم قال : اللهم اغفرلى أو دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته » «٣» .

---

(١) وفى رواية « قال يعنى البراء فرددتها على النبى ﷺ فلما بلغت ءامنت بكتابك الذى انزلت قلت : ورسولك . قال لا ونبيك الذى ارسلت »

«٢» « تعار » : استيقظ من النوم مع كلام وقيل تمطى وأن

«٣» قال النووى فى الاذكار هكذا ضبطناه فى اصل سماعنا المحقق وفى النسخ المعتمدة من البخارى وسقط قول لا اله الا الله قبل والله اكبر فى كثير من النسخ ولم يذكره الحميدى ايضا فى الجمع بين الصحيحين

وفى الترمذى «١» عن ابى أمامة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من اوى الى فراشه طاهرا وذكر الله تعالى حتى يدركه النعاس لم يتقلب ساعة من الليل يسال الله تعالى فيها خيرا الا اعطاه اياه» حديث حسن *

وفى سنن ابى داود عن عائشة «ان رسول الله ﷺ كان اذا استيقظ من الليل قال لا اله الا انت سبحانك اللهم استغفرك لذنبى ، واسألك رحمتك اللهم زدنى علما ولا تزغ قلبى بعد اذ هديتنى وهب لى من لدنك رحمة انك انت الوهاب» (٢) *

## ﴿الفصل الرابع فى أذكار الفزع والأرق فى النوم والفكر﴾

روى الترمذى عن بريدة قال «شكا خالد بن الوليد الى النبى ﷺ فقال: يارسول الله، ماانام الليل من الأرق . فقال النبى ﷺ : اذا أويت الى فراشك فقل . اللهم رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين وما أقلت ، ورب الشياطين وما أضلت ، كن لى جارا من شر خلقك كلهم جميعا ان يفرط على أحـــد منهم ، أو أن يبغى على عز جارك ، وجل ثناؤك ، ولا اله غيرك ، ولا إله الا أنت » (٣)

---

وثبت هذا اللفظ فى رواية الترمذى وغيره،وسقط فى رواية ابى داود

(١) عزاه النووى فى الاذكار الى ابن السنى

(٢) قال النووى فى الاذكار اسناده لم يضعف . اه ورواه الترمذى وابن حبان والنسائى والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين . وصححه ايضا ابن حبان *

«٣» قال فى الاذكار : باسناد ضعيف . وضعفه أيضا الترمذى . وعزاه المنذرى فى الترغيب والترهيب الى الطبرانى فى الكبير والأوسط

وفى الترمذى عن عبد الله بن عمرو «أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات : أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه ، وشر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه ومن لم يعقل كتبه وعلقه عليه (١).

## (الفصل الخامس فى أذكار من رأى رؤيا يكرهها أو يحبها)

فى الصحيحين عن أبي قتادة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الرؤيا من الله ، والحلم من الشيطان ، فاذا رأى أحدكم الشيء يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات اذا استيقظ . وليتعوذ بالله من الشيطان فانها لن تضره ان شاء الله ».

قال أبو قتادة : كنت ارى الرؤيا تمرضنى حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الرؤيا الصالحة من الله ، فاذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب ، وإذا رأى ما يكرهه فلا يحدث به . وليتفل عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شر ما رأى فانها لا تضره » (٢) .

---

وقال : واسناده جيد ألا أن عبد الرحمن بن سابط لم يسمع من خالد بن الوليد . ورواه الترمذى باسناد ضعيف . ورواية الطبرانى فيها « عز جارك وتبارك اسمك » وليس فيها « وجل ثناؤك » الخ.

(١) قال الترمذى : حسن غريب . وعزاه المنذرى فى الترغيب والترهيب الى أبى داود والنسائى والحاكم

(٢) قال فى نزل الابرار : حديث أبى سلمة فى الصحيحين وغيرهما قال « لقد كنت أرى الرؤيا فتمرضنى حتى سمعت أبا قتادة يقول : وأنا كنت أرى الرؤيا فتمرضنى حتى سمعت النبى ﷺ يقول : الرؤيا الحسنة من

وفى صحيح مسلم عن جابر عن رسول الله ﷺ قال : « إذا رأى احدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا ، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا ، وليتحول عن جنبه الذى كان عليه » . (١)

ويذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم «أن رجلا قص عليه رؤيا . فقال : خيرا رأيت وخيرا يكون » .

وفى رواية « خيرا تلقاه ، وشرا توقاه ، خيرا لنا ، وشرا على أعدائنا والحمد لله رب العالمين » «٢» .

## ﴿ الفصل السادس فى أذكار الخروج من المنزل ﴾

فى السنن عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من قال يعنى إذا خرج من بيته - : بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، يقال له : كفيت ووقيت وهديت ، وتنحى عنه الشيطان ، فيقول لشيطان آخر : كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى ؟ » .

وفى مسند الامام أحمد عن أنس « بسم الله ، آمنت بالله ، اعتصمت بالله توكلت على الله ، لاحول ولا قوة إلا بالله » حديث حسن

وفى السنن الأربع عن أم سلمة قالت « ما خرج رسول الله ﷺ من بيتى الا رفع طرفه الى السماء فقال : اللهم انى أعوذ بك أن أضل ،

---

الله فاذا رأى أحدكم مايحب فلا يحدث به الا من يحب . واذا رأى مايكره فليتعوذ بالله من شرها وشر الشيطان وليتفل ثلاثا ولا يحدث بها أحداً فانها لاتضره »

«١» وعزاه المنذرى الى مسلم . وأبى داود . والنسائى وابن ماجه وفيه « وليتحول عن مكانه الذى كان عليه »

«٢» قال فى نزل الابرار أخرجه ابن السنى

أو أضل ، أو أزل أو أزل ، او أظلم أو أظلم ، او أجهل او يجهل على »
قال الترمذى حديث حسن صحيح

## ﴿ الفصل السابع فى اذكار دخول المنزل ﴾

في صحيح مسلم عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « اذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لامبيت لكم ولا عشاء ، واذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان . ادركتم المبيت فاذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال : ادركتم المبيت والعشاء »

وفى سنن ابى داود عن ابى مالك الاشعرى قال : قال رسول الله ﷺ « اذا ولج الرجل بيته فليقل . اللهم إنى اسألك خير المولج وخير المخرج بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا ، وعلى الله ربنا توكلنا ثم ليسلم على اهله »

وفى الترمذى عن انس قال : « قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم . يابنى اذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى اهل بيتك » قال الترمذى حديث حسن صحيح

## ﴿ الفصل الثامن فى أذكار دخول المسجد والخروج منه ﴾

فى صحيح مسلم عن ابى حميد أو ابى اسيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . اذا دخل احدكم الى المسجد فليسلم على النبى ﷺ وليقل « اللهم افتح لى ابواب رحمتك ، وإذا خرج فليقل : اللهم انى اسالك من فضلك » (١)

---

(١) قال النووى فى الاذكار : ليس فى رواية مسلم « فليسلم على النبى ﷺ » وهو فى رواية أبى داود والنسائى وابن ماجه واسانيدهم كلها صحيحة

وفى سنن ابى داود عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ انه كان اذا دخل المسجد قال: أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم قال فاذا قال ذلك، قال الشيطان حفظ منى سائر اليوم (١)

## ﴿الفصل التاسع فى اذكار الآذان﴾

فى الصحيحين عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «اذا سمعتم النداء فقولوا مثل مايقول المؤذن».

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول، ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لى الوسيلة، فانها منزلة فى الجنة لاتنبغى الا لعبد من عباد الله، وارجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة».

وفى صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ «اذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، قال أحدكم الله أكبر، الله أكبر، ثم قال أشهد أن لااله الاالله، قال أشهد أن لااله الا الله. ثم قال أشهد أن محمداً رسول الله، قال أشهد أن محمداً رسول الله. ثم قال حى على الصلاة، قال لا حول ولا قوة الا بالله. ثم قال حى على الفلاح قال لاحول ولاقوة الا بالله ثم قال الله أكبر الله أكبر قال الله أكبر الله أكبر. ثم قال لااله الا الله، قال لااله الا الله من قلبه دخل الجنة»(٢)

وفى صحيح البخارى عن جابر: أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته ـ حلت

---

(١) قال النووى فى الاذكار. حديث حسن باسناد جيد (٢) وأخرجه البخارى أيضا وأبو داود. والنسائى

له شفاعتى يوم القيامة » (١).

وفى سنن ابى داود عن عبد الله بن عمرو قال: « يارسول الله إن المؤذنين يفضلوننا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل كما يقولون فاذا انتهيت فسل تعطه » (٢) .

وفى الترمذى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « الدعاء لا يرد بين الأذان والاقامة قالوا ، فماذا نقول يارسول الله ؟ قال : سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة » قال الترمذى حديث حسن صحيح (٣)

وفى سنن أبى داود عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ « ثنتان لا تردان . أو قلما تردان : الدعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا » (٤)

وفى سنن أبى داود عن أم سلمة ، قالت : علمنى رسول الله ﷺ أن أقول عند المغرب : اللهم هذا إقبال ليلك ، وادبار نهارك ، وأصوات

---

(١) ورواه مسلم وفيه « حلت عليه » فتكون اللام هنا بمعنى على كما قال الحافظ فى الفتح ورواه أبو داود . والترمذى . والنسائى وابن ماجه والبيهقى فى سننه الكبرى وزاد « انك لاتخلف الميعاد » قال فى الفتح قال الطيبى : المراد بذلك قوله تعالى:( عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ) قال ابن الجوزى : والأكثر على أن المقام المحمود . الشفاعة .

(٢) ورواه النسائى . وابن حبان فى صحيحه وقالا « تعط » بدون هاء

« ٣ » الذى فى جامع الترمذى المطبوع فى الهند أنه قال حديث أنس حسن ـ ولم يقل صحيح وعزاه فى الجامع الصغير الى أحمد . وأبى داود والترمذى . والنسائى . وابن حبان ، وعلم عليه بالصحة.

« ٤ » « يلحم » بالحاء المهملة ، أى حين ينشب بعضهم ببعض فى الحرب

دعائك ، وحضور صلواتك فاغفر لى » *

وفى سنن أبى داود عن بعض أصحاب النبى ﷺ « أن بلالا أخذ فى الاقامة. فلما أن قال: قد قامت الصلاة قال النبي ﷺ أقامها الله وأدامها » (١)

فهذه خمس سنن فى الاذان: إجابته، وقول « رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد ﷺ رسولا » ، وسؤال الله تعالى لرسوله ﷺ الوسيلة والفضيلة . والصلاة عليه ﷺ ، والدعاء لنفسه بما شاء *

عن سعد بن أبى وقاص عن رسول الله ﷺ قال « من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد ﷺ رسولا . غفر الله له ذنوبه » (٢)

## ﴿ الفصل العاشر فى أذكار الاستفتاح ﴾

فى الصحيحين أن النبى ﷺ كان يقول فى استفتاحه « اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد » (٣)

---

« ١ » رواه أبو داود عن رجل من أهل الشام عن شهر بن حوشب عن أبى أمامة او عن بعض أصحاب النبى ﷺ قال المنذرى : فى اسناده رجل مجهول وشهر بن حوشب تكلم فيه غير واحد . ووثقه الامام أحمد ويحى بن معين اه . وقال البيهقى : هذا ان صح شاهد لما استحسنه الشافعى رحمه الله من قولهم « اللهم أقمها وأدمها واجعلنا من صالحى اهلها عملا »

( ٢ ) رواه مسلم . وأبو داود . والترمذى . والنسائى . وابن ماجه

( ٣ ) رواه البخارى . ومسلم عن أبى هريرة قال « كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير وبين القراءة سكتة قال : أحسبه هنية . فقلت : بأبى وأمى أنت يارسول الله فى سكتتك بين التكبير والقراءة ما تقول؟

وفى سنن أبى داود عن جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله ﷺ يصلى صلاة قال « الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكرة وأصيلا (ثلاثا) أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، من نفخه ونفثه وهمزه » قال : نفثه الشعر ، ونفخه الكبر ، وهمزه الموتة (١) *

وفى السنن الأربعة عن عائشة . وأبى سعيد . وغيرهما « أن النبى ﷺ كان إذا استفتح الصلاة قال : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك

---

قال : أقول : اللهم باعد الخ » وهذه الألفاظ كناية عن محو الذنوب ورفع أثرها . قال فى شرح العدة : وهذا الحديث أصح الاحاديث الواردة فى التوجه . وكل ما صح من التوجهات كان مجزئا ولا وجه للقول بأنه لا يجزىء إلا واحد منها معين كما يقول بعض أهل العلم . ولكن ينبغى العدول إلى الأصح وإن كان غيره من الصحيح مجزئا اهـ . وقال النووى فى الاذكار : وجاء فى الباب أحاديث أخر ، منها حديث عائشة « كان النبى ﷺ إذا افتتح الصلاة قال : سبحانك اللهم وبحمدك الخ » رواه الترمذى . وأبو داود . وابن ماجه بأسانيد ضعيفة . وضعفه أبو داود والترمذى . والبيهقى . وغيرهم . ورواه أصحاب السنن الاربعة عن أبى سعيد قال الترمذى : هذا حديث لا نعرفه الا عن حارثة . وقد تكلم فيه غير واحد من قبل حفظه ، وقال البيهقى : روى عن أنس . وابن مسعود مرفوعا . وكلها ضعيفة . وأصح ماروى فيه عن عمر موقوفا

(١) هى بواو ساكنة غير مهموزة ـ الجنون قال الصغانى فى العباب : سمى الشعر نفثا لأنه كالشىء ينفث من الفم كالرقية . وسمى الكبر نفخا لما يوسوس اليه الشيطان فى نفسه ليعظمها عنده ويحقر الناس فى عينه حتى يدخله الزهو . وهمزات الشياطين خطراتها التى تخطرها بقلب الانسان

اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك » وهو في صحيح مسلم عن عمر موقوفا عليه .

وفي صحيح مسلم (١) عن علي بن أبي طالب قال « كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال : « وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين . اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت نفسي ، واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت . واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت . لبيك وسعديك ، والخير كله في يديك ، والشر ليس إليك ، أنا بك وإليك ، تباركت وتعاليت ، أستغفرك وأتوب إليك . وكان إذا ركع يقول في ركوعه : اللهم لك ركعت ، وبك آمنت . ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري ، ومخي وعظمي وعصبي . وإذا رفع رأسه من الركوع يقول . سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ، ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد . وإذا سجد يقول في سجوده : اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ، ولك أسلمت . سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره ، تبارك الله أحسن الخالقين وكان آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني ، إنك أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت (٢) » .

---

(١) ورواه أيضا الشافعي . وأحمد وأصحاب السنن وغيرهم مختصرا ومطولا

(٢) ورواه أحمد . وأبوداود . والنسائي . والترمذي . وقال : حسن

وفى صحيح مسلم عن عائشة «كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته اذا قام من الليل : اللهم رب جبريل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم» *

وفى الصحيحين عن ابن عباس قال «كان رسول الله ﷺ يقول اذا قام الى الصلاة من جوف الليل : اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد ، أنت قيام (١) السموات والارض ومن فيهن ، ولك الحمد . أنت رب السموات والأرض ومن فيهن. ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت ، وعليك توكلت ، واليك أنبت ، وبك خاصمت ، واليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ، أنت الهى لا اله الا أنت ، ولا حول ولا قوة الا بك » *

## ﴿الفصل الحادى عشر﴾

## ﴿فى ذكر الركوع والسجود والفصل بينهما وبين السجدتين﴾

فى السنن الأربعة عن حذيفة رضى الله تعالى عنه : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا ركع «سبحان ربى العظيم ثلاث مرات» وإذا سجد قال:

---

صحيح . وابن حبان وزاد بعد قوله « حنيفا مسلما » وقد جاء فى روايات أن هذا الحديث فى صلاة مكتوبة ، وفى بعضها مقيدا بصلاة الليل ، وفى بعضها مطلقا .

(١) قال ابو عبيد : القيوم القائم على كل شىء ، أى المدبر أمر خلقه وفيه لغات : قيوم ، وقيام ، وقيم . ولفظ الموطأ «انت قيام السموات والارض»

«سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات» ، وفيه حديث على رضى الله تعالى عنه وقد سبق فى المفصل قبله بطوله ◦

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده : « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى » (١) ◦

وفى صحيح مسلم عنها رضى الله تعالى عنها « كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول فى ركوعه وسجوده « سبوح قدوس ، ربه

---

(١) فى البخارى فى آخره «يتأول القرآن» قال الحافظ فى الفتح : اى يفعل ما امر به فيه ، وقد تبين من رواية الأعمش ان المراد بالقرآن بعضه وهو السورة المذكورة - اى سورة اذا جاء نصر الله - ووقع فى رواية ابن السكن عن الفربرى قال ابو عبد الله : يعنى قوله تعالى ( فسبح بحمد ربك واستغفره) قال ابن دقيق العيد : يؤخذ من هذا الحديث اباحة الدعاء فى الركوع ، واباحة التسبيح فى السجود ، ولا يعارضه قوله ﷺ «أما الركوع فعظموا فيه الرب . وأما السجود فاجتهدوا فيه من الدعاء» أخرجه مسلم . وأبو داود وفيه « فقمن أن يستجاب لكم » اه باختصار . وروى أحمد . وابو داود . وابن ماجه من حديث عقبة بن عامر قال : لما نزلت (فسبح اسم ربك العظيم) قال لنا رسول الله ﷺ : اجعلوها فى ركوعكم فلما نزلت ( سبح اسم ربك الأعلى) قال: اجعلوها فى سجودكم» وأخرج ابو داود . والترمذى من حديث ابن مسعود : أن النبى ﷺ قال « إذا ركع أحدكم فقال فى ركوعه سبحان ربى العظيم ثلاث مرات وذلك أدناه فقد تم ركوعه واذا سجد وقال فى سجوده سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات وذلك أدناه فقد تم سجوده » ◦

الملائكة والروح » (١) .

وفى سنن أبى داود عن عوف بن مالك رضى الله عنه «أن النبى ﷺ كان يقول فى ركوعه وسجوده : سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة» .

وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : «كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال:« اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض ، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد : لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد » (٢) .

وفى صحيح البخارى عن رفاعة بن رافع رضى الله تعالى عنه قال : « كنا نصلى يوما وراء النبى صلى الله تعالى عليه وعاله وسلم . فلما رفع رأسه من الركعة قال : سمع الله لمن حمده فقال رجل من ورائه : ربنا ولك الحمد حمداً كثيرا طيبا مباركا فيه . فلما انصرف قال : من المتكلم ؟ قال: أنا يارسول الله . قال : « لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها ، أيهم يكتبها أول » (٣) .

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه «أن رسول الله صلى

---

(١) أخرجه مسلم عن عقبة بن عامر

(٢) أى لا ينفع ذا الحظ والغنى والجاه من قوتك وقدرتك وسطوتك غناه وجاهه .

(٣) وأخرجه ابو داود . والنسائى . وأخرجه الشيخان . وغيرهما من حديث أنس بن مالك «أن رسول الله ﷺ قال : اذا قال الامام: سمع الله لمن حمده فقولوا ـ الحديث» .

الله عليه وسلم قال : « أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء » .

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده : « اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دقه وجله . أوله وآخره . وعلانيته وسره » .

وقالت عائشة رضي الله عنها : « افتقدت النبي ﷺ ذات ليلة . فالتمسته . فوقعت يدي على بطن قدميه ، وهو في المسجد . وهما منصوبتان وهو يقول : « اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لاأحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » روى مسلم هذه الأحاديث .

وفي سنن أبي داود عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يقول بين السجدتين : « اللهم اغفرلي وارحمني واهدني واجبرني ، وعافني وارزقني » .

وفي السنن أيضا عن حذيفة رضي الله تعالى عنه وأرضاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول بين السجدتين : « رب اغفر لي رب اغفر لي »(١) .

## ﴿ الفصل الثاني عشر ﴾
## ﴿ في أدعية الصلاة بعد التشهد ﴾

في الصحيحين عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله تعالى

---

(١) وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أنس قال : « رأيت رسول الله ﷺ يصلي بنا ، وكان إذا رفع رأسه من الركوع انتصب قائما حتى يقول الناس قدنسي » وكذلك في الرفع من السجود .

عليه وسلم « إذا فرغ أحدكم من التشهد فليتعوذ بالله من اربع : من عذاب القبر . ومن عذاب جهنم . ومن فتنة المحيا والممات . ومن شر فتنة المسيح الدجال » *

وفيهما ايضا عن عائشة رضى الله عنها ان النبى ﷺ كان يدعو فى الصلاة « اللهم إنى اعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات . اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم (١)» فقال قائل : ما أكثر ما تستعيذ من المغرم ؟ فقال :

---

(١) المأثم ما يوجب الاثم . والمغرم : الدين . وفتنة المحيا : مايعرض للانسان طول حياته من فتن الدنيا . وفتنة الممات عند الموت ، أو فى القبر . والمسيح ـ بالحاء المهملة يظهر على يده أمور يضل بها من ضعف ايمانه . كما جاء ذلك فى أحاديث كثيرة صحيحة ، وقوله ﷺ « فليتعوذ » بلام الأمر . يدل على أن ذلك الدعاء واجب بعد التشهد ، وقد جاء فى حديث ابن مسعود أن النبى ﷺ ـ كان يعلمهم التشهد كما يعلمهم السورة من القرآن ، وقال فى آخره « ثم ليتخير من الدعاء أعجبه اليه فيدعو » أخرجه البخارى . ومسلم . وفيه أمر المصلى أن يدعو الله فى آخر صلاته باحب الاشياء اليه من أمور الدنيا والآخرة ، ويطيل فى ذلك أو يقصر حسب حاجته . وقد روى عن ابن عمر أنه قال : « انى لأدعو الله فى صلاتى حتى لشعير حمارى وملح بيتى » وعن عروة بن الزبير مثله ، وكان على رضى الله عنه يقنت على قوم يسميهم باسمائهم فى صلاته ، وكان أبو الدرداء يدعو لسبعين رجلا فى صلاته ، ويقول : انى لادعو لسبعين أخا من اخوانى اسميهم باسمائهم . وكان ابن الزبير يدعو للزبير فى صلاته ، وكان أحمد بن حنبل يدعو للشافعى فى صلاته وبعد صلاته اهـ من نزل الابرار *

ان الرجل إذا غرم حدث فكذب ، ووعد فأخلف » *

وقد تقدم فى الصحيحين أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال لرسول الله ﷺ « علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى فقال : قل : اللهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا انت ، فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم » *

وفى صحيح مسلم من حديث على رضى الله عنه فى صفة صلاة رسول الله ﷺ . وقد تقدم بطوله فى الفصل العاشر *

وفى سنن أبى داود أن النبى ﷺ قال لرجل : « كيف تقول فى الصلاة ؟ قال : أتشهد واقول : اللهم انى اسألك الجنة وأعوذ بك من النار ، أما انى لا احسن دندنتك ولا دندنة معاذ ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : حولها ندندن » *

وفى المسند والسنن عن شداد ابن أوس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول فى صلاته « اللهم انى أسألك الثبات فى الأمر ، والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك ، واسالك قلبا سليما ، ولسانا صادقا ، وأسألك من خير ماتعلم ، وأعوذ بك من شر ماتعلم واستغفرك لماتعلم انك انت علام الغيوب » *

وفى سنن النسائى ان عمار بن ياسر صلى صلاة ودعا فيها بدعوات وقال : سمعتهن من رسول الله ﷺ « اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، احينى إذا علمت الحياة خيرا لى ، وتوفنى اذا علمت الوفاة خيرا لى . اللهم انى اسالك خشيتك فى الغيب والشهادة ، واسالك كلمة الحق فى الغضب والرضا ، واسالك القصد فى الفقر والغنى . واسالك نعيما لاينفد واسالك قرة عين لاتنقطع ، واسالك الرضا بعد القضاء ، واسالك برد

العيش بعد الموت ، واسالك لذة النظر الى وجهك الكريم والشوق الى لقائك ، من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة . اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين» *

## ﴿ الفصل الثالث عشر ﴾

## ﴿ فى الاذكار المشروعة بعد السلام وهو ادبار السجود ﴾

فى صحيح مسلم عن ثوبان رضى الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ اذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثا وقال : اللهم انت السلام ومنك السلام . تباركت ياذا الجلال والاكرام » (١)

وفى الصحيحين عن المغيرة بن شعبة « ان رسول الله ﷺ كان اذا فرغ من الصلاة قال : «لااله الاالله وحده لاشريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، اللهم لامانع لما اعطيت ولامعطى لما منعت ، ولاينفع ذاالجد منك الجد» *

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما « ان رسول الله ﷺ كان يهلل دبر كل صلاة حين يسلم بهؤلاء الكلمات : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، لا حول ولا قوة الا بالله . لا اله الا الله . ولا نعبد الا اياه . له النعمة . وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لااله الاالله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » *

وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وقال تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك

---

(١) ورواه أحمد . واصحاب السنن

له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر » .

وفى السنن عن عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ قال : « خصلتان أو خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة هما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح الله فى دبر كل صلاة عشراً ، ويحمده عشرا ويكبره عشرا فذلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسمائة فى الميزان ويكبره اربعا وثلاثين اذا اخذ مضجعه ويحمد ثلاثا وثلاثين ويسبح ثلاثا وثلاثين فذلك مائة باللسان وألف فى الميزان قال . ولقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده قالوا : يارسول الله كيف هما يسير ومن يعمل بهما قليل ؟ قال : يأتى احدكم — يعنى الشيطان — فى منامه فينومه قبل ان يقولها ويأتيه فى صلاته فيذكره حاجته قبل أن يقولها » .

وفى السنن عن عقبة بن عامر قال : امرنى رسول الله ﷺ ان اقرأ بالمعوذتين دبر كل صلاة .

وفى النسائى الكبير عن أبى هريرة قال . قال رسول الله ﷺ : « من قرأ آية الكرسى عقب كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة الا ان يموت يعنى لم يكن بينه وبين دخول الجنة الا الموت .

## ﴿ الفصل الرابع عشر فى ذكر التشهد ﴾

فى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال : « علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم التشهد وكفى بين كفيه كما يعلمنى السورة من القرآن : التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا اله إلا الله واشهد ان

محمداً عبده ورسوله» (١) .

وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال : « كان رسول الله ﷺ

---

(١) روى البخارى . وابو داود عن عبد الله بن مسعود قال : « كنا إذا صلينا خلف النبى ﷺ - وفى رواية أبى داود : كنا إذا جلسنا فى الصلاة مع النبى ﷺ - قلنا : السلام على الله ، السلام على جبريل وميكائيل . السلام على فلان وفلان . فالتفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله هو السلام فإذا صلى أحدكم فليقل : التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . فإنكم إذا قلتموها أصاب كل عبد لله صالح فى السماء والأرض . أشهد أن لا إله الا الله . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » قال الحافظ فى الفتح : «التحيات» جمع تحية ، ومعناها السلام . وقيل البقاء . وقيل . العظمة . وقيل : السلامة من الآفات والنقص . وقيل : الملك . وقال أبو سعيد الضرير ليست التحية الملك نفسه . لكنها الكلام الذى يحيا به الملك . وقال ابن قتيبة : لم يكن يحيا إلا الملك خاصة . وكان لكل ملك تحية تخصه . فلهذا جمعت وكان المعنى : التحيات التى كانوا يسلمون بها على الملوك كلها مستحقة لله وقال الخطابى ، ثم البغوى : ولم يكن فى تحياتهم شىء يصلح للثناء على الله . فلهذا أبهمت ألفاظها واستعمل منها معنى التعظيم فقال : قولوا : التحيات لله ، أى أنواع التعظيم له . قال الترمذى . حديث ابن مسعود روى عنه من غير وجه وهو أصح حديث روى فى التشهد والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم . قال : وذهب الشافعى إلى حديث ابن عباس فى التشهد وقال البزار لما سئل عن أصح حديث فى التشهد - : هو عندى حديث ابن مسعود . وروى من نيف وعشرين طريقا

يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرءان وكان يقول : التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اشهد ان لا إله الا الله ، وان محمدا رسول الله » *

وفى صحيح مسلم عن ابى موسى ان النبى صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد « التحيات الطيبات والصلوات لله السلام عليك ايها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، اشهد ان

---

ثم سرد أكثرها . وقال : لا أعلم فى التشهد أثبت منه ولا أصح أسانيد ولا أشهر رجالا اه ولا اختلاف بين أهل الحديث فى ذلك . وممن جزم بذلك البغوى فى شرح السنة ومن مرجحاته أنه متفق عليه دون غيره وأن الرواة عنه من الثقات لم يختلفوا فى ألفاظه بخلاف غيره ، وانه تلقاه عن النبى ﷺ تلقينا ، فروى الطحاوى من طريق الأسود بن يزيد عنه قال « اخذت التشهد من فى رسول الله ولقننيه كلمة كلمة » ؛ ولاحمد من حديث ابن مسعود « ان رسول الله علمه التشهد وأمره ان يعلمه الناس » ولم ينقل ذلك لغيره ؛ ففيه دليل مزيته ، (فائدة) قال القفال فى فتاويه ترك الصلاة يضر بجميع المسلمين ، لأن المصلى يقول اللهم اغفر لى وللمؤمنين والمؤمنات ولابد أن يقول فى التشهد « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » فيكون مقصرا فى خدمة الله وفى حق رسول الله ، وفى حق نفسه ، وفى حق كافة المسلمين ، ولذلك عظمت المعصية بتركها ، واستنبط منه السبكى أن فى الصلاة حقا للعباد مع حق الله ؛ وان من تركها اخل بحق جميع المؤمنين من مضى ومن يجىء إلى يوم القيامة ، لوجوب قوله فيها « السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين » اه ( ج ٢ ص ٢١١ - ٢١٥ ) باختصار *

لا إله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » .

وروى أبو داود عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التشهد « التحيات لله الصلوات الطيبات ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته . أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » .

وروى أبو داود عن سمرة بن جندب « أما بعد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا كان فى وسط الصلاة ، أو حين انقضائها ، فابدؤا قبل السلام فقولوا . التحيات والصلوات الملك لله ثم سلموا على اليمين ثم على قارئكم وعلى أنفسكم » .

وذكر مالك فى الموطا أن عمر كان يعلم الناس التشهد وهو على المنبر يقول « قولوا: التحيات لله الزاكيات لله الصلوات الطيبات لله . السلام عليك أيها النبىّ ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » فأى تشهد أتى به من هذه التشهدات أجزأه .

وذهب الامام احمد . وأبو حنيفة الى تشهد ابن مسعود . وذهب الشافعى(١) الى تشهد ابن عباس ، وذهب مالك الى تشهد عمر رضى الله

---

(١) قال الشافعى بعد أن أخرج حديث ابن عباس روبت أحاديث فى التشهد مختلفة وكان هذا أحب الى لأنه أكملها ، وقال فى موضع آخر ـ وقد سئل عن اختياره تشهد ابن عباس ـ : لما رأيته واسعا وسمعته عن ابن عباس صحيحا كان عندى أجمع وأكثر لفظا من غيره ، وأخذت به غير معنف لمن يأخذ بغيره مما صح .

عنه ، والكل كاف يجزى .

## ﴿الفصل الخامس عشر فى ذكر الصلاة على النبى ﷺ (١)﴾

فى الصحيحين عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال «خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا قد عرفنا كيف نسلم عليك . فكيف نصلى عليك ؟ قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ءال محمد ، كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى ءال محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد»

وفى الصحيحين أيضا عن أبى حميد الساعدى أنهم قالوا «يارسول الله ، كيف نصلى عليك ؟ قال . قولوا : اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم انك حميد مجيد» .

وفى صحيح مسلم عن أبى مسعود الانصارى قال «أتانا رسول الله ﷺ ، ونحن فى مجلس سعد بن عبادة ، فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله أن نصلى عليك يارسول الله . كيف نصلى عليك ؟ قال : فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله : ثم قال رسول الله ﷺ «قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ءال ابراهيم وبارك على محمد وعلى ءال محمد كما باركت على ال ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم» (٢)

---

(١) الف الامام الحافظ ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى كتابا فى الصلاة على النبى ﷺ حكمها وألفاظها ، وفضلها ، ومعناها أسماه : جلاء الأفهام فى الصلاة على خير الانام . وهو من أنفس الكتب وأجلها . وقريبا سيشرع بطبعه إن شاء الله تعالى . أقام الأدلة الكثيرة القوية على وجوب الصلاة على النبى ﷺ فى الصلاة فى التشهد الأول والثانى . فارجع اليه فان فيه خيرا عظيما وعلما كثيرا .

(٢) قوله «فى العالمين» ليس فى رواية مسلم . ولكنه فى رواية أبى داود

وذكر ابن ماجه فى سننه عن عبدالله بن مسعود قال « اذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة فإنكم لاتدرون لعل ذلك يعرض عليه. قال: فقالوا له: فعلمنا . قال قولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين . وامام المتقين ، وخاتم النبيين ، محمد عبدك ورسولك إمام الخير ، وقائد الخير ، ورسول الرحمة . اللهم ابعثه مقاما يغبطه به الأولون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم ، انك حميد مجيد » *

## ﴿ الفصل السادس عشر فى الاستخارة (١) ﴾

فى صحيح البخارى عن جابر قال « كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة فى الأمر كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير

(١) الاستخارة : طلب اختيار الخير ممن يعلمه ويقدر عليه وذلك لايكون على حقيقته الا من الله سبحانه وتعالى ، والحديث فى ألفاظه ومعانيه يدل على تفويض العبد كل التفويض لله تعالى وخالص توكله عليه وعظيم ثقته به وانه يتخلى عن شأنه كله لله تعالى لأنه هو العالم القادر على كل شىء وهذا هو لب الايمان وحقيقة التوحيد أما ما يصنعه الجهال والدجالون من العد على حبات السبحة أو التبييت بالليل ليرى فى منامه شيئا فذلك بعيد عن الايمان والتوكل على الله ومناف لما أوصى به رسول الله ﷺ أصحابه والمؤمنين به فهو بدعة سيئة بل ربما كان فى بعض الأوقات منافيا للتوحيد الخالص والتوكل على الله وان زعم من يعمل تلك الاستخارات المبتدعة أنه من الصالحين بل وان رأى فى منامه ما تلاعب به الشيطان ، وأوهمه أن ذلك نتيجة هذا التبييت *

الفريضة ثم ليقل : اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك ، وأسالك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم أن هذا الأمر - ويسمى حاجته - خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه وان كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم أرضنى به » *

وفى مسند الامام أحمد من حديث سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من سعادة ابن آدم استخارة الله ، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله . ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله ، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله » .

وكان شيخ الاسلام ابن تيمية رضى الله عنه يقول . ما ندم من استخار الخالق ، وشاور المخلوقين ، وثبت فى أمره وقد قال سبحانه وتعالى : ( وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ٣ : ١٥٩ ) وقال قتادة : ما شاور قوم يبتغون وجه الله إلا هدوا إلى أرشد امرهم

## ( الفصل السابع عشر )

## ( فى أذكار الكرب والغم والحزن والهم )

فى الصحيحين عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب : « لا إله الا الله العظيم الحليم ، لا اله الا الله رب العرش العظيم ، لا اله الا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم » *

وفى الترمذى عن أنس رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه

أمر قال : « ياحى ياقيوم برحمتك استغيث »

وفيه أيضا ، عن أبى هريرة « ان النبى ﷺ كان اذا اهمه الأمر رفع رأسه الى السماء فقال : سبحان الله العظيم واذا اجتهد فى الدعاء قال : ياحى ياقيوم »

وفى سنن أبى داود عن أبى بكرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « دعوات المكروب : اللهم رحمتك أرجو . فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله . لا إله إلا أنت » .

وفى السنن أيضا عن أسماء بنت عميس قالت : قال لى رسول الله ﷺ « ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب — أو فى الكرب ؟ : الله الله ربى لا أشرك به شيئا » .

وفى رواية . أنها تقال سبع مرات .

وفى الترمذى عن سعد بن أبى وقاص قال . قال رسول الله ﷺ « دعوة ذى النون ، إذ دعا وهو فى بطن الحوت : ( لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) لم يدع بها رجل مسلم فى شىء قط الا استجيب له » .

وفى رواية له « انى لأعلم كلمة لا يقولها مكروب الا فرج الله عنه : كلمة أخى يونس عليه السلام » .

وفى مسند الامام أحمد وصحيح ابن حبان عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ قال : ما أصاب عبدا هم ولاحزن فقال : اللهم إنى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ، ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك . أسألك بكل اسم هولك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك او استأثرت به فى علم الغيب عندك : أن تجعل القرءان

ربيع قلبى ، ونور بصرى وجلاء حزنى ، وذهاب همى الا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحا » (١) *

## ﴿ الفصل الثامن عشر ﴾

## فى الأذكار الجالبة للرزق ، الدافعة للضيق والأذى

قال الله سبحانه وتعالى عن نبيه نوح ﷺ (٧١ : ١٠ ، ١١ ، ١٢) فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ) *

وفى بعض المسانيد عن ابن عباس : ان رسول الله ﷺ قال : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب » *

وذكر ابو عمر بن عبد البر فى التمهيد له حديثا مرفوعا الى النبى ﷺ « من قرأ سورة الواقعة كل يوم لم تصبه فاقة ابدا » (٢) *

---

(١) ساقه فى نزل الأبرار من كتاب ابن السنى من حديث أبى موسى ثم ذكره من حديث ابن مسعود وقال : رواه ابن حبان وأحمد وأبو يعلى والبزار . ورجال أحمد وأبى يعلى رجال الصحيح وصححه الحاكم *

(٢) ذكره الحافظ ابن كثير فى أول تفسير الواقعة قال : قال الحافظ ابن عساكر فى ترجمة عبد الله بن مسعود فساقه بسنده ان عثمان بن عفان دخل على ابن مسعود يعوده فى مرضه فقال . « ماتشتكى ؟ فقال . ذنوبى قال : فما تشتهى ؟ قال : رحمة ربى . قال . ألا نأمر لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضنى . قال : الا نأمر لك بعطاء ؟ قال : لا حاجة لى فيه . قال: يكون لبناتك من بعدك . قال : أتخشى على بناتى الفقر ؟ إنى أمرت بناتى

## ﴿ الفصل التاسع عشر ﴾

## فى الذكر عند لقاء العدو ومن يخاف سلطانا وغيره

فى سنن ابى داود والنسائى عن ابى موسى « ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا خاف قوما قال : اللهم انا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم » *

ويذكر عن النبى ﷺ انه كان يقول : عند لقاء العدو « اللهم انت عضدى وانت ناصرى وبك أقاتل » *

وعنه صلى الله عليه وسلم « انه كان فى غزوة فقال : يامالك يوم الدين اياك اعبد . واياك استعين » قال انس « فلقد رأيت الرجال تصرعها الملائكة من بين يديها ومن خلفها » (١) *

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « اذا خفت سلطانا اوغيره فقل لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم لا اله الا انت عز جارك ، وجل ثناؤك »(٢) *

---

يقرأ كل ليلة سورة الواقعة . فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا ، ثم ساق له طريقين .اخريين

(١) قال فى نزل الابرار : رواه ابن السنى . وفى ترجمة شيخ الاسلام ابن تيمية رضى الله عنه انه خرج مرة مع السلطان فى غزو الكفار فلما تراءى الجمعان قال السلطان . ياخالد بن الوليد ، كانه تفاءل بهذا اللفظ للفتح . فصرخ الشيخ ابن تيمية عليه وقال قل : اياك نعبد واياك نستعين فقالها فانهزم العدو . وكان النصر للسلطان (٢) قال فى نزل الابرار . رواه ابن السنى

وفى صحيح البخارى عن ابن عباس قال « حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم ﷺ حين ألقى فى النار . وقالها محمد ﷺ حين قال له الناس ( انَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ) » *

## ﴿ الفصل العشرون فى الأذكار التى تطرد الشيطان ﴾

قد تقدم أن من قرأ آية الكرسى عند نومه لم يقربه شيطان . وأن من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه ، ومن قال فى يوم مائة مرة « لا إله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » كانت له حرزا من الشيطان يومه كله *

وقد قال تعالى ( ٢٣ : ٩٧ ، ٩٨ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ . وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ) *

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه » *

وقال سبحانه وتعالى : ( ٤١ : ٣٦ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) *

والأذان يطرد الشيطان . كما تقدم *

وعن زيد بن أسلم أنه ولى معادن فذكروا كثرة الجن فامرهم أن يؤذنوا كل وقت ويكثروا من ذلك . فلم يكونوا يرون بعد ذلك شيئا *

وفى صحيح مسلم عن عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه أنه قال : « يا رسول الله ، ان الشيطان حال بينى وبين صلاتى وبين قراءتى يلبسها على . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك شيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه ، واتفل عن يسارك ثلاثا : ففعلت ذلك فأذهبه

الله عزوجل عنى » *

وأمر ابن عباس رجلا وجد فى نفسه شيئا من الوسوسة والشك أن يقرأ (٥٧ : ٣ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) *

ومن أعظم مايدفع به شره قراءة المعوذتين، وأول الصافات ، وآخر الحشر *

## ﴿ الفصل الحادى والعشرون ﴾

### فى الذكر الذى يحفظ به النعم وما يقال عند تجددها

قال الله سبحانه وتعالى فى قصة الرجلين (١٨ : ٣٩ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ) *

فينبغى لمن دخل بستانه ، أو داره ، أو رأى فى ماله وأهله ما يعجبه أن يبادر الى هذه الكلمة فانه لا يرى فيه سوءا *

وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أنعم الله على عبد نعمة فى أهل ومال وولد فقال : ما شاء الله لا قوة الا بالله فيرى فيها آفة دون الموت » (١)

وعنه ﷺ « أنه كان اذا رأى مايسره قال الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . واذا رأى ما يسوءه قال : الحمد لله على كل حال »

## ﴿ الفصل الثانى والعشرون فى الذكر عند المصيبة ﴾

قال الله تعالى ( ٢ : ١٥٦ ، ١٥٧ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ )

---

(١) قال فى نزل الأبرار رواه ابن السنى

ويذكر عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ليسترجع أحدكم فى كل شىء ، حتى فى شسع نعله . فانها من المصائب (١) »

وقالت أم سلمة : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مامن عبد تصيبه مصيبة فيقول : انا لله وانا اليه راجعون . اللهم اجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها ، الا اجره الله تعالى فى مصيبته وأخلف له خيرا منها . قالت ، فلما توفى أبو سلمة قلت كما أمرنى رسول الله ﷺ . فاخلف الله لى خيرا منه : رسول الله ﷺ »(٢)

وروى أيضا عنها رضى الله عنها قالت « دخل رسول الله ﷺ على ابى سلمة وقد شق بصره فاغمضه ثم قال : ان الروح إذا قبض تبعه البصر . فضج ناس من أهله . فقال : لاتدعوا على انفسكم الا بخير . فان الملائكة يؤمنون على ما تقولون . ثم قال : اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين ، واخلفه فى عقبه فى الغابرين ، واغفر لنا وله يارب العالمين ، وافسح له فى قبره ونور له فيه » (٣)

---

(١) ذكره صديق حسن خان عن كتاب ابن السنى . ثم قال قال فى الاذكار : الشسع بكسر الشين ثم باسكان السين المهملة ـ أحد سيور النعل التى تشد به الى زمامها

(٢) انفرد بروايته مسلم . وأم سلمة ، اسمها هند . كانت وزوجها أبو سلمة من السابقين الأولين والمهاجرين الصادقين رضى الله عنهم اجمعين

(٣) رواه مسلم وأبو داود . والنسائى . وابن ماجه . قال النووى فى الاذكار : « شق » بفتح الشين وضم الراء بصره . هكذا الرواية فيه باتفاق الحفاظ وأهل الضبط . قال صاحب الافعال : يقال : شق بصر الميت وشق الميت بصره إذا شخص

## ﴿ الفصل الثالث والعشرون ﴾

### فى الذكر الذى يدفع به الدين ويرجى قضاؤه

فى الترمذى عن على رضى الله تعالى عنه « أن مكاتبا جاءه ، فقال : إنى عجزت عن كتابتى فأعنى ، فقال : ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ ، لو كان عليك مثل جبل صبر دينا إلا أداه الله عنك ؟ قل: اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك ، وأغننى بفضلك عمن سواك » قال الترمذى حديث حسن (١) *

## ﴿ الفصل الرابع والعشرون ﴾

### فى الذكر الذى يرقى به من اللسعة ، واللدغة ، وغيرهما

فى صحيح البخارى عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما ويقول : إن أباكما ابراهيم كان يعوذ بها اسماعيل واسحاق : أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » (٢) *

وفى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه « أن رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رقى لديغا بفاتحة الكتاب . فجعل

---

(١) ورواه أيضا الحاكم فى المستدرك وصححه . « وجبل صبر » بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة ـ جبل باليمن مشهور

(٢) قال فى نزل الأبرار . قال العلماء . الهامة ـ بتشديد الميم . وهى كل ذات سم قاتل كالحية وغيرها والجمع . الهوام قالوا ـ وقد يقع الهوام على ما يدب من الحيوان وان لم يقتل كالحشرات ومنه حديث كعب بن عجرة « أيؤذيك هوام رأسك » اى القمل ؟ : واما العين اللامة فهى بتشديد الميم . وهى التى تصيب ما نظرت اليه بسوء

يتفل عليه ، ويقرأ ( ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ) فكأنما نشط من عقال فانطلق يمشي وما به قلبة ـ الحديث » (١) .

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى الانسان الشيء ، أو كانت قرحة به أو جرح قال النبي صلى الله عليه وسلم بأصبعه هكذا ـ ووضع سفيان بن عيينة أصبعه بالأرض ثم رفعها ـ وقال : بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا ، يشفى به سقيمنا باذن ربنا » (٢) .

وفي الصحيحين أيضا عنها رضي الله عنها « أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله : يمسح بيده اليمنى ويقول : اللهم رب الناس ، أذهب الباس وأشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقما »(٣) .

وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه « أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعا يجده في جسده منذ أسلم . فقال النبي ﷺ : ضع

---

(١) ورواه أصحاب السنن الأربع ، وفي رواية للترمذي « فقرأت عليه ( الحمد لله رب العالمين ) سبع مرات » وفي رواية له وللنسائي . وابن ماجه أن أبا سعيد هو الذي رقاه . واللديغ الذي لدغته الحية أو العقرب وأصابه سمها والقلبة بفتح القاف واللام والباء : الوجع . قال الفراء : معناه ليست به علة يخشى منها عليه . وهو مأخوذ من قولهم : قلب الرجل إذا أصابه وجع في قلبه ليس يكاد يفلت منه .

(٢) قال النووي : قال العلماء « بريقة بعضنا » أي بصاقه .

(٣) ورواه البخاري من حديث أنس . وأخرجه أحمد . والنسائي من حديث محمد بن حاطب أنه احترقت يده فذهبت به أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث .

يدك على الذى تألم من جسدك ، وقل « بسم الله » ثلاثا ـ وقل سبع مرات « أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وما أحاذر » (١) *

وفى السنن عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « من عاد مريضا لم يحضر أجله ، فقال عنده ، سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ويعافيك ـ إلا عافاه الله تعالى »

وفى سنن أبى داود والنسائى عن أبى الدرداء قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من اشتكى منكم أو اشتكاه أخ له ، فليقل . ربنا الله الذى فى السماء ، تقدس اسمك أمرك فى السماء والأرض كما رحمتك فى السماء فاجعل رحمتك فى الأرض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين ، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع ، فيبرأ » (٢)

## ﴿ الفصل الخامس والعشرون فى ذكر دخول المقابر ﴾

فى صحيح مسلم عن بريدة قال : « كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا من المقابر ، أن يقول قائلهم : السلام عليكم أهل الديار من

---

(١) ورواه أصحاب السنن الأربع ومالك . وابن أبى شيبة . وزاد النسائى « فأذهب الله ما كان بى : فلم أزل آمر به أهلى وغيرهم » *

(٢) أخرجه أبو داود فى باب كيف الرقى : حدثنا يزيد بن خالد بن موهب الرملى اخبرنا الليث عن زياد بن محمد عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء . قال المنذرى : وأخرجه النسائى من حديث محمد بن كعب عن أبى الدرداء . ولم يذكر فضالة بن عبيد . وفى اسناده زياد بن محمد الأنصارى قال أبو حاتم الرازى هو منكر الحديث وقال ابن حبان : منكر الحديث جدا يروى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك اهـ

المؤمنين والمسلمين، وانا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية» (١)

وفى سنن ابن ماجه عن عائشة «أنها فقدت النبى ﷺ. فاذا هو بالبقيع. فقال. السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم لنا فرط وانا بكم لاحقون، اللهم لاتحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم» (٢)

## ﴿ الفصل السادس والعشرون فى ذكر الاستسقاء ﴾

قال تعالى (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١٠ و١١) سورة نوح) *

عن جابر بن عبد الله قال. «أتت النبى صلى الله عليه وسلم بواكى فقال. «اللهم اسقنا غيثا مغيثا، مريئا مريعا، نافعا، غير ضار، عاجلا غير آجل فأطبقت عليهم السماء» (٣)

وعن عائشة «شكا الناس الى رسول الله ﷺ قحوط المطر، فأمر بمنبر فوضع له فى المصلى، ووعد الناس يوما يخرجون فيه فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس. فقعد على المنبر، فكبر، وحمد الله عز وجل. ثم قال: انكم شكوتم جدب دياركم، واستئخار المطر عن ابان زمانه عنكم، وقد أمركم الله سبحانه وتعالى أن تدعوه، ووعدكم أن يستجيب لكم، ثم قال (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) لا اله الا الله يفعل مايريد، اللهم أنت الله، لا اله الا أنت، انت الغنى ونحن الفقراء، انزل علينا الغيث، واجعل ما انزلت

---

(١) ورواه النسائى وابن ماجه، وزادا «أنتم لنا فرط. ونحن لكم تبع»
(٢) ورواه ابن السنى وفيه «ولا تضلنا بعدهم»
(٣) أخرجه أبو داود باسناد صحيح على شرط مسلم. و«بواكى» جمع باكية

علينا قوة وبلاغا الى حين . ثم رفع يديه ، فلم يزل فى الرفع حتى بدا بياض ابطيه ثم حول الى الناس ظهره وقلب ـ أو حول ـ رداءه ، وهو رافع يديه . ثم اقبل على النـاس . فنزل . فصلى ركعتين ، فانشأ الله عز وجل سحابة فرعدت وبرقت ، ثم أمطرت باذن الله تعالى . فلم يات مسجده حتى سالت السيول ، فلما رأى سرعتهم إلى الكن ضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه . وقال : أشهد أن الله على كل شيء قدير ، وانى عبد الله ورسوله » (١) .

وفى سنن أبى داود عن عبد الله بن عمرو قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استسقى قال : « اللهم اسق عبادك وبهائمك ، وانشر رحمتك وأحى بلدك الميت » .

وقال الشعبى « خرج عمر يستسقى فلم يزد على الاستغفار ، فقالوا : ما رأيناك استسقيت . فقال : لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء الذى يستنزلون به المطر ثم قرأ ( اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا سورة نوح ) ( وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ) الآية سورة هود (٢) .

---

(١) رواه ابو داود باسناد صحيح . وقال فى آخره هذا حديث غريب اسناده جيد واخرجه ايضا ابن حبان وابو عوانة والحاكم . وصححه ابن السكن . وحاجب الشمس . ضوءها ، او ناصيتها . وابان بكسر الهمزة وتشديد البـاء ـ . وقته . والـكن ـ ما يكتن الانسان ويختبيء فيه من بيت ونحوه

(٢) ذكر هذا الاثر عن عمر ابن جرير وابن كثير وقال ابن جرير

## ﴿ الفصل السابع والعشرون فى أذكار الريح إذا هاجت ﴾

قال أبوهريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الريح من روح الله تعالى، تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، فاذا رأيتموها فلاتسبوهاوسلوالله خيرها واستعيذوا بالله من شرها » رواه أبو داود (١) ٭

وفى صحيح مسلم عن عائشة قالت: « كان النبى ﷺ إذا عصفت الريح قال: اللهم انى أسالك خيرها وخيرما فيها وخيرما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به » ٭

وفى سنن أبى داود عن عائشة أيضا رضى الله عنها « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى ناشئا فى أفق السماء ترك العمل - وان كان فى صلاة - ثم يقول: اللهم انى أعوذ بك من شرها - فان مطرت - قال: اللهم صيبا هنيئا » (٢)

---

وقرأ الآية فى سورة هود حتى بلغ « ويزدكم قوة الى قوتكم » وذكره الزمخشرى فى كشافه فى تفسير سورة نوح وقال الحافظ ابن حجر فى تخريج احاديث الكشاف رواه عبدالرزاق وابن أبى شيبة والطبرانى فى الدعاء ورجاله ثقات الا أنه منقطع اه. والمجاديح واحدها مجدح. والياء زائدة للاشباع. وهو نجم من النجوم. وقيل هو ثلاثة كالأثافى تشبيها بالمجدح الذى له ثلاث شعب وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر. فجعل عمر رضى الله عنه الاستغفار مشبها بالأنواء. مخاطبة لهم بما يعرفونه

(١) ورواه ابن ماجه واسنادهما حسن. والنسائى والحاكم وابن حبان، وصححاه ٭

(٢) ورواه النسائى وابن ماجه والناشىء: السحاب لم يتكامل اجتماعه والصيب: المطر الكثير

## ﴿ الفصل الثامن والعشرون فى الذكر عند الرعد ﴾

كان عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما إذا سمع الرعد ترك الحديث فقال : ( سبحان الذى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ) (١)

وعن كعب انه قال : « من قال ذلك ثلاثا عوفى من ذلك الرعد »

وفى الترمذى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله ﷺ « كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك » (٢) *

## ﴿ الفصل التاسع والعشرون فى الذكر عند نزول الغيث ﴾

فى الصحيحين عن زيد بن خالد الجهنى قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية (٣) فى إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : قال أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى وكافر بالكواكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا . فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب *

وقد قيل : إن الدعاء عند نزول الغيث مستجاب *

وفى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها ان النبى ﷺ « كان

---

(١) سورة الرعد الآية ولفظ الآية (ويسبح) بالواو ، وهذا الأثر قال النووى . رويناه فى موطأ مالك بالاسناد الصحيح

(٢) قال النووى . اسناده ضعيف

(٣) هى قرية قريبة من مكة دون مرحلة وبها كان الصلح المشهور سميت ببئر فيها وهى مخففة وكثير من المحدثين يشددونها . وفى اثر سماء . اى عقب مطر

اذا رأى المطر قال . صيبا نافعا » وفى صحيح مسلم عن انس رضى الله عنه قال : « اصابنا ـ ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ مطر فحسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبه حتى اصابه المطر . فقلنا . يارسول الله لم صنعت هذا ؟ قال : لانه حديث عهد بربه » ٠

## ( الفصل الثلاثون )

## ( فى الذكر والدعاء عند زيادة المطر ، وكثرة المياه والخوف منها )

فى الصحيحين عن أنس قال : « دخل رجل المسجد يوم جمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب الناس . فقال : يارسول الله هلكت الاموال ، وانقطعت السبل . فادع الله يغيثنا . فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال « اللهم اغثنا اللهم أغثنا اللهم اغثنا » قال انس . والله ما نرى فى السماء من سحاب ، ولاقزعة ، وما بيننا وبين سلع من بيات ولادار ، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ، ثم أمطرت فلا والله ما رأينا الشمس سبتا ، ثم دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب . فاستقبله قائما . فقال : يارسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل . فادع الله يمسكها عنا . فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ، ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا . اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر قال : فاقلعت وخرجنا نمشى فى الشمس » (١) ٠

---

(١) القزعة قطعة من الغيم وجمعها قزع ، وسلع جبل فى المدينة ، وقوله سبتا أى اسبوعا من السبت الى السبت وقيل مدة من الزمان والآكام جمع أكمة ـ بفتح الهمزة ـ التراب المجتمع ، أو الهضبة الضخمة ، أو ما ارتفع من الارض ، والظراب جمع ظرب ـ بكسر الراء ، وتسكن ـ الجبل المنبسط الذى ليس بالعالى ٠

## ﴿ الفصل الحادى والثلاثون فى الذكر عند رؤية الهلال ﴾

عن عبد الله بن عمر قال : « كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال : الله أكبر ، اللهم أهله علينا بالأمن والايمان ، والسلامة والاسلام والتوفيق لما تحب وترضى . ربنا وربك الله » (١)

وفى سنن أبى داود عن قتادة أنه بلغه أن نبى الله صلى الله عليه وسلم « كان إذا رأى الهلال قال : هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد آمنت بالله الذى خلقك ثلاث مرات — ثم يقول : الحمد لله الذى ذهب بشهر كذا وجاء شهر كذا » « ٢ »

## ﴿ الفصل الثانى والثلاثون فى الذكر للصائم وعند فطره ﴾

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لاترد دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم » رواه الترمذى وقال : حديث حسن

وروى ابن ماجه عن ابن أبى مليكة عن عبدالله بن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن للصائم عند فطره دعوة ماترد » (٣) .

قال ابن أبى مليكة : سمعت عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما إذا أفطر يقول : « اللهم إنى أسألك برحمتك التى وسعت كل شىء أن تغفرلى »

---

« ١ » رواه الطبرانى قال فى مجمع الزوائد : وفى اسناده عثمان بن ابراهيم الحاطبى وفيه ضعف . وبقية رجاله ثقات

« ٢ » رواه أبو داود مرسلا . وفى بعض نسخ سنن أبى داود ليس فى هذا الباب عن النبى ﷺ حديث صحيح

(٣) رواه ابن ماجه عن عبد الله بن ابى مليكة عن عمرو بن العاص . وأخرجه الحاكم فى المستدرك عن ابن عمرو

ويذكر عن النبي ﷺ أنه كان اذا أفطر قال : « اللهم لك صمت وعلى رزقك افطرت » (١) .

ومن وجه آخر « اللهم لك صمنا ، وعلى رزقك أفطرنا ، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم » (٢) .

﴿ الفصل الثالث والثلاثون في أذكار السفر ﴾

روى الطبراني عن النبي ﷺ أنه قال : ما خلف أحد عند اهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفرا .

وفي مسند الامام احمد عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : من أراد سفرا فليقل . لمن يخلف أستودعكم الله الذى لاتضيع ودائعه .

وفي المسند ايضا عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله اذا استودع شيئا حفظه » .

وقال سالم : كان ابن عمر يقول للرجل إذا أراد سفرا : أدن مني أودعك ، كما كان رسول الله ﷺ يودعنا فيقول : « استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك » .

ومن وجه آخر « كان النبي ﷺ إذا ودع رجلا أخذ بيده فلا يدعها حتى يكون الرجل هو الذى يدع النبي ﷺ » . وذكر تمام الحديث . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وقال أنس رضى الله عنه « جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم

---

«١» رواه أبو داود مرسلا عن معاذ بن زهرة ورواه ابن السني أيضا بلفظ آخر نحو هذا

«٢» رواه ابن السني عن ابن عباس

فقال : يارسول الله ، أريد سفرا ، فزودنى . فقال : زودك الله التقوى قال : زدنى . قال : وغفر ذنبك . قال : زدنى . قال : ويسر لك الخير حيثما كنت » قال الترمذى حديث حسن .

وعن أبى هريرة أن رجلا قال . « يارسول الله ، إنى أريد أن أسافر . فأوصنى قال : عليك بتقوى الله عز وجل والتكبير على كل شرف « فلما ولى الرجل قال : اللهم أطوله البعد (١) ، وهون عليه السفر » قال الترمذى : حديث حسن .

﴿ الفصل الرابع والثلاثون فى ركوب الدابة والذكر عنده ﴾

قال على بن ربيعة « شهدت على بن أبى طالب رضى الله عنه أتى بدابة ليركبها . فلما وضع رجله فى الركاب قال : بسم الله . فلما استوى على ظهرها قال : الحمد لله . ثم قال : ( سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ) سورة الزخرف آيتى ١٣ ، ١٤ ثم قال . الحمد لله - ثلاث مرات - ثم قال : الله أكبر - ثلاث مرات . ثم قال سبحانك إنى ظلمت نفسى فاغفر لى إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . ثم ضحك فقيل : يا أمير المؤمنين ، من أى شىء ضحكت ؟ فقال : رأيت النبى ﷺ فعل كما فعلت ، ثم ضحك . فقلت : يارسول الله من أى شىء ضحكت ؟ فقال : إن ربك سبحانه وتعالى يعجب من عبده إذا قال : اغفر لى ذنوبى . يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيرى » «٢» رواه أهل السنن وصححه الترمذى .

---

(١) الشرف المكان المرتفع وقوله اطو اى قرب .
(٢) قوله يعلم : الخ الذى فى الترمذى هنا : وانه لا يغفر الذنوب غيرك »

وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ « كان اذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر كبر ثلاثا . ثم قال ( سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ) اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى . اللهم هون علينا سفرنا هذا ، واطوعنا بعده ، اللهم أنت الصاحب فى السفر ، والخليفة فى الأهل ، اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى المال والأهل . واذا رجع قالهن وزاد فيهن : آيبون تائبون ، عابدون لربنا حامدون » .

وفى وجه آخر «١» « وكان رسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم اذا علوا الثنايا كبروا ، واذا هبطوا سبحوا » .

﴿ الفصل الخامس والثلاثون فى ذكر الرجوع من السفر ﴾

قال عبد الله بن عمر : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو ، أو حج ، أو اعتمر يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث مرات ، ثم يقول : لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، آيبون تائبون عابدون ساجدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » رواه البخارى ومسلم .

﴿ الفصل السادس والثلاثون ﴾
فى الذكر على الدابة اذا استصعبت

قال يونس بن عبيد «٢» ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقول فى

---

«١» أى من رواية أبى داود عن ابن عمر . وفى آخره « ووضعت الصلاة على ذلك » (٢) قال النووى فى الاذكار : روينا فى كتاب ابن السنى عن السيد

أذنها « أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ ؟ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ » الا وقفت باذن الله تعالى

قال شيخنا قدس الله روحه وقد فعلنا ذلك فكان كذلك

## ﴿ الفصل السابع والثلاثون ﴾

## فى الدابة اذا انفلتت وما يذكر عند ذلك

عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا انفلتت دابة أحدكم بارض فلاة فليناد ياعباد الله احبسوا ياعباد الله احبسوا فان لله عز وجل حاضرا سيحبسه » «١»

## ﴿ الفصل الثامن والثلاثون ﴾

## ﴿فى الذكر عند القرية أو البلدة إذا أراد دخولها﴾

عن صهيب رضى الله عنه « أن النبى ﷺ لم ير قرية يريد دخولها إلا قال - حين يراها - : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين . أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها . وأعوذ بك من شرها وشر أهلهاوشر مافيها » رواه النسائى *

## ﴿ الفصل التاسع والثلاثون فى ذكر المنزل يريد نزوله ﴾

قالت خوله بنت حكيم رضى الله عنها : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من نزل منزلا ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ،

---

الجليل المجمع على جلالته وحفظه ، وديانته وورعه ونزاهته ابى عبدالله يونس بن عبيد بن دينار البصرى التابعى المشهور رحمه الله

(١) رواه ابن السنى . والبزار . وأبو يعلى . والطبرانى واسناده ضعيف

لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك » رواه مسلم *

وعن عبد الله بن عمر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال : يا أرض ربي وربك الله ، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك ، وشر ما خلق فيك ، وشر ما يدب عليك . وأعوذ بالله من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن والد وما ولد » رواه أبو داود *

## ( الفصل الأربعون في ذكر الطعام والشراب )

قال سبحانه وتعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ) سورة البقرة *

وقال عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه : « كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياغلام سم الله تعالى ، وكل بيمينك وكل مما يليك » متفق عليه *

وقالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ « إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى في أوله . فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل : بسم الله أوله وآخره » قال الترمذي : حديث حسن صحيح (١) *

وقال أمية بن مخشي رضي الله عنه « كان رسول الله ﷺ جالسا ورجل يأكل . فلم يسم حتى لم يبق من طعامه إلا لقمة . فلما رفعها إلى فيه قال : بسم الله أوله وآخره . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : ما زال الشيطان يأكل معه . فلما ذكر اسم الله تعالى استقاء ما في

---

(١) ورواه أبو داود . وهذا لفظه *

بطنه » رواه أبو داود (١) *

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها » رواه مسلم في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه *

وقال أبو هريرة: « ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط إن اشتهاه أكله ، وإلا تركه » متفق عليه *

وعن وحشي « أن ناسا قالوا : يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع قال ولعلكم تفترقون . قالوا : نعم . قال : فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله تعالى يبارك لكم فيه » رواه أبو داود *

وعن معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من أكل أو شرب فقال : الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ، ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة ، غفر له ما تقدم من ذنبه » قال الترمذي: حديث حسن (٢) *

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان إذا فرغ من طعامه قال : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين» رواه أبو داود والترمذي *

وذكر النسائي عن عبد الرحمن بن جبير التابعي رجل خدم النبي ﷺ ثماني سنين « أنه كان يسمع النبي ﷺ إذا قرب إليه طعامه يقول : بسم الله وإذا فرغ من طعامه قال : اللهم أطعمت وسقيت ، وأغنيت وأقنيت ، وهديت وأحييت ، فلك الحمد على ما أعطيت » *

---

(١) ورواه أحمد والنسائي والحاكم وصححه . وقال الدار قطني: لم يسند أمية عن النبي ﷺ غير هذا الحديث (٢) ورواه أبو داود أيضا ،

وفى صحيح البخارى عن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى ﷺ « كان إذا رفع مائدته قال : الحمد لله كثيرا طيبا مباركا فيه ، غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا » *

## ﴿ الفصل الحادى والأربعون فى ذكر الضيف اذا نزل بقوم ﴾

عن عبد الله بن بسر قال « نزل رسول الله ﷺ على ابى . فقربنا اليه طعاما ؛ ووطبة (١) فأكل منها ، ثم اتى بتمر . فكان يأكله ويلقى النوى بين اصبعيه ، ويجمع السبابة والوسطى - قال شعبة : هو ظنى وهو فيه ان شاء الله : القاء النوى (٢) ثم أتى بشراب فشربه ، ثم ناوله الذى عن يمينه قال : فقال ابى - واخذ بلجام دابته - : ادع الله تعالى لنا فقال : اللهم بارك لهم فيما رزقتهم ، واغفر لهم وارحمهم » رواه مسلم *

وعن انس « ان النبى ﷺ جاء الى سعد بن عبادة ، فجاء بخبز وزيت ، فاكل ثم قال النبى ﷺ : أفطر عندكم الصائمون ، واكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة » رواه ابو داود *

وعن جابر قال « صنع ابو الهيثم بن التيهان للنبى ﷺ طعاما .

---

(١) قوله ووطبة - الى قوله ادع الله لنا - سقط من النسخة الهندية فلم يبق منه الا قوله : ثم اتى بشراب فقال ابى فادع . وليس فيه انه شرب ولا انه اكل عنده فلا يعقل ان يكون المؤلف هو الذى اختصره هذا الاختصار المخل المضيع للمعنى . والوطبة الحيس يجمع التمر البرنى والاقط المدقوق والسمن وفى بعض نسخ مسلم « رطبة » بالراء بدل الواو وجمهور الرواة على الأول (٢) معناه ان شعبة راوى الحديث قال . الذى اظنه ان القاء النوى مذكور فى الحديث وقد جزم بهذا فى الرواية الأخرى فكأنه تذكر ما كان مترددا فيه *

فدعا النبى ﷺ وأصحابه ، فلما فرغوا قال : أثيبوا أخاكم . قالوا : يارسول الله ، وما اثابته ؟ قال . ان الرجل اذا دخل بيته فأكل طعامه وشرابه دعوا له . فذلك اثابته » رواه أبو داود *

## ﴿ الفصل الثانى والاربعون فى السلام ﴾

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما « أن رجلا سأل رسول الله ﷺ : أى الاسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » متفق عليه *

وقال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ « لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا . أفلا أدلكم على شىء اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم » رواه أبو داود *

وقال عمار بن ياسر : رضى الله عنهما « ثلاث من جمعهن جمع الايمان : الانصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والانفاق من الاقتار » ذكره البخارى *

وقال عمران بن حصين « جاء رجل الى النبى ﷺ فقال : السلام عليكم فرد عليه . ثم جلس ، فقال النبى ﷺ . عشر . ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله . فرد عليه . فجلس . فقال . عشرون . ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فرد عليه ، فجلس فقال : ثلاثون » (١) قال الترمذى حديث حسن *

---

(١) رواه الدارمى فى مسنده وأبو داود والترمذى وقال : حسن غريب من هذا الوجه وزاد أبو داود : « وجاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته : فقال اربعون قال هكذا تكون الفضائل » ومعناه أن الأول كتب له عشر حسنات والثانى عشرون وهكذا

وعن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ: « ان أولى الناس بالله من بدأ بالسلام » قال الترمذي : حديث حسن *

وخرج أبو داود عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « يجزى عن الجماعة اذا مروا أن يسلم أحدهم » *

وقال أنس « مر النبي صلى الله عليه وسلم على صبيان يلعبون فسلم عليهم » حديث صحيح *

وقال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ « اذا انتهى أحدكم الى المجلس فليسلم ، فاذا أراد أن يقوم فليسلم . فليست الأولى باحق من الآخرة » *

## ﴿ الفصل الثالث والاربعون في الذكر عند العطاس ﴾

قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: « أن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب . فاذا عطس أحدكم وحمد الله كان على كل من سمعه أن يقول : يرحمك الله . وأما التثاؤب فانما هو من الشيطان . فاذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع . فان أحدكم إذا تثاءب ضحك الشيطان منه » رواه البخاري *

وعنه أيضا عن النبي ﷺ قال : « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله . فاذا قال له يرحمك الله ، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم » رواه البخاري *

وفي لفظ أبي داود « الحمد لله على كل حال »

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه فان لم يحمد الله فلا تشمتوه » (١) *

---

(١) رواه مسلم والنهي للتنزيه

## ﴿ الفصل الرابع والأربعون ﴾

## ﴿ فى ذكر النكاح والتهنئة به وذكر الدخول بالزوجة ﴾

قال ابن مسعود « علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة ، الحمد لله ، نستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا . من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » وفى رواية زيادة « أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدى الساعة - من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيئا ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ) سورة آل عمران ( وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ) ٣ سورة النساء ، ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ) الأحزاب رواه أهل السنن الأربعة وقال الترمذي : حديث حسن ۞

وعن أبى هريرة « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا رفأ الانسان إذا تزوج قال : بارك الله لك وبارك عليكما ، وجمع بينكما فى خير » قال الترمذى حديث حسن صحيح ۞

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال : « اذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادما فليقل : اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه . واذا اشترى بعيرا فليأخذ بذروة سنامه وليقل مثل ذلك » رواه أبو داود ۞

وفى الصحيحين عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال « ان أحدكم إذا أتى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا » .

## ( الفصل الخامس والأربعون )

## ( فى الذكر عند الولادة والذكر المتعلق بالولد )

يذكر أن فاطمة رضى الله تعالى عنها لما دنا ولادها أمر النبى صلى الله عليه وسلم أم سلمة وزينب بنت جحش أن تأتيا فتقرآ عليها آية الكرسى و ( إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ) الأعراف الى آخر الآيتين وتعوذانها بالمعوذتين .

وقال أبو رافع « رأيت رسول الله ﷺ أذن فى اذن الحسن بن على حين ولدته فاطمة بالصلاة » قال الترمذى حديث حسن صحيح .

ويذكر عن الحسين بن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ولد له مولود فأذن فى أذنه اليمنى ، وأقام فى أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان » (١) .

وقالت عائشة : « كان النبى صلى الله عليه وسلم يؤتى بالصبيان فيدعو لهم بالبركة ويحنكهم » رواه أبو داود .

وقال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما : ان النبى ﷺ أمر بتسمية المولود يوم سابعه ، ووضع الأذى عنه والعق قال الترمذى حديث حسن

وقد سمى النبى ﷺ ابنه ابراهيم (٢) وابراهيم بن أبى موسى (٣)

---

(١) رواه ابن السنى (٢) اخرجه مسلم « ٣ » اخرجه البخارى ومسلم عن ابى موسى الأشعرى . وكان ابراهيم هذا اكبر ولد أبي موسى .

وعبد الله بن ابي طلحة ( ١ ) ، والمنذر بن اسيد(٢)قريبا من ولادتهم
وعن ابى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم فاحسنوا اسماءكم » ذكره أبو داود .

وذكر مسلم عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أحب أسمائكم الى الله عز وجل عبد الله وعبدالرحمن »

وعن أبى وهيب الجشمى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ تسموا باسماء الانبياء وان احب الاسماء الى الله عز وجل عبدالله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام . وأقبحها حرب ومرة »رواه ابو داود والنسائي

وغير النبى ﷺ الاسماء المكروهة الى اسماء حسنة فغير اسم برة الى زينب (٣) وغير اسم حزن الى سهل (٤) وغير اسم عاصية فسماها جميلة (٥) وغير اسم اصرم إلى زرعة (٦) وسمى حربا سلما وسمى المضطجع المنبعث وسمى ارضا يقال لها عفرة خضرة وشعب الضلالة سماه شعب الهدى وبنو الزنية سماهم بنى الرشدة «٧» .

---

«١» اخرجه الشيخان عن انس

« ٢ » رواه البخارى ومسلم عن سهل بن سعد الساعدى

(٣) رواه البخارى ومسلم عن ابى هريرة وفى مسلم عن ابن عباس ان جويرية كان اسمها برة فغيره النبى ﷺ

(٤) رواه البخارى عن سعيد بن المسيب بن حزن عن أبيه ان اباه جاء الى النبى ﷺ قال : ما أسمك ؟ قال : حزن فقال : انت سهل

(٥) رواه مسلم عن عبد الله بن عمر (٦) رواه ابو داود عن اسامة ابن اخدرى (٧) رواها ابو داود كلها وقال تركت اسانيدها للاختصار

## ﴿ الفصل السادس والاربعون ﴾
## ﴿ فى صياح الديكة والنهيق والنباح ﴾

فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رأت شيطانا واذا سمعتم صياح الديكة فسلوا الله من فضله فانها رأت ملكا » .

وفى سنن ابى داود عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا سمعتم نباح الكلاب ، ونهيق الحمير بالليل فتعوذوا بالله منهن فانهن يرين ما لا ترون » رواه ابو داود .

## ﴿ الفصل السابع والاربعون فى الذكر يطفا به الحريق ﴾

يذكر عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا رأيتم الحريق فكبروا فان التكبير يطفئه »(١) .

## ﴿ الفصل الثامن والأربعون فى كفارة المجلس ﴾

عن ابى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه . سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك واتوب اليك الا كفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك » قال الترمذى . حديث حسن صحيح .

وفى حديث آخر « أنه إن كان فى مجلس خير كان كالطابع له ، وإن

---

(١) اخرجه ابن السنى وروى ابو يعلى والطبرانى فى الاوسط عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أطفئوا الحريق بالتكبير » وفى اسناده راو لم يسم

كان فى مجلس تخليط كان كفارة له » (١)

وفى السنن عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه الا قاموا عن مثل جيفة حمار . وكان عليهم حسرة يوم القيامة »

وعن ابن عمر قال قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الكلمات لأصحابه « اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا . اللهم أمتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا . واجعل ثأرنا على من ظلمنا . وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا » قال الترمذى: حديث حسن

## ﴿ الفصل التاسع والأربعون فيما يقال ويفعل عند الغضب ﴾

قال الله سبحانه وتعالى: ( وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ) سورة الأعراف اية (٢٠٠) وفصلت اية (٣٦)

وقال سليمان بن صرد « كنت جالسا مع النبى ﷺ ورجلان يستبان أحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه . فقال النبى ﷺ : انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه » متفق عليه

وعن عطية بن عروة قال قال رسول الله ﷺ : « ان الغضب من الشيطان . وان الشيطان خلق من النار . وانما تطفأ النار بالماء . فاذا

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا والنسائى والبيهقى والحاكم عن عائشة

غضب أحدكم فليتوضأ » رواه أبو داود، وفي حديث آخر أنه أمر من غضب ان كان قائما أن يجلس، وان كان جالسا أن يضطجع »،

{ الفصل الخمسون فيما يقال عند رؤية أهل البلاء }

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « من رأى مبتلى فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلا لم يصبه ذلك البلاء » قال الترمذي: حديث حسن.

{ الفصل الحادي والخمسون في الذكر عند دخول السوق }

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من دخل السوق فقال: لا إله الا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة » رواه الترمذي (١)

وعن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا دخل السوق قال: « بسم الله - اللهم اني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها. اللهم اني أعوذ بك أن أصيب بها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة » (٢)

{ الفصل الثاني والخمسون في الرجل اذا خدرت رجله }

عن الهيثم بن حنش قال: « كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

---

(١) وقال. حديث غريب. وقال شارح العدة. أقل أحواله أن يكون حسنا. وان كان في ذكر العدد على هذه الصفة نكارة

(٢) رواه الطبراني والحاكم وقال النووي. هو أقربها من شروط هذا الباب

فخدرت رجله فقال له رجل : اذكر أحب الناس اليك . فقال : محمــدا فكأنما نشط من عقال .

وعن مجاهد رحمه الله قال : «خدرت رجل رجل عند ابن عباس رضى الله عنهما . فقال . اذكر أحب الناس اليك . فقال : محمد صلى الله عليه وسلم . فذهب خدره (١) .

## «الفصل الثالث والخمسون فى الدابة إذا عثرت»

عن ابى المليح عن رجل قال : «كنت رديف النبى ﷺ فعثرت دابته فقلت تعس الشيطان فقال : لا تقل تعس الشيطان فانك اذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت ويقول بقوتى، ولكن قل . بسم الله فانك اذا قلت ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذباب » (٢)

## «الفصل الرابع والخمسون»

## «فيمن أهدى هدية أو تصدق بصدقة فدعا له ماذا يقول ؟»

عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : « أهديت لرسول الله ﷺ شاة فقال : اقسميها وكانت عائشة رضى الله عنها إذا رجعت الخادم تقول . ما قالوا ؟ تقول الخادم : قالوا . بارك الله فيكم تقول عائشة رضى الله عنها . وفيهم بارك الله نرد عليهم مثل ما قالوا ويبقى اجرنا لنا (٣)» وقد روى عنها فى الصدقة مثل ذلك

## «الفصل الخامس والخمسون فيمن أميط عنه أذى»

عن ابى ايوب رضى الله عنه « انه تناول من لحية رسول الله ﷺ أذى فقــال رسول الله صلى الله عليه وســـلم : مسح الله عنك يا ابا

---

(١) أخرجهما ابن السنى . وقال شارح العدة: وليس فى ذلك ما يفيد أن لهذا حكم الرفع . فقد يكون مرجع هذا التجريب (٢) رواه أبو داود
(٣) أخرجه ابن السنى

ايوب ماتكره »

وفى لفظ آخر « لا يكن بك السوء يا أبا ايوب» (١)

وعن عمر رضي الله عنه أنه أخذ من رجل شيئا فقال الرجل «صرف الله عنك السوء فقال عمر رضي الله عنه : صرف الله عنا السوء منذ أسلمنا ولكن اذا أخذ عنك شيئا فقل : أخذت يداك خيرا » (٢)

{ الفصل السادس والخمسون فى رؤية باكورة الثمرة }

قال أبو هريرة رضي الله عنه: « كان الناس اذا رأوا الثمر جاؤا به الى رسول الله ﷺ فاذا أخذه قال : « اللهم بارك لنا فى ثمرنا ، وبارك لنا فى مدينتنا ، وبارك لنا فى صاعنا ، وبارك لنا فى مدنا ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان » رواه مسلم

{ الفصل السابع والخمسون }

{ فى الشيء يراه ويعجبه ويخاف عليه العين }

قال الله سبحانه وتعالى : ( وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ) سورة الكهف آية ٣٩ )

وقال النبي ﷺ . « العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين» حديث صحيح (٣)

ويذكر عن النبي ﷺ أنه قال « اذا رأى أحدكم ما يعجبه فى نفسه أو ماله فليبرك عليه فان العين حق (٤)

ويذكر عنه ﷺ أنه قال : من رأى شيئا فاعجبه فليقل : ما شاء

---

(١) رواهما ابن السني. والثاني رواه عن سعد أن أبا أيوب . وفيه أنه كررها ثلاثا (٢) اخرجه ابن السني (٣) رواه البخاري. ومسلم

(٤) اخرجه ابن السني عن سهل بن حنيف .

الله لا قوة إلا بالله لم يضره » (١) .

ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم فيمن خاف أن يصيب شيئا بعينه قال « اللهم بارك لنا فيه ولا تضره » (٢) .

وقال أبو سعيد « كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان ، وعين الانسان ، حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ماسواهما » قال الترمذي . حديث حسن ورواه ابن ماجه فى سننه .

## ﴿ الفصل الثامن والخمسون فى الفال والطيرة ﴾

قال النبى ﷺ « لا عدوى ولا طيرة أصدقها الفال ، قيل وما الفال ؟ قال الكلمة الحسنة يسمعها الرجل » .

وكان النبى ﷺ يعجبه الفال كما كان فى سفر الهجرة فلقيهم رجل . فقال : ما اسمك ؟ قال بريدة . قال : برد أمرنا »

وقال النبى صلى الله عليه وسلم « رأيت فى منامى كأنى فى دار عقبة ابن رافع وأتينا من رطب ابن طاب فأولتها الرفعة لنا فى الدنيا والعاقبة لنا فى الآخرة وان ديننا قد طاب »

وأما الطيرة فقال معاوية بن الحكم : « قلت يارسول الله ، منا رجال يتطيرون . قال : ذلك شىء تجدونه فى صدوركم فلا يصدنكم » وهذه الأحاديث فى الصحاح

وعن عقبة بن عامر قال : « سئل رسول الله ﷺ عن الطيرة فقال : « أصدقها الفال . ولاترد مسلما . واذا رأيتم من الطيرة شيئا تكرهونه فقولوا : اللهم لا يأتى بالحسنات الا أنت ، ولايذهب بالسيئات الا أنت ولا حول ولا قوة الا بالله » (٣)

(١) أخرجه ابن السنى عن أنس (٢) رواه ابن السنى عن سعيد بن حكيم
(٣) أخرجه مسلم وابن السنى عن عقبة بن عامر

﴿ الفصل التاسع والخمسون فى الحمام ﴾

يذكر عن أبى هريرة أنه قال : « نعم البيت الحمام يدخله المسلم . اذا دخله سال الله الجنة واستعاذ به من النار » (١) *

﴿ الفصل الستون فى الذكر عند دخول الخلاء والخروج منه ﴾

فى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه قال : « كان النبى ﷺ إذا دخل الخلاء قال : اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث » وزاد سعيد بن منصور « بسم الله »

وفى مسند الامام أحمد عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان هذه الحشوش محتضرة . فاذا أتى أحدكم الخلاء فليقل . أعوذ بالله من الخبث والخبائث »

وفى سنن ابن ماجه عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال : « لا يعجز أحدكم اذا دخل مرفقه أن يقول : اللهم إنى أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم »

وفى الترمذى عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « ستر ما بين الجن وعورات بنى آدم اذا دخل الكنيف أن يقول . بسم الله »

وقالت عائشة « كان رسول الله ﷺ اذا خرج من الغائط قال : غفرانك » رواه الامام احمد وأهل السنن

وفى سنن ابن ماجه عن انس رضى الله عنه قال « كان النبى ﷺ اذا خرج من الخلاء قال الحمد لله الذى اذهب عنى الأذى وعافانى » *

---

(١) أخرجه ابن السنى بسند ضعيف مرفوعا الى النبى ﷺ . قال فى نزل الابرار . وفى النفس من هذا الحديث شىء

## ﴿ الفصل الحادى والستون فى الذكر عند إرادة الوضوء ﴾

ثبت فى النسائى عنه صلى الله عليه وسلم أنه وضع يده فى الجفنة(١) وقال « توضأ بسم الله » *

وفى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه فى حديثه الطويل ـ وفيه « ياجابر ، ناد بوضوء فقلت : ألا وضوء ؟ ألا وضوء ؟ ـ وفيه ـ فقال خذ يا جابر ، فصب على ، وقل : بسم الله . فصببت عليه . وقلت : بسم الله ، فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله ﷺ » *

وفى المسند والسنن من حديث سعد بن زيد عن النبى صلى الله عليه وسلم « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » قال البخارى : هذا أحسن شىء فى هذا الباب *

وعن أبى هريرة قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا صلاة لمن لا وضوء له ، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » رواه الامام أحمد ، وأبو داود *

وفى المسند عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » *

## ﴿ الفصل الثانى والستون فى الذكر بعد الفراغ من الوضوء ﴾

روى مسلم فى صحيحه عن عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ قال : « ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ ، أو فيسبغ الوضوء ثم يقول : اشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » وزاد فيه الترمذى بعد ذكر الشهادتين « اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين » *

(١) هى القصعة للطعام وجمعها جفان

وفى بعض طرقه ذكرها أبو داود. والامام احمد « فأحسن الوضوء ثم رفع نظره الى السماء فقال ـ وذكره » *

وفى لفظ للامام أحمد : « من توضا فأحسن الوضوء ثم قال ثلاثة مرات : أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله » *

وفى سنن النسائى عن أبى سعيد الخدرى قال : « من توضا ففرغ من وضوئه قال : سبحانك اللهم أشهد أن لا إله الا أنت . أستغفرك وأتوب اليك طبع عليها بطابع ، ثم رفعت تحت العرش فلم تكسر إلى يوم القيامة » هكذا رواه من قول أبى سعيد رضى الله عنه *

وأما الاذكار التى يقولها العامة على الوضوء عند كل عضو فلا أصل لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة والتابعين ولا الائمة الأربعة وفيها حديث كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) *

## ﴿ الفصل الثالث والستون فى ذكر صلاة الجنازة ﴾

فى صحيح مسلم عن عوف بن مالك قال : « صلى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول : اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجه ، وأدخله الجنة

---

(١) وقال النووى رحمه الله فى الاذكار : وأما الدعاء على الاعضاء فلم يجىء فيه شىء عن النبى صلى الله عليه وسلم . وانما جاءت عن السلف دعوات . والقصر على الدليل أولى *

وأعذه من عذاب القبر » قال : حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت لدعاء رسول الله ﷺ .

وفى لفظ (١) « وقه فتنة القبر وعذاب النار » .

وفى سنن أبي داود عن أبى هريرة قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فقال : « اللهم اغفر لحينا وميتنا ، وشاهدنا وغائبنا ، وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأنثانا ، اللهم من أحييته منا فأحيه على الاسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الايمان ، اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تضلنا بعده » (٢) .

وفى سنن أبي داود أيضا عن واثلة بن الأسقع قال : « صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل من المسلمين فاسمعه يقول : « اللهم إن فلان بن فلان فى ذمتك وحبل جوارك ، فقه فتنة القبر وعذاب النار وأنت أهل الوفاء والحمد . اللهم فاغفر له وارحمه انك أنت الغفور الرحيم » .

سال مروان أبا هريرة : كيف سمعت رسول الله ﷺ يصلى على الجنازة ؟ قال : (٣) « اللهم أنت ربها وأنت خلقتها وانت هديتها للاسلام

---

(١) اى عند مسلم وقد رواه النسائى والترمذى وابن ماجه بدون هذه الزيادة . و « النزل » قرى الضيف (٢) واخرجه الترمذى والبيهقى والحاكم . وقال . صحيح على شرط البخارى . ومسلم

(٣) فى سنن أبى داود . بسنده الى عقبة بن يسار : حدثنى على بن شماخ قال : شهدت مروان سال ابا هريرة ، كيف سمعت رسول الله ﷺ يصلى على الجنازة ؟ قال : امع الذى قلت ؟ قال نعم . قال كلام كان بينهما قبل ذلك . قال ابو هريرة الخ

وأنت قبضت روحها ، وانت اعلم بسرها وعلانيتها ، جئناك شفعاء فاغفر له » رواه الامام احمد وابو داود

## ﴿ الفصل الرابع والستون ﴾

﴿ فى الذكر إذا قال هجرا او جرى على لسانه مايسخطه به عز وجل ﴾

ثبت عن النبى ﷺ انه قال : من حلف منكم فقال فى حلفه : واللات والعزى ، فليقل لا إله الا الله ، ومن قال لصاحبه تعال اقامرك فليتصدق فكل من حلف بغير الله فقد أشرك » حديث صحيح (١)

فهذا كفارة لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من حلف بغير الله فقد اشرك » حديث صحيح

وكفارة الشرك التوحيد . وهو كلمة « لا إله إلا الله » ومن قال « تعال اقامرك » فقد تكلم بهجر وفحش ، يتضمن اكل المال واخراجه بالباطل وكفارة هذه الكلمة : بضد القمار . وهو اخراج المال بحق فى مواضعه ، وهو الصدقة

وقال مصعب بن سعد بن ابى وقاص ، عن ابيه « حلفت باللات والعزى ـ وكان العهد قريبا ـ فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قلت هجرا قل : لا اله إلا الله وحده لاشريك له ، وانفث عن يسارك ثلاثا ولا تعد » *

## ﴿ الفصل الخامس والستون فيما يقول من اغتاب أخاه المسلم ﴾

يذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم « ان كفارة الغيبة ، أن تستغفر لمن اغتبته تقول : اللهم اغفر لنا وله » ذكره البيهقى فى الدعوات الكبير وقال : فى اسناده ضعف *

---

(١) رواه البخارى . ومسلم عن ابى هريرة

وهذه المسئلة فيها قولان للعلماء ، هما روايتان عن الامام أحمد وهما هل يكفى فى التوبة من الغيبة الاستغفار للمغتاب ، أم لابد من إعلامه وتحليله ؟ والصحيح : أنه لايحتاج الى اعلامه ، بل يكفيه الاستغفار . وذكره بمحاسن ما فيه فى المواطن التى اغتابه فيها .

وهذا اختيار شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره . والذين قالوا لابد من إعلامه جعلوا الغيبة كالحقوق المالية . والفرق بينهما ظاهر . فان الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلمته إليه . فان شاء أخذها وإن شاء تصدق بها .

وأما فى الغيبة فلايمكن ذلك ولايحصل له باعلامه إلا عكس مقصود الشارع صلى الله عليه وسلم . فانه يوغر صدره ويؤذيه إذا سمع مارمى به . ولعله يهيج عداوته ولا يصفو له أبدا . وما كان هذا سبيله فان الشارع الحكيم صلى الله عليه وسلم لايبيحه ولايجوزه ، فضلا عن أن يوجبه ويأمر به . ومدار الشريعة على تعطيل المفاسد وتقليلها . لا على تحصيلها وتكميلها . والله تعالى أعلم .

## ﴿ الفصل السادس والستون ﴾

## ﴿ فيما يقال ويفعل عند كسوف الشمس وخسوفه ﴾

فى الصحيحين عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى ﷺ قال : « إن الشمس والقمر لاينخسفان لموت أحد ولا لحياته . فاذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وتصدقوا » .

وفى صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة قال : « بينا أنا أرمى بأسهم لى فى حياة رسول الله ﷺ إذ كسفت الشمس ، فنبذتهن ، وقلت : لأنظرن ما حدث لرسول الله ﷺ فى كسوف الشمس اليوم فانتهيت اليه

وهو رافع يديه ؛ يسبح ويحمد ويهلل ويدعو ، حتى حسر عن الشمس . فقرأ بسورتين . وركع ركعتين » .

والنبى ﷺ أمر فى الكسوف بالصلاة والعتاقة والمبادرة الى ذكر الله تعالى والصدقة فان هذه الأمور تدفع أسباب البلاء (١) .

---

(١) قال الامام الاستاذ السيد محمد رشيد رضا رحمه الله وجعل الجنة مثواه: البلاء ما يختبر الله تعالى به عباده من بواعث العمل الحسن أو القبيح كما قال تعالى: ( ونبلوكم بالشر والخير فتنة. وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون) ومنظر الخسوف والكسوف من آيات قدرة الله تعالى والنظام فى تدبير ملكه . فينبغى ان يكون باعثا على ذكره وطاعته . ألم تر أن الصلوات الخمس مؤقتة بهذه المظاهر فى الكون ؟ وليس الخسوف والكسوف من المصائب أو من أسبابها كما يتبادر إلى فهم العامى من عبارة المصنف رحمه الله تعالى بل هما داخلان فى معنى قوله تعالى ( الشمس والقمر بحسبان ) ولذلك يعرف أوقاتهما الحاسبون من علماء الفلك ويحررونها قبل وقوعها مضبوطة بالدقائق والثوانى ويذكرون فى تقاويمهم السنوية ما يقع فى كل سنة منهما ومدته . وفى اى البلاد يرى فلا يخطئون لانهم عرفوا الحسبان الذى وضعه الخالق . وهو لا يخطىء . ويمكن بيان ما سيحدث من ذلك بعد المئات والألوف من السنين. ويمكن تخريج كلمة المصنف على الغالب فى استعمال البلاء وهو الشدة والعقوبة . أى وذلك يدفع اسباب العقاب فى البلاء لعدم التقصير فيما يجب فيه . اهـ

اقول: وهذا لا يمنع ان يكون الخسوف والكسوف مما يخوف الله به عباده ليقلعوا عن المعصية ويتوبوا . ففى البخارى « ان النبى صلى الله عليه وسلم لما رأى الخسوف خرج مهتما يجر رداءه . يرى فى وجهه

## ﴿ الفصل السابع والستون فيما يقول من ضاع له شيء ويدعويه ﴾

ذكر علي بن المديني عن سفيان عن ابن عجلان عن عمر بن كثير بن أفلح قال: « كان ابن عمر يقول للرجل اذا اضل شيئا فقل اللهم رب الضالة هادي الضالة تهدي من الضلال رد علي ضالتي بقدرتك وسلطانك . فانها من عطائك وفضلك » *

وفي وجه آخر « سئل ابن عمر رضي الله عنه عن الضالة فقال: يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يتشهد . ثم يقول : « اللهم راد الضالة هادي الضلالة تهدي من الضـــلالة . رد علي ضالتي . بعزتك وسلطانك . فانها من فضـــلك وعطائـــك » *

قال البيهقي : هذا موقوف ، وهو حسن

وقد قيل : إن من ضاع له شيء فقال : ياجامع الناس ليوم لاريب فيه رد علي ضالتي ردها الله تعالى عليه *

## ﴿ الفصل الثامن والستون ﴾

## ﴿ في عقد التسبيح بالاصابع وأنه أفضل من السبحة ﴾

روى الاعمش عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم « يعقد التسبيح بيمينه » رواه أبو داود *

وروت يسيرة ( ١ ) إحدى المهاجرات رضي الله عنها ـ قالت :

---

أثر ذلك . وكان في سجوده ينفخ ويقول لربه : الم تعدني ان لا تعذبهم وانا فيهم ؟ » وكذلك أيضا فان الساعة تقوم (اذا الشمس كورت) أي اظلم نورها وانطفأ شعاعها

(١) قال الحافظ ابن حجر في التقريب يسيرة بالتصغير ويقال أسيرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن فتنسين الرحمة ، واعقدن بالانامل فانهن مسؤلات ومستنطقات » (١)

( الفصل التاسع والستون )

( فى أحب الكلام الى الله عز وجل بعد القرءان )

ثبت فى صحيح مسلم عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ « أحب الكلام الى الله تعالى أربع لا يضرك بأيهن بدأت : سبحان الله والحمد لله ، ولا إله الا الله ، والله اكبر »

وفى وجه ءاخر « أفضل الكلام بعد القرءان أربع - وهن من القرءان - : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله، والله اكبر » (٢)

وفى أثر آخر . « أفضل الكلام ما اصطفى الله للملائكة سبحان الله وبحمده » *

وفى الصحيحين عن ابى هريرة عن النبى ﷺ قال « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن . سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » *

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « لأن أقول : سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر - أحب

---

بالف أم ياسر صحابية من الانصاريات ويقال من المهاجرات

«١» رواه الترمذى والحاكم بسند صحيح «٢» عزاه السيوطى فى الجامع الصغير الى الامام احمد عن رجل وعلم عليه بالصحة وليس فيه «بعد القرءان - ولا - وهن من القرءان» وظاهر قول المصنف بعده وفى أثر ءاخر أنه ليس بمرفوع فليراجع

الى ما طلعت عليه الشمس » .

## ﴿ الفصل السبعون فى الذكر المضاعف ﴾

فى صحيح مسلم عن جويرية أم المؤمنين أن النبى ﷺ « خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهى فى مسجدها ثم رجع بعدما أضحى وهى جالسة فقال : « مازلت على الحال التى فارقتك عليها » ؟ قالت . نعم ، فقال النبى ﷺ . لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن . سبحان الله عدد خلقه . سبحان الله رضا نفسه . سبحان الله زنة عرشه . سبحان الله مداد كلماته » (١)

وعن سعد بن أبى وقاص « أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به فقال . أخبرك بما هو ايسر عليك من هذا وأفضل؟ فقال . سبحان الله عدد ما خلق فى السماء سبحان الله عدد ما خلق فى الارض . سبحان الله عدد ما بين ذلك . سبحان الله عدد ما هو خالق . والله أكبر مثل ذلك ولا اله الا الله مثل ذلك . والحمد لله مثل ذلك ، ولا حول ، ولا قوة الا بالله مثل ذلك » رواه أبو داود . والترمذى وقال . حديث حسن

## ﴿ الفصل الحادى والسبعون فيما يقال لمن حصل له وحشة ﴾

روينا فى معجم الطبرانى عن البراء بن عازب « أن رجلا اشتكى الى رسول الله ﷺ الوحشة فقال . قل سبحان الله الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعزة والجبروت فقالها الرجل فأذهب الله عنه الوحشة (٢)

---

(١) وفى رواية . سبحان الله عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ومداد كلماته (٢) ورواه ابن السنى

## ﴿ الفصل الثانى والسبعون ﴾

### ﴿ فى الذكر الذى يقوله أو يقال له إذا لبس ثوبا جديدا ﴾

عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال : كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبا سماه باسمه قميصا أو ازارا أو عمامة يقول . اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسالك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ماصنع له «قال أبو نضرة . وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذارأى أحدهم على صاحبه ثوبا قال تبلى ويخلف الله تعالى» ذكره البيهقى (١) .

وعن سهل بن معاذ بن أنس عن ابيه عن جده «أن رسول الله ﷺ قال . من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر» «٢»

## ﴿ الفصل الثالث والسبعون فيما يقال عند رؤية الفجر ﴾

روى ابن وهب عن سليمان بن بلال عن سهيل بن ابى صالح عن أبيه عن ابى هريرة قال : «كان رسول الله ﷺ إذا كان فى سفر فبدا له الفجر قال : سمع سامع بحمد الله ونعمته وحسن بلائه علينا ربنا صاحبنا فأفضل علينا عائذا بالله من النار . يقول ذلك ثلاث مرات ويرفع بها صوته» هذا اسنادصحيح على شرط مسلم

## ﴿ الفصل الرابع والسبعون ﴾

### ﴿فى التسليم للقضاء والقدر بعد بذل الجهد فى تعاطى ماأمر به من الاسباب﴾

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا

---

«١» رواه ابوداود وابن حبان وصححه والترمذى وحسنه . والنسائى

(٢) اخرجه أبوداود مطولا فى الحد على الطعام واللباس

وَقَالُوا لإخْوَانِهِمْ إذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّا لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ سورة النساء آية ١٥٦ فنهى سبحانه عباده أن يتشبهوا بالقائلين : لو كان كذا وكذا لما وقع قضاؤه بخلافه

وقال النبي ﷺ « وإياك واللو فإن اللو تفتح عمل الشيطان »

وقال أبو هريرة قال النبي ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل . فإن - لو - تفتح عمل الشيطان » رواه مسلم

وعن عوف بن مالك أن النبي ﷺ « قضى بين رجلين فقال المقضي عليه لما أدبر : حسبنا الله ونعم الوكيل فقال النبي ﷺ . إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل » .

فنهى النبي ﷺ أن يقول عند جريان القضاء ما يضره ولا ينفعه وأمره أن يفعل من الأسباب ما لا غنى له عنه فإن أعجزه القضاء قال : حسبي الله فإذا قال حسبي الله بعد تعاطي ما أمره من الأسباب قالها وهو محمود فانتفع بالفعل والقول وإذا عجز وترك الأسباب وقالها قالها وهو ملوم بترك الأسباب التي اقتضتها حكمة الله عز وجل فلم تنفعه الكلمة نفعها لمن فعل ما أمر به

## ﴿ الفصل الخامس والسبعون ﴾

﴿ في جوامع من أدعية النبي صلى الله عليه وسلم وتعوذاته لا غنى للمرء عنها ﴾

قالت عائشة : « كان النبي ﷺ يحب الجوامع من الدعاء ويدع

ما بين ذلك» •

وفى المسند . وسنن النسائى وغيرهما « أن سعدا سمع ابنا له يقول اللهم إنى أسألك الجنة وغرفها ، وكذا وكذا ، وأعوذ بك من النار واغلالها وسلاسلها . فقال سعد رضى الله عنه . لقد سألت الله خيرا كثيرا وتعوذت به من شر كثير ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : سيكون قوم يعتدون فى الدعاء ؛ وبحسبك ان تقول اللهم إنى أسألك من الخير كله ماعلمت منه وما لم اعلم ، واعوذ بك من الشر كله ماعلمت منه وما لم اعلم» •

وفى مسند الامام احمد . وسنن النسائى عن ابن عباس قال : « كان من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم : رب أعنى ولا تعن علىّ وانصرنى ولا تنصر علىّ ، وامكر لى ولا تمكر علىّ ، وانصرنى على من بغى علىّ . رب اجعلنى لك شكارا لك ذكارا لك رهابا لك مخبتا اليك أواها منيبا رب تقبل توبتى ، واغسل حوبتى (١) واجب دعوتى ، وثبت حجتى واهد قلبى وسدد لسانى واسلل سخيمة قلبى » هذا حديث صحيح رواه الترمذى وحسنه وصححه •

وفى الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال : « كنت أخدم النبى ﷺ فكنت أسمعه يكثر أن يقول : اللهم إنى اعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والبخل والجبن ، وضلع الدين وغلبة الرجال » (٢) •

وفى صحيح مسلم عن زيد بن ارقم رضى الله عنه قال : « لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول كان يقول . اللهم انى أعوذ

---

(١) بفتح الحاء وتضم أى اثمى (٢) الضلع بفتح الضاد واللام الثقل والدين بفتح الدال

بك من العجز ، والكسل ، والجبن ، والبخل ، والهرم ، وعذاب القبر
اللهم آت نفسي تقواها . زكها أنت خير من زكاها ، إنك وليها ومولاها
اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ونفس لا تشبع ، وعلم لا ينفع
ودعوة لا يستجاب لها » (١) *

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو « اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ، واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات. اللهم اني أعوذ بك من المأثم والمغرم فقال قائل : ما أكثر ما تستعيذ من المغرم؟ قال : ان الرجل اذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف » *

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « كان من دعاء النبي ﷺ : اللهم انى أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، ومن فجاءة نقمتك ومن جميع سخطك » *

وفي الترمذي عن عائشة قالت . قلت « يارسول الله إن وافقت ليلة القدر ما أسال ؟ قال قولي : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني» قال الترمذي صحيح *

وفي مسند الامام أحمد عن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ أنه قال : « عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة وإياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار وسلوا الله المعافاة فانه لم يؤت رجل بعد اليقين خيرا من المعافاة » *

وفي صحيح الحاكم عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « ما سئل الله عز وجل

---

(١) في صحيح مسلم « اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع : ومن دعوة لا يستجاب لها »

شيئا أحب اليه من ان يسئل العافية »

وذكر الفريابى فى كتاب الذكر من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « جاء رجل الى النبى ﷺ فقال : أى الدعاء أفضل ؟ قال : تسأل الله العفو والعافية فاذا أعطيت ذلك فقد أفلحت » .

وفى الدعوات للبيهقى عن معاذ بن جبل قال . « مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يقول : اللهم انى أسالك الصبر . قال . سالت الله البلاء فسل العافية . ومر برجل يقول : اللهم انى أسالك تمام النعمة فقال : وما تمام النعمة ؟ قال : سالت وانا أرجو الخير قال له : تمام النعمة الفوز من النار ودخول الجنة » .

وفى صحيح مسلم عن ابى مالك الاشجعى رضى الله تعالى عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يعلم من أسلم أن يقول : اللهم اهدنى وارزقنى وعافنى وارحمنى » .

وفى المسند عن بسر بن أرطاة رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهم أحسن عاقبتنا فى الامور كلها ، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة » .

وفى المسند . وصحيح الحاكم عن ربيعة بن عامر عن النبى ﷺ « الظوا بياذا الجلال والاكرام » اى الزموها وداوموا عليها .

وفى صحيح الحاكم أيضا عن ابى هريرة . أن رسول الله ﷺ قال لهم : « أتحبون أيها الناس أن تجتهدوا فى الدعاء ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : قولوا اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » .

وفى الترمذى وغيره « ان النبى صلى الله عليه وسلم اوصى معاذا ان يقولها دبر كل صلاة » .

وفى صحيحه أيضا عن أنس قال . « كنا مع النبى ﷺ فى حلقة ورجل قائم يصلى فلما ركع وسجد تشهد ودعا فقال فى دعائه . اللهم انى أسألك بان لك الحمد لااله الا أنت بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ياحى ياقيوم . فقال النبى ﷺ . لقد سأل الله باسمه العظيم الذى إذادعى به اجاب واذا سئل به أعطى » *

وفى المسند وصحيح الحاكم ايضا عن شداد بن أوس رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ « ياشداد ، إذا رأيت الناس يكنزون الذهب والفضة فاكنز هؤلاء الكلمات : اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر ، والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك ، وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا . واسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب »

وفى الترمذى أن حصين بن المنذر الخزاعى رضى الله عنه قال له النبى ﷺ « كم تعبد الها ؟ قال : سبعة ـ ستة فى الارض وواحدا فى السماء قال : فمن تعد لرغبتك ورهبتك ؟ قال : الذى فى السماء قال : اما لو أسلمت لعلمتك كلمتين تنفعانك ـ فلما أسلم قال : يارسول الله علمنى الكلمتين قال : قل : اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى » حديث صحيح ، وزاد الحاكم فيه فى صحيحه « اللهم قنى شر نفسى ، واعزم لى على أرشد امرى اللهم اغفر لى ما أسررت وما اعلنت ، وما أخطأت ، وما تعمدت ، ما علمت ، وما جهلت » واسناده على شرط الصحيحين »*

وفى صحيح الحاكم عن عائشة قالت : « دخل على ابو بكر رضى الله عنهما فقال , هل سمعت من رسول الله ﷺ دعاء علمنيه ؟ قلت :

ما هو ؟ قال . كان عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم يعلمه أصحابه قال : لو كان على احدكم جبل ذهب دينا فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه. اللهم فارج الهم . كاشف الغـــم . مجيب دعوة المضطرين . رحمن الدنيـا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمني . فارحمني رحمة تغنيني بهـا عن رحمـــة من سواك »

وفى صحيحه أيضا عن أم سلمة عن النبى صلى الله عليه وسلم « هذا ما سأل محمد ربه : اللهم إنى أسالك خير المسألة ، وخير الدعاء ، وخير النجاح ، وخير العمل ، وخير الثواب ، وخير الحياة ، وخير الممات ، وثبتنى ، وثقل موازينى ، وحقق إيمانى ، وارفع درجتى ، وتقبل الخير وخواتمه ، واوله وآخره وظاهره وباطنه ، والدرجات العلى من الجنة آمين . اللهم إنى أسالك خير ما آتى ، وخير ما أفعل وخير ما بطن ، وخير ما ظهر . اللهم إنى اسالك أن ترفع ذكرى ، وتضع وزرى ، وتصلح امرى ، وتطهر قلبى ، وتحصن فرجى ، وتنور لى قلبى ،وتغفر لى ذنبى ، وأسالك أن تبارك لى فى نفسى ، وفى سمعى ، وفى بصرى ، وفى روحى ، وفى خلقى ، وفى خلقى ، واهلى ، وفى محياى ، وفى مماتى ، وفى عملى ، وتقبل حسناتى ، وأسالك الدرجات العلى من الجنة آمين »

وفى صحيحه أيضا من حديث معاذ قال : « ابطـأ عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة الفجر حتى كادت أن تدركنا الشمس ثم خرج فصلى بنا فخفف ثم أقبل علينا بوجهه فقال : على مكانكم أخبركم مابطأ بى عنكم اليوم إنى صليت فى ليلتى هذه ماشاء الله ثم ملكتنى عينى فنمت فرأيت ربى تبارك وتعالى فالهمنى أن قلت : اللهم انى اسالك الطيبات ، وفعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وان تتوب على

وتغفرلى وترحمنى ، واذا أردت فى خلقك فتنة فنجنى اليك منها غير مفتون اللهم وأسالك حبك وحب من يحبك ، وحب عمل يبلغنى الى حبك ثم أقبل رسول الله ﷺ قال : تعلموهن وادرسوهن فانه حق» ورواه الترمذى والطبرانى وابن خزيمة وغيرهم بالفاظ اخر .

وفى صحيح الحاكم أيضا عن ابن عباس قال : « كان النبى ﷺ يدعو : « اللهم متعنى بما رزقتنى ، وبارك لى فيه ، واخلف على كل غائبة لى بخير » .

وفيه عن أنس بن مالك ان رسول الله ﷺ كان يقول : « اللهم انفعنى بما علمتنى ، وعلمنى ما ينفعنى ، وارزقنى علما ينفعنى » .

وفيه أيضا عن عائشة «ان رسول الله ﷺ امرها أن تدعو بهذا الدعاء : اللهم انى أسالك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسالك الجنة وما قرب اليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول أو عمل ، وأسالك من خير ما سالك عبدك ورسولك محمد وأسالك ماقضيت لى من أمر ان تجعل عاقبته رشدا » .

وفيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ أوصى سلمان الخير فقال له : «انى اريد أن امنحك كلمات تسالهن الرحمن وترغب اليه فيهن وتدعو بهن فى الليل والنهار قل : اللهم انى اسالك صحة فى ايمان وايمان فى حسن خلق ، ونجاحا يتبعه صلاح ، ورحمة منك وعافية ، ومغفرة منك ورضوانا » .

وفيه أيضا عن ام سلمة عن النبى ﷺ انه كان يدعو بهؤلاء الدعوات « اللهم انت الاول لاشىء قبلك ، وانت الآخر لا شىء بعدك أعوذ

بك من شر كل دابة ناصيتها بيدك ، وأعوذ بك من الاثم والكسل ومن عذاب القبر ، ومن فتنة الغنى ، ومن فتنة الفقر ، وأعوذ بك من المأثم ، والمغرم . اللهم نق قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس اللهم بعد بيني وبين خطيئتي كما بعدت بين المشرق والمغرب » .

وفي مسند الامام احمد . وصحيح الحاكم أيضا عن عمار بن ياسر رضى الله عنه انه صلى صلاة أوجز فيها فقيل له في ذلك قال . لقد دعوت الله فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ : « اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيرا لي اللهم واسالك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسالك كلمة الحق في الغضب والرضا ، واسالك القصد في الفقر والغنى ، واسالك نعيما لا ينفد وأسالك قرة عين لا تنقطع واسالك الرضا بعد القضاء ، واسالك برد العيش بعد الموت ، واسالك لذة النظر الى وجهك وأسالك الشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين » .

وفي صحيح الحاكم أيضا عن ابن مسعود قال : كان من دعاء رسول الله ﷺ « اللهم انا نسالك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار » .

وفيه أيضا عن رسول الله ﷺ أنه كان يدعو « اللهم احفظني بالاسلام قائما واحفظني بالاسلام قاعدا واحفظني بالاسلام راقدا ولا تشمت بي عدوا حاسدا اللهم انى أسالك من خير خزائنه بيدك ، واعوذ بك من شر خزائنه بيدك » .

وعن النواس بن سمعان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من قلب الا بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه

وان شاء أزاغه » *

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، والميزان بيد الرحمن عز وجل يرفع اقواما ويخفض آخرين الى يوم القيامة » . حديث صحيح رواه الامام احمد، والحاكم في صحيحه *

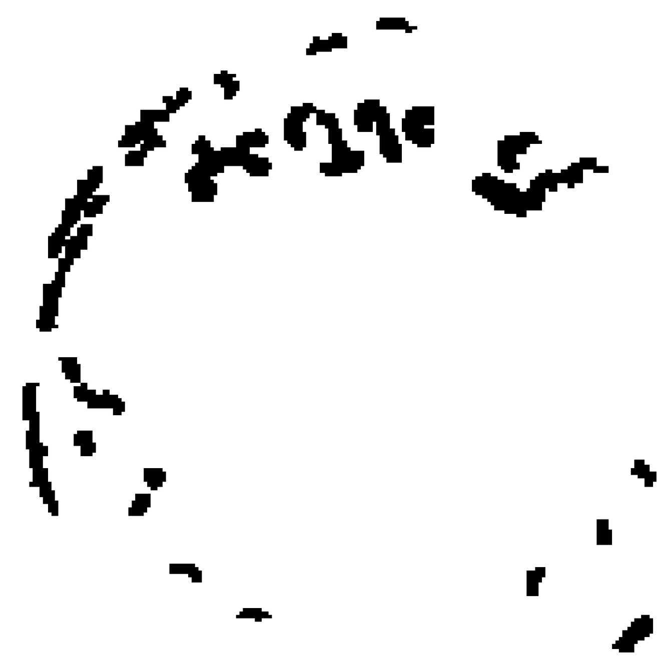
وفي صحيح الحاكم أيضا عن ابن عمر أنه لم يكن يجلس مجلسا كان عنده أحد أولم يكن الا قال : « اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما أسررت ، وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني اللهم ارزقني من طاعتك ما تحول به بيني وبين معصيتك ، وارزقني من خشيتك ما تبلغني به رحمتك وارزقني من اليقين ماتهون به على مصائب الدنيا ، وبارك لي في سمعي وبصري واجعلهما الوارث مني اللهم اجعل ثاري على من ظلمني وانصرني على من عاداني ولا تجعل الدنيا اكبر همي ، ولا مبلغ علمي ، اللهم لا تسلط على من لا يرحمني » فسئل عنهن ابن عمر فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختم بهن مجلسه *

* * *

والحمد لله رب العالمين حمدا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ملء سمواته وملء ارضه وملء ما بينهما وملء ماشاء من شيء بعد حمدا لا ينقطع ولا يبيد ولا يفنى عدد ما حمده الحامدون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم أنبيائه ورسله وخيرته من بريته وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده فاتح أبواب الهدى ومخرج الناس من الظلمات الى

النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الذى بعثه للايمان مناديا والى الصراط المستقيم هاديا والى جنات النعيم داعيا وبكل المعروف امرا وعن كل منكر ناهيا فاحيا به القلوب بعد مماتها وأنارها بعد ظلماتها والف بينها بعد شتاتها فدعا الى الله عز وجل على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة وجاهد فى الله تعالى حق جهاده حتى عبد الله وحده لا شريك له وسارت دعوته مسيرة الشمس فى الاقطار وبلغ دينه الذى ارتضاه لعباده ما بلغ الليل والنهار ، وصلى الله عز وجل وملائكته وجميع خلقه عليه كما عرف بالله تعالى ودعا اليه وسلم تسليما اه *

( تم الكتاب )





# فهرست

## ﴿ الوابل الصيب من الكلم الطيب ﴾

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

# جلاء الافهام

## فى الصلاة والسلام على خير الانام

للامام العلامة الحافظ الاصولى النحرير

ابى عبدالله محمد بن ابى بكر بن قيم الجوزيه

المتوفى سنة ٧٥١ هـ

سيظهر قريبا هذا الكتاب الذى يعد من انفس الكتب ويبحث عن الاحاديث الواردة فى الصلاة على النبي ﷺ وتخريجها والكلام عليها صحة وضعفا وبيان اسرارها الى غير ذلك من الفوائد العظيمة وهاك ماقاله مؤلفه عليه سحائب الرحمة فى اول كتابه : وهو كتاب فرد فى معناه لم يسبق الى مثله فى كثرة فوائده وغزارتها بينا فيه الاحاديث الواردة فى الصلاة والسلام عليه ﷺ وصحيحها من حسنها ومعلولها وبينا ما فى معلولها من العلل بيانا شافيا ثم اسرار هذا الدعاء وشرفه وما اشتمل عليه من الحكم والفوائد ثم مواطن الصلاة عليه ﷺ ومحالها ثم الكلام فى مقدار الواجب منها واختلاف اهل العلم فيه وترجيح الراجح وتزييف المزيف ومخبر الكتاب فوق وصفه والحمد لله رب العالمين •

صفحة

صفحة